جهود الإمام الشوكاني

في الرد على الرافضة

جمعه وألف بينه
أبو تراب عادل بن محمد
ابن فرحان البحيري الشميري



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

جهود الإمام الشوكاني

في الرد على الرافضة



المملكة العربية السعودية - الرياض

ص . ب : ٥٧٦٨٤ - ١١٥٨٤

هاتف وفاكس: ٢٠٦٧٠٦٧ - جوال ٠٥٠٤١٩٧٢٤٨

البريد الإلكتروني: Dar_alkayan@hotmail.com

التوزيع داخل دولة الإمارات

تليفون: ٠٠٩٧١٦٥٦٣٩٣٩٦ - جوال: ٠٠٩٧١٥٠٦٣٣٩٣٠٣

التوزيع داخل جمهورية مصر العربية

محمول: ٠١٠١١١٠٠٦٧

رقم الإيداع : ١١٩٢٧ / ٢٠٠٧

الطبعة الأولى : ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف

الحمد لله رب العالمين (وأصلي وأسلم على القائل: «**تَرَكْتُكُم عَلَى الوَاضِحَةِ، لَيلهَا كَنَهَارِهَا، لَا يَزِيغُ عَنهَا إلَّا هَالِكٌ**»[1] وعلى آله وصحبه السابقين إلى كل فضيلة، الفائزين بكل المحامد، القارعين بسيوف هديهم ضلال كل زائغ ومعاند) الفتح الرباني ص(٢١١٧).

أما بعد:

فـ(قد ورد في عمومات الكتاب والسنة ما يدل على أنه ينبغي لكل فرد من المسلمين أن يدعو أخاه إلى أسباب الهداية، ويزجره عن ذريعة الغواية، ويعظه بمواعظ الله - سبحانه - فإن ذلك من النصيحة التي يقول رسول الله ﷺ فيها: «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ**»[2] وقد تواترت الأدلة المرشدة إلى المناصحة، وأيضًا ذلك يندرج تحت عمادي هذا الدين اللذين تُبنَى عليهما قناطره، وترجع إليهما أوائله

---

(١) رواه ابن ماجه في المقدمة باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين ح (٤٣) من حديث العرباض بن سارية ﷺ، بلفظ «تركتكم على البيضاء....» الحديث، وهو في السلسلة الصحيحة للعلامة الألباني رقم (٩٣٧). وروى الإمام مالك في الموطأ كتاب الحدود باب ما جاء في الرجم رقم (١٢٩٧)، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله رقم (٢٣٣١) بإسناد صحيح عن سعيد بن المسيب «أن عمر بن الخطاب ﷺ لما قدم المدينة قام خطيبًا فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس إنه قد سُنَّت لكم السنن وفُرضت لكم الفرائض وتُركتم على الواضحة إلا أن تضلوا بالناس يمينًا وشمالًا».

(٢) رواه مسلم في كتاب الإيمان باب بيان أن الدين النصيحة ح (٥٥) من حديث تميم الداري ﷺ.

وأواخره، وهما الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر). النشر لفوائد سورة العصر ضمن الفتح الرباني (ص ١٣١٩، ١٣٢٠).

(ولما كان الله سبحانه قد تكفل بإظهار دينه على الدين كله، وبحفظه عن التحريف، والتغيير والتبديل، أوجد من علماء الكتاب والسنة في كل عصر من العصور من يبين للناس دينهم، وينكر على أهل البدع بدعهم، فكان لهم - ولله الحمد - المقامات المحمودة، والمواقف المشهودة في نصر الدين، وهتك المبتدعين). الفتح الرباني ص(٢٥٩).

وإني لأحسب الإمام العلامة المجدد محمد بن علي الشوكاني - رحمه الله - أحد هؤلاء الأعلام، والبدور في الظلام، القائمين بحجة الله على الأنام، فقد عُرف- رحمه الله- بعمق فقهه، وتبحر علمه، وواسع إطلاعه، ودقيق ملاحظته، وبديهة فطنته، وعذوبة حديثه، ونبل أخلاقه، وقوة شخصيته، وعظيم قدره.

ومن أنا حتى أشهد لمثله، فقد جاوز القنطرة، ووعى العلم فنشره، وكتب الفقه وحرره، وبيّن الباطل ودحره، - رحمه الله - رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته.

وإن مما يميز الإمام الشوكاني عن كثير من العلماء في عصره، شدة تمسكه بالحق الذي يعتقده، وصدعه به لا يخاف في الله لومة لائم، ونصرته للدليل، وتحرره من ذميم التقليد، وحرصه على بقاء الإسلام صافيًا من أوحال البدع المضلة، وأكدار التعصب للباطل. (ولأن هذا الشيخ الجليل، والصدر الفخم النبيل، قد أصبح غرة في جبين الزمان، وأمة وسطًا في أخائر الأعيان، وأضحى نسيجًا وحده، وسقط ما قدح الدهر من زنده، لم يزل منذ نشأ للعلم خادمًا، ولمتفرقات الفوائد جامعًا وراسمًا، عاريًا من العوراء كاسيًا من العلياء، يجتزئ بالبلغة عن الزاد والجرعة من الثماد ويكتفي بأدنى ملابس الاقتصاد، حتى جاءته الدنيا وهي راغمة، وماجت إليه بحار نفائسها متلاطمة، وهو يوزعها بين راجيه

خلجانًا ويقطعها فيهم جداولًا وغدرانًا.

جَاءَتْهُ عَارِضَةٌ عَلَيهِ نَفْسَهَا   فَأَبَى فَعَادَتْ عَودَةَ المَحْسُورِ

هَذَا الوَرَعُ الشَّحِيحُ وَهَكَذَا   شِيَمُ القُضَاةِ بِمُقْتَضَى المَسْطُورِ

فوجب التنويه بذكره، والتنبيه للأخير عصرًا على غضارة وشهرة) (٣).

فالإمام الشوكاني- رحمه الله - أفنى عمره في خدمة الإسلام وأهله، فأيامه ولحظات حياته هي ما بين تدريس وتأليف، ومناصحة وإرشاد ومكاتبة، وإصلاح بين المسلمين، وقضاء بين المتخاصمين، وقد خلف لنا - رحمه الله - تراثًا عظيمًا يدل على سعة علمه، وعظيم اطلاعه، ودقته في تحرير المسائل وإجابة السائل.

وقد أحببت أن أُبرز جُهدًا من جهوده في خدمة الشريعة، وحماية الملة، ونصرة الحق، وقمع البدعة، فجهوده كثيرة، وآثاره نبيلة، وعلومه جليلة، ومن جهوده العظيمة ردوده على الطوائف المضلة المنحرفة عن الإسلام والملة، كالرافضة والقبوريين وغيرهم من أهل الزيغ والضلال.

أما الرافضة فقد عايشهم الإمام الشوكاني في بلده صنعاء، وقرأ كتبهم، ودرس تاريخهم، وعرف معتقداتهم على الواقع، وعرف حقيقة مذهبهم، وخبث عقائدهم، وعميق جهلهم، وكبير إفكهم، وعظيم بهتانهم، وسوء أخلاقهم، وخبث طويتهم، وبذاءة ألسنتهم، وعظيم خطرهم وحربهم وخذلانهم للحق وأهله.

فقد بيّن – رحمه الله – أن أخطر ما يكون من البدع تلك (البدع الشنيعة التي لا خلاف في شناعتها ومخالفتها للشريعة، كما تعتقده الخوارج والروافض

---

(٣) من كلام تلميذه العلامة محمد بن الحسن الشجني الحميري الذماري في كتابه حياة الإمام الشوكاني المسمى كتاب «التقصار في جيد زمان علامة الأقاليم والأمصار شيخ الإسلام محمد بن علي الشوكاني» ص (١٠، ١١).

فإن السنة الصريحة المتواترة التي لا خلاف فيها قد جاءت بقبح ذلك وذم فاعله وضلاله) أدب الطلب (١١٥).

وإني لأرجو من الله – سبحانه وتعالى – أن يقع هذا الكتاب موقعًا حسنًا بين عباده المؤمنين، وأن يلاقي قبولًا بين المسلمين، وأن يزيل به اللبس- في حقيقة الرافضة الإمامية - الذي حصل لبعض المنتسبين إلى الإسلام عمومًا والسنة خصوصًا، فبيان حقيقة هذه الفرقة الزائغة - وبعدها عن الدين القيم والشريعة العادلة – من أوجب الواجبات خصوصًا في هذا العصر المتأخر حيث ظهرت لهم دولة- ذات موارد ضخمة سخرت لنشر تلك العقائد الضالة –، وقامت لهم ثورة - يُراد تصديرها إلى أهل الحق والسنة – في هذا العصر الذي استغلت فيه هذه الفرقة المنحرفة جميع الوسائل – الإعلامية والمالية بل والحربية - في التلبيس على عوام المسلمين والجهلة بالدين، فلقد راجت عقائدها على كثير من الطغام، ودخلت فتنتها في بيوت كثير من أهل الإسلام، ولكن الله حافظ دينه، وناصر أوليائه، ﴿لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [الأنفال: ٨] و﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الصافات: ١٨٠-١٨٢].

جمعه وألف بينه

أبو تراب عادل بن محمد بن فرحان البحيري الشميري

ضحى يوم الإثنين ٩/ ٢/ ١٤٢٨ من هجرة المصطفى عليه الصلاة والسلام

البريد الإلكتروني:

albheri١٩٧٣@maktoob.com

ترجمة الإمام الشوكاني - رحمه الله -

الإمام الشوكاني هو محمد بن علي بن محمد بن عبدالله بن الحسن، ينتهي نسبه إلى كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، وقد ساق الإمام الشوكاني نسب نفسه في ترجمة والده إلى آدم عليه السلام، ولد الإمام الشوكاني حسبما وجد بخط والده في وسط نهار يوم الإثنين الثامن والعشرين من شهر ذي القعدة سنة (١١٧٣) ثلاث وسبعين ومائة وألف بهجرة شوكان، عُرف والده في صنعاء بالشوكاني نسبة إلى شَوْكَان وهي قرية من قرى السَّحامية إحدى قبائل خولان، ونسبة صاحب الترجمة إلى شوكان ليست حقيقية؛ لأن وطنه ووطن سلفه وقرابته هو مكان عدني، وشوكان بينه وبينها جبل كبير مستطيل يقال له: الهجرة، وبعضهم يقول له: هجرة شوكان فمن هذه الحيثية كان انتساب أهله إلى شوكان.

نشأ الإمام الشوكاني بصنعاء فقرأ القرآن على جماعة من المعلمين وختمه ولما (أكمل قراءة القرآن شَغُفَ بالعلوم، وضبطها من طريقي المنطوق والمفهوم بفطنة وقَّادة، وقريحة نقادة، وهمة أبيّة ونفس زكيّة، وفضائل رضيّة، وشمائل مرضيّة، يحرر المباحث تحريرًا شافيًا، ويقررها تقريرًا وافيًا، ويدقق النظر في المقالات، ويجوّد البحث في التعقبات والانتقادات، مع حضور في الخاطر، وصحة في الحاسة وصدق في الفكرة، وسلامة في القريحة، أكبّ على أصول العلم وفروعه، ومفرده ومجموعه، فنظر في الفقه واللغة، والنحو والصرف، والمعاني والبيان والبديع والاشتقاق والمنطق وأصول الفقه وعلم الكلام[٤].

---

(٤) قال الإمام الشوكاني رحمه الله: (واعلم أني عند الاشتغال بعلم الكلام وممارسة تلك المذاهب والنحل لم ازدد بها إلا حيرة ولا استفدت منها إلا العلم بأن تلك المقالات خزعبلات فقلت إذ ذاك مشيرًا إلى ما استفدته من هذا العلم:

وغاية ما حصلته من مباحثي ... ومن نظرى من بعد طول
هو الوقف ما بين الطريقين ... فما علمُ مَنْ لم يلقَ غير التحير
على أنني قد خضت منه ... وما قنعت نفسي بدون التبحر

ثم انبرى للتأليف مراهقًا أو بالغًا سن التكليف، بذهن يخترق حجب الغوامض المتعبة للأفكار بالتدقيق، وفهم يتمثل له المعقولات، تمثال المحسوسات من قسمي التصوّر والتصديق فكأنما عناه حمزة الحنفي بقوله:

بَلَغْتَ لِعَشْرٍ مَضَتْ مِنْ ... مَا بَلَغَ السَّيِّدُ الأَشْيَبُ

فَهَمُّكَ فِيهَا جِسَامُ الأُمُورِ ... وَهَمُّ لداتكَ أَنْ يَلْعَبُوا

ثم لما استفاد في هذه العلوم المتقدم ذكرها أتم استفادة وعرف من مسالك شعابها المعتسف والجادّة، شمَّر تشمير الطالب الراغب لطلب الحديث والنظر في علومه متنًا ورجالًا، وتصحيحًا وإعلالًا) التقصار للشجني ص (١٩-٢٠).

وحفظ الكثير من المختصرات العلمية في الفقه والأصول واللغة وغيرها، وكان - رحمه الله - كثير الاشتغال بمطالعة كتب التواريخ والأدب، وقد تتلمذ الإمام الشوكاني على والده فقرأ عليه في شرح الأزهار وشرح الناظري لمختصر العصيفري في الفرائض، ثم قرأ شرح الأزهار على عدة من علماء صنعاء، وخاصة العلامة أحمد بن محمد الحرازي - رحمه الله - فقد انتفع به في الفقه وعليه تخرج وطالت ملازمته له نحو ثلاث عشرة سنة، واهتم الإمام الشوكاني اهتمامًا

وعند هذا رميت بتلك القواعد من حالق، وطرحتها خلف الحائط ورجعت إلى الطريقة المربوطة بأدلة الكتاب والسنة المعمودة بالأعمدة التي هي أوثق ما يعتمد عليه عباد الله، وهم الصحابة ومن جاء بعدهم من علماء الأمة المقتدين بهم، السالكين مسالكهم، فطاحت الحيرة، وانجابت ظلمة العماية، وانقشعت سحابة الجهالة، وانكشفت ستر الغواية، ولله الحمد، على أني ولله الشكر لم اشتغل بهذا الفن إلا بعد رسوخ القدم في أدلة الكتاب والسنة، فكنت إذا عرضت مسألة من مسائله، مبنية على غير أساس رجعت إلى ما يدفعها من علم الشرع، ويدمغ زائفها من أنوار الكتاب والسنة، ولكني كنت أُقدّر في نفسي أنه لو لم يكن لدي إلا تلك القواعد والمقالات فلا أجد حينئذ إلا حيرة، ولا أمشي إلا في ظلمة، ثم إذا ضربت بها وجه قائلها ودخلت إلى تلك المسائل من الباب الذي أمر الله بالدخول منه كنت حينئذ في راحة من تلك الحيرة، وفي دعة من تلك الخزعبلات، والحمد لله رب العالمين عدد ما حمده الحامدون بكل لسان في كل زمان). أدب الطلب (١٩٨، ١٩٩).

كبيرًا بدارسة علوم الآلة والاجتهاد علي كثير من علماء بلده، وسمع كتب السنة -كالبخاري ومسلم والترمذي وأبي داود وغيرها من كتب السنة - على بعض علماء بلده، وقد فصَّل ذلك كله وبيَّن الكتب التي درسها ومشايخه فيها في ترجمته لنفسه في البدر الطالع، وقد أعانه والده على طلب العلم معونة عظيمة حتى قال الإمام الشوكاني: ولقد بلغ معي إلى حدٍّ من البر والشفقة والإعانة على طلب العلم والقيام بما أحتاج إليه مبلغًا عظيمًا بحيث لم يكن لي شُغلة بغير الطلب فجزاه الله خيرًا وكافأه الحسنى.

وقد ذكر الإمام الشوكاني أن دراسته كانت في صنعاء اليمن ولم يرحل لأعذار، أحدها عدم الإذن من الأبوين، ثم اجتهد - رحمه الله - في تدريس ما سمعه أو قرأه أو أخذه عن مشايخه، وقد أفاد منه طلبة العلم إفادة كبيرة، فكانوا يأخذون عنه في كل يوم زيادة على عشرة دروس في فنون: التفسير والحديث والأصول والنحو والصرف والمعاني والبيان والمنطق والفقه والجدل والعروض، وكان في أيام قراءته على الشيوخ وإقرائه لتلامذته يُفتي أهل مدينة صنعاء بل ومن وفد إليها بل ترد عليه الفتاوى من الديار التّهامية وشيوخه إذ ذاك أحياء، وكادت الفتيا تدور عليه من عوام الناس وخواصهم واستمر يُفتي من نحو العشرين من عمره فما بعد ذلك.

وللإمام الشوكاني مصنفات كثيرة مختصرة ومطولة معلومة عند طلبة العلم والعلماء بل بعضها مما لا يخفى على العوام، ومن أشهر كتبه في علم الفقه والحديث نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار، والسيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار، وفتح القدير في التفسير، وإرشاد الفحول في أصول الفقه، وقد ساق ـ رحمه الله ـ في ترجمته مجموعة كبيرة من مؤلفاته، وجمع من رسائله وأبحاثه في كتاب سماه (الفتح الرباني في فتاوى الشوكاني) ، وقد كان جميع ما تقدم من القراءة على شيوخه في تلك الفنون وقراءة تلامذته لها عليه مع غيرها، وتصنيف بعض مصنفاته قبل أن يبلغ أربعين سنة بل ألفَّ شرحه للمنتقى قبل ذلك وترك التقليد واجتهد رأيه اجتهادًا مطلقًا وهو قبل الثلاثين.

(ثم لما فهم هذه العلوم فَهْمَ مَنْ آنس منها رُشدًا وذاقها ذوق المشتار من مجاج النحل شهدًا، صار مطلق الاجتهاد ملك بنانه وطوع قلمه ولسانه، هيِّنًا ليِّنًا إذا قاده انقاد، وإذا أناخه استناخ، فباحث وناظر، وتعقب واعترض، وناقش وانتقد حتى سلَّم له فحول المعاصرين، وأصبحوا بين يديه خاضعين غير مفاخرين، وكان إذا تشذَّر لمباراته معاند أو جاحد أو استشرف لمقاولته مكابر أو حاسد، قطع لسانه ببيّنات الحجج، وحسم مادته بواضحات البراهين وقطْع اللجج، فانتشر ذكره وبعد صيته، وصارت الركبان بمعاليه وتحدّث السمّار ببركة أماليه،واستحكمت على قلوب الموافقين محبته، وتمكنت بأرواع المخالفين هيبته، فصار بحرًا مورودًا، وكهفًا مقصودًا،....) التقصار للشجني ص (٢٢، ٢٣).

وكان – رحمه الله – مشتغلًا في جميع أوقاته بالعلم درسًا وتدريسًا وإفتاءً وتصنيفًا، (ولما انتهى إلى غاية في علوم الاجتهاد لم يبلغها مشاركوه من مجتهدي زمانه، ودارت عليه رحى التدريس والإفتاء وقصده الطلبة من المحلات النائية، وأتته السؤالات المكرسة من علماء الأمصار في المسائل المشكلة وكذلك مما قرب من صنعاء ونواحيها لما عرفوا أنه ينهى عن أخذ الأجرة على الفتوى، ويلوم من أخذها وكادت شغلته بذلك أن تأتي على جميع أوقاته، توفي القاضي العلامة حاكم حكام صنعاء يحيى بن صالح السحولي – رحمه الله – فأمر الإمام المنصور – رحمه الله – بتغليق ديوان الحكم الذي يجتمع به أعيان الحكام بساحة دار الإمام وما زال يسأل عن شيخ الإسلام ليتعرف حاله ممن يدخل عليه من وزرائه فكلهم يقول: لا نعرف شخصه وإنما نعرف مكتوباته وشهرته، وبأنه قد صار الآن مرجع العلماء في الحضرة وذلك لتقبض شيخ الإسلام عن جميع أرباب الدولة بل عمّن لم يكن من أهل العلم على الإطلاق، وانكشف أن عند الإمام – رحمه الله – من أحواله مالم يكن عند أحد من أرباب دولته فأرسل إليه من ذات نفسه...... فألقى إليه الإمام - بعد أن بحث معه عن أوقاته وعدد أدواله (كذا في النسخة ولعل الصواب أولاده) وبعض أحواله –: أني قد رأيت بعد أن استخرت الله أن

أجعل إليك أمر الديوان، وأنيط بك أمر الحكام فامتنع شيخ الإسلام وقال: هذا أمر يقوم به بعض تلامذتي؛ لأن حاجة الناس إليّ فيما هو فوق ذلك أعظم وأنفع فيما يرجع إلى الديرة فقال له الإمام: .....هذا أمر لا يليق به تعلق غيرك مع وجودك، فانقضى المجلس أن شيخ الإسلام ينظر في أمره فلما ظهر الأمر وبلغ الخبر إلى أكابر من أعيان علماء العصر أن شيخ الإسلام لم يسعد إلى ما دعي إليه فوقع منهم التعويل عليه والإكثار وأخبروه بما سيترتب على امتناعه وأنه ربما تصدّر له من لا معرفة له بحقائق أحكام الله وشريعة رسول الله ﷺ فيكون عليه من إثم ما يصدر منه لامتناعه، وإنَّ تولي ذلك من أكبر ثمرة العلم وفائدته. وما زالوا به حتى أسعد الإمام المنصور......... فلما حصل منه الإسعاد استرّ بذلك أهل الفضل والدين وحمدوا الله على إناطة الشريعة بمن يعرف حقيقة كتاب الله وسنَّة رسول الله ﷺ، واشترط شيخ الإسلام شروطًا وفّى له بها حتى توفاه الله.

فمن جملة شروطه: أنه ينفذ كل أمر يأمر بإنفاذه كائنًا ما كان وعلى أي امرئ كان، ولو على الإمام نفسه، فأجاب عليه: إني إنما أنا منفذ لما قلته وحكمت به كائنًا ما كان، فبذلك صار الناس في الأحكام على منهج واحد لا فرق بين أمير ومأمور وجليل وحقير وغني وفقير وخادم ومخدوم، حتى لقد أنفذ الإمام -رحمه الله- أحكامه على نفسه وخاصة خواصه، وكان إذا سعى إليه ساع فيما فيه مخالفة لما قد حكم به شيخ الإسلام اشتد غضبه وتغير مزاجه ويقول: لم يكن معي إلا حاكم واحد قد جعلته بيني وبين الله ولم أعرف حاكمًا سواه -رضي الله عنه وغفر له وتجاوز عنه- وكذلك ولده المتوكل -رحمه الله- فإنه حذا حذو والده، وزاد في ذلك، حتى أنَّه كان لا يصدر أمرًا من أمر مملكته حتى يرسل وزيره الفقيه على بن إسماعيل فارع يشاور فيه شيخ الإسلام ويعمل بما يراه وكان إذا أنكر عليه شيخ الإسلام شيئًا وعاتبه عليه يكون جوابه عليه: إنك إذا لم ترني صالحًا لما أنا فيه أقمت غيري لهذا الأمر وسأكون معه سيفًا ويحلف له مع ذلك أنه فاعل ما قاله ويكرر منه ذلك مرارًا - فرحمه الله وغفر له - وكذلك ولده إمام الزمن وبيضة

الإسلام أمير المؤمنين المهدي لدين الله – حفظه الله – سلك في التعظيم مسلك أبيه وجده وزيادة – رضي الله عنهما –، وبعد أن ولي القضاء لم يزل مشغولًا بالتآليف المفيدة فإن أكبر تآليفه وأكثرها إنما كانت بعد أن ولي القضاء ووسّع الله له في أوقاته توسيعًا يلحق بالمعجز.... وأما القراءة فما زال مستمرًا على ذلك ولم يدع الاشتغال بالعلم وإن كان اشتغاله بعد توليه القضاء الأكبر ليس شيئًا بالنسبة إلى ما كان عليه قبل ذلك) التقصار ص (٤٢٣-٤٢٦)

وقال تلميذه الشجني أيضًا: (ثم لما طاب نشره، واستتبّ بدره، وفاض بحره وزخر، وقذف من الفوائد بفرائد الدرر، ولمعت أنوار كماله، وطلعت شموس سعادته وإقباله، واشتهر عنه أمران يقلّ وجودهما في شيب الزمان، دع عنك الأحداث والفتيان، وهما العلم المدروس، والورع المحروس، استدعاه أمير المؤمنين المنصور بالله أبو أحمد علي بن المهدي وعرض عليه تولي قضاء القضاة.....) التقصار للشجني ص (٢٤).

وهذا ما ذكره الإمام الشوكاني، حيث قال – في ترجمة الإمام خليفة عصره المنصور بالله علي بن الإمام المهدي، وقد ذكر وفاة القاضي المذكور–: (ولما كان في شهر رجب سنة (١٢٠٩) مات قاضيه...... وكنت إذ ذاك مشتغلًا بالتدريس في علوم الاجتهاد والإفتاء والتصنيف منجمعًا عن الناس لا سيما أهل الأمر وأرباب الدولة، فإني لا أتصل بأحد منهم كائنًا من كان، ولم يكن لي رغبة في سوى العلوم، وكنت أدرس الطلبة في اليوم الواحد ثلاثة عشر درسًا [٥]..... فلم أشعر إلا بطلاب لي من الخليفة بعد موت القاضي المذكور بنحو أسبوع فعزمت إلى مقامه العالي فذكر لي أنه قد رجح قيامي مقام القاضي المذكور فاعتذرت له بما كنت فيه من الاشتغال بالعلم، فقال: القيام بالأمرين ممكن وليس المراد إلا القيام بفصل ما

(٥) قال الشجني رحمه الله: (كان شيخ الإسلام يرى للعلم حقه ويعظمه حق تعظيمه، ويرى كل رئاسة ليست بشيء عند رئاسة العلم التي كان فيها كائنة ما كانت حتى أنه كان كثيرًا ما يقول بعد توليه القضاء: ما أراني إلا خسف بي) التقصار (٤٢٠).

يصل من الخصومات إلى ديوانه العالي في يومي اجتماع الحكام فيه، فقلت: سيقع مني الاستخارة لله والاستشارة لأهل الفضل وما اختاره الله ففيه الخير.

فلما فارقته ما زلت مترددًا نحو أسبوع ولكنه وفد إليّ غالب من ينتسب إلى العلم في مدينة صنعاء، وأجمعوا على أن الإجابة واجبة وأنهم يخشون أن يدخل في هذا المنصب الديني الذي إليه مرجع الأحكام الشرعية في جميع الأقطار اليمنية من لا يُوثق بدينه وعلمه، وأكثروا من هذا وأرسلوا إليّ بالرسائل المطولة فقبلت مستعينًا بالله ومتّكلًا عليه، ولم يقع التوقُّف على مباشرة الخصومات في اليومين فقط بل انثال الناس من كل محلٍّ فاستغرقت في ذلك جميع الأوقات إلا لحظات يسيرة قد أفرغتها للنظر في شيء من كتب العلم، أو لشيء من التحصيل وتتميم ما قد كنت شرعت فيه، واشتغل الذهن شُغلة كبيرة وتكدر الخاطر تكدُّرًا زايدًا...... ولكن شرح الله الصدر وأعان على القيام بذلك الشأن........ اهـ).

وكان دخوله -رحمه الله - في القضاء وهو ما بين الثلاثين والأربعين وبالتحديد وهو في السادسة والثلاثين من عمره، وقد ذكر الإمام الشوكاني في ترجمته لشيخه الحسن بن إسماعيل المغربي - رحمه الله - أنه كان يتحدث في غيبته أنه يخشى عليه من عوارض العلم الموجبة للاشتغال عنه، قال الشوكاني: فما أصدق حدسه، وأوقع فراسته، فإني ابتليت بالقضاء بعد موته بسنة. اهـ نقلًا من ترجمته وترجمة والده في البدر الطالع.

وقد بقي - رحمه الله - على هذا الحال في القضاء والتأليف والتدريس والإفتاء إلى أن توفاه الله - سبحانه وتعالى - سنة (١٢٥٠هـ)، وقد ظهر أثر دعوته على الخاص والعام ونفع الله به الأنام، وأزال به كثيرًا من البدع والآثام العظام، وكان من بركة علمه وعظيم إخلاصه -كما نحسبه رحمه الله - بقاء أثره في العلم والعلماء ومحبي الحق

إلى يومنا هذا وسيبقى أثره وأثر دعوته ـ كما نسأل الله ـ إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، والله نسأل أن لا يحرمنا أجره وأن ينفعنا بعلمه وأن يجمعنا به في دار كرامته ومستقر أهل طاعته مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.

باب
في أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

(العلم أمانة، وأهله أمناء الله عليه، وحججه على خلقه، وورثة أنبيائه، والمترجمون له لعباده، والمبينون لهم ما نزل إليهم، فما أحقهم أن لا يخونوا هذه الأمانة، ويخيسوا في الميثاق، ويخفروا ذمة الله، وذمة رسوله) الفتح الرباني ص (٤٦٣٠).

و(أدلة الكتاب والسنة الكثيرة المتوافرة قد دلت على أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب على كل مسلم، وهذا هو أعظم أعمدة الدين، وأقوى أساساته، وأرفع مقاماته،.... فإذا قام بذلك الإمام فهو رأس الأمة وصاحب الولاية العامة، وكان قيامه مسقطًا للوجوب عن غيره، وإن لم يقم فالخطاب بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر باقٍ على كل مكلف يقدر على ذلك، والعلماء والرؤساء لهم مزيد خصوصية في هذا؛ لأنهم رءوس الناس والمُمَيزون بينهم بعلو القدر ورفعة الشأن) السيل الجرار (٣/ ٧١٣).

(والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هما العمادان العظيمان من أعمدة الدين، والركنان الكبيران من أركانه، ولا يتسع لما ورد في ذلك من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية إلا مؤلف مستقل، وهو مجمع على وجوبهما إجماعًا معلومًا من سابق هذه الأمة ولاحقها لا يُعلم في ذلك خلاف،....) السيل الجرار (٣/ ٧٩٢).

فـ(هما أعظم أساطين الدين، وحكم قناطر المسلمين، وأهم أحكام الشريعة المطهرة، بل هما إذا كانا قائمين كان الدين على أتم قيام، وأكمل نظام، وإن لم يكونا قائمين في العباد، ولم يوجد في البلاد من يقوم بهما: تخولفت الشرائع الإسلامية، وتعطلت الشرائع الإيمانية، وقال من شاء من أهل الجسارة ما شاء،

وفعل من لم يكن له زاجر ديني ما أراد، لعدم وجود من يأخذ على أيديهم من القائمين بحجة الله في عباده؛ ولهذا وردت الآيات القرآنية، والأحاديث الصحيحة في الحث على ذلك، والمدح العظيم لفاعلها، والزجر الوخيم لتاركهما، فمن قدر على ذلك فقد حمل العبء الكبير، وقام بالأمر الجليل الخطير، ولا يزال يزداد قوّة وتمكنًا وثباتًا، حتى يتم له ما لم يكن في حساب، ولا خطر له على بال، ولا مرّ له على خيال، وصار رأسًا للفرقة التي قال فيها الصادق المصدوق: «**لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين**» [٦]، وكان من القائمين بحجة الله في بلاده، على عباده، وفاز بالأجر العظيم الذي وعد الله سبحانه به عباده الصالحين، القائمين بما قام به، وإن أدرك من النفس الأمارة بعض جبن في بعض الأحوال، وأَنِس من طبيعته خَورًا وضعفًا في بعض المقامات، فليعلم أن ذلك من وسوسة الشيطان الرجيم، لأنه أشد عليه من القائمين في مقامات العبادة والقاعدين في مقاعد الزهد والورع، والمستكثرين من طاعة الله عز وجل، والعازفين نفوسهم عن معاصيه، وذلك أن كل واحد من هؤلاء صار يجاهد الشيطان عن نفسه ويدفعه عن حوضه، ويفارقه عن عُشِّه وبيضه، ويذوده عن أن يتعرض لشيء من طاعاته بالتشكيك عليه، أو الوسوسة له، وهذه مصلحة خاصة بنفس هذا الرجل الصالح المشتغل بمراضي الله عز وجل، المجتنب لمغاضبه.

وأما القائم بما أمره به من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فهو قائم لإصلاح عباد الله، بعد إصلاحه نفسه، فلا يزال زاجرًا لهم عن المنكرات، مرغبًا لهم في أنواع الطاعات، ومحذرًا لهم من مكر الشيطان الرجيم، مبيِّنًا لهم ما ينصبه

---

(٦) من حديث المغيرة بن شعبة ﷺ، رواه البخاري: كتاب الاعتصام، باب قول النبي ﷺ: « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق » وهم أهل العلم ح(٧٣١١)، ومسلم كتاب الإمارة باب قوله ﷺ: « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم ». ح(١٩٢١). قال الشيخ الألباني - رحمه الله -: واعلم أن الحديث صحيح ثابت مستفيض، أو متواتر، ورد عن جماعة من الصحابة. اهـ. ثم ذكرهم، الصحيحة ح(٢٧٠)، وانظر هذا الحديث عن جمع من الصحابة ﷺ في الصحيحة من ح (١٩٥٥-١٩٦٢).

من حبائل الخذلان لعباد الله، وما يُزَيِّنُه لمن لم يرسخ قدمه في الإيمان، ومن هذه الحيثية كان مقامه عام النفع ومصلحته شاملة للجمع الجم، فهو في حكم المُصاوِل للشيطان عن عباد الله سبحانه، المحاول له عن أن يريد الإغواء بالأهواء، والاستدراج بشهوات الأنفس، من التنعُّم باللذات، والتمتُّع بالمحرَّمات، والتلذذ بالموبقات، فهو العدو الأكبر لفريق الشياطين أجمعين، والقائم في كل مواطنه بالمحاربة لهم، عن أن يتم كيدُهم على أحد من عباد الله الصالحين، والمُصاولة لهم عن أن يتسلّطوا على أحد من المؤمنين أجمعين....).
الفتح الرباني ص (٤٦٨٥-٤٦٨٧).

فـ(الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، هما من أعظم عمُد الدين؛ لأن بهما حصول مصالح الأولى والأخرى، فإن كانا قائمين قام بقيامهما سائر الأعمدة الدينية، والمصالح الدنيوية، وإن كانا غير قائمين لم يكثر الانتفاع بقيام غيرهما من الأمور الدينية والدنيوية، وبيان ذلك، أن أهل الإسلام إذا كان الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر فيهم ثابت الأساس، والقيام به شأن الكل أو الأكثر من الناس، فالمعروف بينهم معروف، وهم يد واحدة على إقامة من زاغ عنه، وردِّ غواية من فارقه، والمنكر لديهم منكر، وجماعتهم متعاضدة عليه، متداعية عليه، متناصرة على الأخذ بيد فاعله وإرجاعه إلى الحق، والحيلولة بينه وبين ما قارفه من الأمر المنكر.

فعند ذلك لا يبقى أحد من العباد في ظاهر الأمر تاركًا لما هو معروف، ولا فاعلًا لما هو منكر، لا في عبادة، ولا في معاملة، فتظهر أنوار الشرع، وتسطع شموس العدل، وتَهُبُّ رياح الدِّين، وتستعلنُ كلمة الله في عباده وترتفع أوامره ونواهيه، وتقوم دواعي الحق، وتسقط دواعي الباطل، وتكون كلمة الله هي العليا، ودينه هو المرجوع إليه والمعمول به، وكتابه الكريم، وسُنَّةُ رسوله المصطفى ﷺ المعيار الذي توزن به أعمال العباد، ويرجع إليهما في دقيق الأمور وجليلها؛ وبذلك تنجلي ظلمات البدع، وتنقصم ظهور أهل الظلم، وتنكسر

نفوس أهل معاصي الله، وتخفق رايات الشرع في أقطار الأرض، وتضمحل جولات الباطل في جميع بلاد الله عز وجل.

أما إذا كان هذان الركنان العظيمان غير قائمين، أو كانا قائمين صُوريًّا لا حقيقيًّا فيالك من بدع تظهر، ومنكرات تُستَعلن، ومن معروفات تستخفي، ومن جولات للعصاة وأهل البدع تقوى وترتفع، ومن ظلمات بعضها فوق بعض تظهر في الناس، ومن هَرْج وَمرْج في العباد يبرزون للعيان، وتقرُّ به عين الشيطان، وعند ذلك يكون المؤمن كالشاة العائرة، والعاصي كالذئب المفترس، وهذا بلا شك ولا ريب هو الممحي رسوم الدين، وذهاب نور الهدى، وانطماس معالم الحق....) الفتح الرباني ص (٥٥٧٦، ٥٥٧٧).

(ومن كان أقدر على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كان ذنبه أشد، وعقوبته أعظم، ومعصيته أفظع بهذا جاءت حُجج الله وقامت براهينه، ونطقت بها كتبه، وأبلغت إلى عباده رسله.) الفتح الرباني ص (٥٧٣٧، ٥٧٣٨).

و(قد دلت الأدلة القرآنية، والأحاديث الصحيحة النبوية، أن العقوبات العامة لا تكون إلا بأسباب، أعظمها: التهاون بالواجبات، وعدم اجتناب المحرمات، فإن انضمَّ إلى ذلك ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من المكلفين به، لا سيما أهل العلم، وأهل الأمر القادرين على إنفاذ الحق، ودفع الباطل كانت العقوبة قريبة الحدوث، ولا حاجة بنا هاهنا إلى إيراد الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، فهي معروفة عند المقصر والكامل.) الفتح الرباني ص(٥٧٣٣).

ولا شك أن إنكار المنكر العظيم الذي عليه الرافضة، وبيان المعروف الذي أماتته الروافض من أعظم ما أمر الله به، فالروافض لا يخفى أن (**كيدهم العتيد وحسدهم الشديد مستمر إلى الآن والله ناصر دينه، ورافع أعلام شريعته، وكابت من رام أهلها، أو رام الحاملين لها بكيد أو مكر. ولا يحيق المكر السيئ إلا**

بأهله..... وواجب على كل من له ولاية يأمر فيها بمعروف أو ينهى عن منكر أن يجعل نهي المنكر الذي عليه هؤلاء عنوان كل نهي ينهى به عن منكر، فإنهم في الحقيقة إنما يطعنون على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ بأن ما فيهما من الشريعة قد صار منسوخًا، ويطعنون على علماء الدين من السلف الصالح، ومن مشى على هديهم القويم، ويدفعون بالرأي الذي هو ضد للشريعة، ما شرعه الله لعباده، وهم بهذه المنـزلة من الجهل البسيط أو المركب.

فهل سمعت أذناك بمنكر مثل هذا المنكر، وبلية في الدين مثل هذه البلية، ورزية في الملة الإسلامية مثل هذه الرزية ؟؟ فإن النيل من عرض فرد من أفراد المسلمين منكر لا يخالف فيه مسلم إذا كان على طريق الغيبة أو البهتان، أو على طريق الشتم مواجهة، ومكافحة.

فكيف بمن جاء بما هو أعظم البهتان، وأقبح الشتيمة للشريعة المحمدية، والدين الإسلامي، ولعلماء المسلمين سابقهم ولاحقهم ؟!. فيا لله للمسلمين يالله للمسلمين، يالله وللمسلمين!!.....) قطر الولي (٣٥٧،٣٥٢-٣٥٨).

باب
في حقيقة الروافض

سأذكر لك أخي طالب الحق في هذا الباب نقولًا عن الإمام الشوكاني يبين فيها - رحمه الله - حقيقة الروافض وحقيقة مذهبهم، وقد اقتبست هذه النقول من ثنايا كلامه في ردوده عليهم مما تجده في هذا الكتاب، وأردت بهذا النقل أن ألخص لك موقف الإمام الشوكاني من هذه الفرقة الزائغة.

قال - رحمه الله -: (**أصل هذا المظهر الرافضي مظهر إلحاد وزندقة، جعله من أراد كياد الإسلام سترًا له فأظهر التشيع والمحبة لآل الرسول ﷺ استجذابًا لقلوب الناس لأن هذا أمر يرغب فيه كل مسلم وقصدًا للتغرير عليهم، ثم أظهر للناس أنه لا يتم القيام بحق القرابة إلا بترك حق الصحابة ثم جاوز ذلك إلى إخراجهم - وصانهم الله - عن سبيل المؤمنين، ومعظم ما يقصده بهذا هو الطعن على الشريعة وإبطالها؛ لأن الصحابة ﷺ هم الذين رووا للمسلمين علم الشريعة من الكتاب والسنة. فإذا تم لهذا الزنديق باطنًا الرافضي ظاهرًا القدح في الصحابة وتكفيرهم والحكم عليهم بالردة بطلت الشريعة بأسرها، لأن هؤلاء هم حملتها الراوون لها عن رسول الله ﷺ، فهذا هو العلة الغائية لهم، وجميع ما يتظهرون به من التشيع كذب وزور، ومن لم يفهم هذا فهو حقيق بأن يتهم نفسه ويلوم تقصيره**).

فـ(**أصل دعوتهم لكياد الدين ومخالفة شريعة المسلمين، يعرف ذلك من يعرفه ويجهله من يجهله، والعجب كل العجب من علماء الإسلام وسلاطين هذا الدين كيف تركوهم على هذا المنكر البالغ في القبح إلى غايته ونهايته !؟ فإن هؤلاء المخذولين لَمَّا أرادوا ردَّ الشريعة المطهرة ومخالفتها طعنوا في أعراض الحاملين لها الذين لا طريق لنا إليها إلا من طريقهم واستذلوا أهل العقول الضعيفة والإدراكات الركيكة بهذه الذريعة الملعونة والوسيلة الشيطانية، فهم يظهرون**

السب واللعن لخير الخليقة ويضمرون العناد للشريعة ورفع أحكامها عن العباد).

(وبالجملة فإذا رأيت رجلًا قد انتهى به الرفض إلى ذم السلف الصالح والوقيعة فيهم وإن كان ينتمي إلى غير مذهب الإمامية فلا تشك في أنه مثلهم فيما قدمنا لك، وجرِّبْ هذا إن كنت ممن يفهم فقد جرّبناه وجربه من قبلنا، فلم يجدوا رجلًا رافضيًّا يتنـزه عن شيء من محرمات الدين كائنًا ما كان ولا تغتر بالظواهر فإن الرجل قد يترك المعصية في الملأ ويكون أعف الناس عنها في الظاهر وهو إذا أمكنته فرصة انتهزها انتهاز من لا يخاف نارًا ولا يرجو جنة).

وأما دعواهم حب آل البيت فـ(قد علم الله وعلم كل من له فهم أنهم ليسو من ذلك في قبيل ولا دبير، بل ليس عندهم إلا التهاون بالشريعة الإسلامية والتلاعب بالدين، والطعن على الأنبياء ـ صلوات الله عليهم وسلامه ـ فضلًا عن غيرهم من المتمسكين بالشرع. وكل عارف إذا سمع كلامهم وتدبر أبحاثهم يتضوع له منها روائح الزندقة بل قد يقف على ما هو صريح الكفر الذي لا يبقى معه ريب).

وأما موقف الرافضة من مخالفيهم فيقول الإمام الشوكاني: (وهكذا من ألقى مقاليد أمره إلى رافضي وإن كان حقيرًا فإنه لا أمانة لرافضي قط على من يخالفه في مذهبه ويدين بغير الرفض بل يستحل ماله ودمه عند أدنى فرصة تلوح له، لأنه عنده مباح الدم والمال وكل ما يظهره من المودة فهو تقيّة[7] يذهب أثره

---

(٧) الرافضة (شعار دينهم التقية التي هي أن يقول بلسانه ما ليس في قلبه، وهذا علامة النفاق) منهاج السنة (٧/ ١٥١) (فإن أساس النفاق الذي بُني عليه الكذب، وأن يقول الرجل بلسانه ما ليس في قلبه، كما أخبر الله تعالى عن المنافقين أنهم يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم. والرافضة تجعل هذا من أصول دينها وتسميه التقية، وتحكي هذا عن أئمة أهل البيت الذين برأهم الله عن ذلك، حتى يحكوا عن جعفر الصادق أنه قال: التقية ديني ودين آبائي. وقد نزَّه الله المؤمنين من أهل البيت وغيرهم عن ذلك، بل كانوا من أعظم الناس صدقًا وتحقيقًا للإيمان، وكان دينهم التقوى لا التقية.

وقول الله تعالى: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ

ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ﴾ [آل عمران: ٢٨] إنها أمر الله بالاتقاء من الكفار لا الأمر بالنفاق والكذب. والله تعالى قد أباح لمن أُكره على كلمة الكفر أن يتكلم بها إذا كان قلبه مطمئنًا بالإيمان، لكن لم يكره أحد من أهل البيت على شيء من ذلك......فعُلم أن ما تتظاهر به الرافضة هو من باب الكذب والنفاق وأن يقولوا بألسنتهم خلاف ما في قلوبهم، لا من باب ما يُكره المؤمن عليه من التكلم بالكفر.) منهاج السنة (٢/ ٤٦-٤٨).

وقال في تفسير الآية (التقاة ليس بأن أكذب وأقول بلساني ما ليس في قلبي، فإن هذا نفاق، ولكن أفعل ما أقدر عليه.....أما الرافضي فلا يعاشر أحدًا إلا استعمل معه النفاق، فإن دينه الذي في قلبه فاسد، يحمله على الكذب والخيانة، وغش الناس، وإرادة السوء بهم، فهو لا يألوهم خبالًا، ولا يترك شرًّا يقدر عليه إلا فعله بهم، وهو ممقوت عند من لا يعرفه، وإن لم يعرف أنه رافضي تظهر على وجهه سيما النفاق وفي لحن القول؛ ولهذا تجده ينافق ضعفاء الناس ومن لا حاجة به إليه، لما في قلبه من النفاق الذي يضعف قلبه) منهاج السنة (٦/ ٤٢٢- ٤٢٥).

وقال رحمه الله: (الرافضة هم أجهل الطوائف وأكذبها وأبعدها عن معرفة المنقول والمعقول، وهم يجعلون التقية من أصول دينهم، ويكذبون على أهل البيت كذبًا لا يحصيه إلا الله حتى يرووا عن جعفر الصادق أنه قال: التقية ديني ودين آبائي. و «التقية»: هي شعار النفاق؛ فإن حقيقتها عندهم أن يقولوا بألسنتهم ما ليس في قلوبهم وهذا حقيقة النفاق. ثم إذا كان هذا من أصول دينهم صار كل ما ينقله الناقلون عن علي أو غيره من أهل البيت مما فيه موافقة أهل السنة والجماعة يقولون: هذا قالوه على سبيل التقية) الفتاوى (١٣/ ٢٦٣) (أما سبب هذا الغلو في أمر التقية فيعود إلى عدة أمور منها: أولًا: أن الشيعة تعد إمامة الخلفاء الثلاثة باطلة، وهم ومن بايعهم في عداد الكفار، مع أن عليًّا بايعهم، وصلى خلفهم، وجاهد معهم، وزوجهم وتسرى من جهادهم، ولما ولي الخلافة سار على نهجهم ولم يغير شيئًا مما فعله أبو بكر وعمر، كما تعترف بذلك كتب الشيعة نفسها، وهذا يبطل مذهب الشيعة من أساسه.. فحاولوا الخروج من هذا التناقض المحيط بهم بالقول بالتقية. ثانيًا: أنهم قالوا بعصمة الأئمة وأنهم لا يسهون ولا يخطئون ولا ينسون، وهذه الدعوى خلاف ما هو معلوم من حالهم.. حتى إن روايات الشيعة نفسها المنسوبة للأئمة مختلفة متناقضة حتى لا يوجد خبر منها إلا وبإزائه ما يناقضه، كما اعترف بذلك شيخهم الطوسي، وهذا ينقض مبدأ العصمة من أصله. فقالوا بالتقية لتبرير هذا التناقض والاختلاف والتستر على كذبهم، روى صاحب الكافي عن منصور بن حازم قال: «قلت لأبي عبد الله – عليه السلام -: ما بالي أسألك عن المسألة فتجيبني فيها بالجواب، ثم يجيئك غيري فتجيبه فيها بجواب آخر؟ فقال: إنا نجيب الناس على الزيادة والنقصان..» (أصول الكافي: ١/ ٦٥.). قال شارح الكافي: «أي زيادة حكم عند التقية، ونقصانه عند عدمها....».

ثالثًا: تسهيل مهمة الكذابين على الأئمة ومحاولة التعتيم على حقيقة مذهب أهل البيت بحيث

بمجرد إمكان الفرصة، وقد جربنا هذا تجريبًا كثيرًا فلم نجد رافضيًّا يخلص المودة لغير رافضي وإن آثره بجميع ما يملكه، وكان له بمنـزلة الخول وتودد إليه بكل ما أمكن، ولم نجد في مذهب من المذاهب المبتدعة، ولا غيرها ما نجده عند هؤلاء من العداوة لمن خالفهم).

(ولم أجد أهل ملة من الملل ولا فرقة من الفرق الإسلامية، أشد بهتًا وأعظم كذبًا وأكثر افتراءً من الرافضة، فإنهم لا يبالون بما يقولون من الزور كائنًا ما كان، ومن كان مشاركًا لهم في نوع من أنواع الرفض وإن قلّ كان فيه مشابهة لهم بقدر ما يشاركهم فيه، فهذا الذي نجده في ديارنا هذه يختلف باختلاف المشاركة المذكورة، فمن تلاعب به الشيطان، ولم يزل ينقله من درجة إلى درجة حتى وصل به إلى الرفض البحت كما تشاهده في جماعة، فلا مطمع في كفه عن الطعن والثلب لخير القرون فضلًا عن أهل عصره، وليس يفلح من كان هكذا ولا يرجع إلى حق ولا ينـزع عن باطل، فإن تظاهر بالإنصاف والإقلاع عن البدعة والتلبس بالسنة فالغالب أن ذلك يكون لجلب مصلحة له دنيوية أو دفع مفسدة يخشى ضررها،

يوهمون الأتباع أن ما ينقله (واضعو مبدأ التقية)عن الأئمة هو مذهبهم، وأن ما اشتهر وذاع عنهم، وما يقولونه، ويفعلونه أمام المسلمين لا يمثل مذهبهم وإنما يفعلونه تقية فيسهل عليهم بهذه الحيلة رد أقوالهم، والدس عليهم، وتكذيب ما يروى عنهم من حق، فتجدهم مثلًا يردون كلام الإمام محمد الباقر أو جعفر الصادق الذي قاله أمام ملأ من الناس، أو نقله العدول من المسلمين بحجة أنه حضره بعض أهل السنة فاتقى في كلامه، ويقبلون ما ينفرد بنقله الكذبة أمثال جابر الجعفي بحجة أنه لا يوجد أحد يتقيه في كلامه...... رابعًا: وُضع مبدأ التقية لعزل الشيعة عن المسلمين، لذلك جاءت أخبارهم فيها على هذا النمط، يقول إمامهم (أبو عبد الله): «ما سمعتَ مني يشبه قول الناس فيه التقية، وما سمعت مني لا يشبه قول الناس فلا تقية فيه» [بحار الأنوار: ٢/ ٢٥٢، وعزاه إلى تهذيب الأحكام للطوسي.]. وهذا مبدأ خطير، تطبيقه يخرج بالشيعة من الإسلام رأسًا وينظمهم في سلك الملاحدة والزنادقة؛ لأنهم جعلوا مخالفة المسلمين هي القاعدة، فتكون النتيجة أنهم يوافقون الكافرين ويخالفون المسلمين، فانظر إلى أي مدى لعب بهم زنادقة القرون البائدة). اهـ من كتاب أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثنى عشرية وفيه مبحث مهم عن التقية فليراجع.

ولا يصح إلا في أندر الأحوال، فالهداية بيد الله يهدي من يشاء).

أما عن رافضة اليمن فيقول: (وما علمنا أن رافضيًّا أفلح في ديارنا هذه قط.).

وقال - رحمه الله - في الموقف من خلاف الرافضة لأهل الحق في الأصول والفروع: (ومثل الروافض والخوارج من فرق الضلال ليسوا ممن ينبغي أن يشتغل بشأنهم ولا بتدوين مقالاتهم الباطلة ولا يقدح خلافهم في إجماع الأمة الإسلامية) (وليسوا ممن يُحتاج إلى دفع أقوالهم، ولا هم ممن يقدح في الإجماع فإنهم في غالب ما هم عليه مخالفون للكتاب والسُنَّة ولجميع المسلمين)، (فإنهم يخالفون كل السنن ويدافعون كل حق).

وقال: (وأما الرافضة، والخوارج، وأهل البدع فلا عبرة بكلامهم، ولا يُعد خلافهم خلافًا، وإنما هو شذوذ، وميل عن الصراط المستقيم).

(فتقرر لك بهذا أن من قدر على إنكار صنيع الرافضة ولم يفعل فقد رضي بأن تنتهك حرمة الإسلام وأهله، وسكت على ما هو كفر متضاعف كما سلف، وأقل أحواله أن يكون كفرًا بتكفير الأكثر من الصحابة، ومن سكت عن إنكار الكفر مع القدرة عليه فقد أهمل ما أمر الله سبحانه في كتابه من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فلا بكتاب الله – سبحانه - ولا بسنة رسوله ﷺ اقتدى).

باب
في خطورة الدعوة إلى التقريب بين أهل السنة والرافضة

أخي المسلم بعد معرفة حقيقة مذهب الرافضة، وشدة فساد اعتقادهم وبُعدهم عن روح الإسلام وانسلاخهم من أصول الديانة الحقة كيف يغتر مغتر بقول بعض من يهوِّن – جهلًا وهوًى- الخلاف مع هذه الفرقة الخطيرة، ذات العقائد المخالفة لأصول الدين وأسسه؟ ولقد عجبت أشد العجب من قول بعض من يحسب على بعض الحركات الإسلامية! حيث قال أحدهم: نحن والرافضة الإمامية الجعفرية ديننا واحد، ونبينا واحد، وقبلتنا واحدة فلماذا الخلاف(٨)؟!! ولكي لا يغتر مغتر بدعوات التقارب بين السنة والرافضة، فإن هذا التقارب المزعوم إنما هو دعوى فارغة، فالواقع يدل أن الرافضة يستغلون ذلك؛ لزعزعة الحق في نفوس أهله، والتغرير بهم، وهم إنما يتعاملون – مع من

---

(٨) كيف يكون ديننا واحدًا والرافضة تعتقد تحريف القرآن، وكتبهم تشهد بذلك إذ فيها نصوص صريحة تنص على هذه العقيدة التي هي كفر بالله وكتبه ورسله، ومن أنكر ذلك منهم تقية فنقول له ما حكم أئمتكم الذين قالوا بهذه المقالة عند هذا سيظهر حقيقة إيمانهم ومعتقدهم. ثم عقائد هذه الفرقة تعارض صريح القرآن فأين الإيمان بالقرآن، أين الإيمان بالآيات التي فيها بيان مكانة الصحابة الكرام عند ربهم، وفيها بيان مكانة أزواج النبي ﷺ وأمهات المؤمنين رضي الله عنهن، أين الإيمان بالآيات التي تحصر التشريع بالوحي وهو القرآن والسنة. ثم كيف يكون ديننا واحدًا وهم عباد للقبور مستغيثون بالموتى، ثم كيف يكون نبينا واحدًا وقد كفر الرافضة بسنته وهديه وكذبوا نقلة الوحي بل كفروهم، كيف يكون نبينا واحدًا وهم قد أعطوا حق التشريع من زعموا عصمتهم ونسبوا إليهم ما يعارض الكتاب المستبين والسنة المتواترة وما أجمع عليه المسلمون وتدينوا بها يخالف الوحي من عقائد وشرائع، كيف يكون نبينا واحدًا وهم يعتقدون في أزواجه ﷺ أمهات المؤمنين أنهن إما كوافر وإما زوانٍ، ويعتقدون في أصحابه وأعوانه ونقلة الوحي من المهاجرين والأنصار ناقلي الوحي وفاتحي الأمصار أنهم قد كفروا إلا نفرًا يسيرا. فنعوذ بالله من الحور بعد الكور ومن الضلالة بعد الهدى، ومن الغي بعد الرشاد.

يجهل حالهم - بالتقية حتى يصلوا إلى مرادهم وغاية مقصودهم وهو أن يتنازل صاحب الحق عن الحق الذي معه أو عن بعضه، والتنازل عن الحق الذي جاء به الله وجاء به رسوله ﷺعلامة رقة الديانة وضعف التعبد وقلة اليقين وعدم الرسوخ في التقوى والعلم، والتهوين من الخلاف مع الرافضة علامة الإرجاء المقيت، وشأن من لم يرفع رأسًا بنصرة السنة والعقيدة الصحيحة التي كان عليها سلف الأمة تلك العقيدة القائمة على الولاء - لله ولرسوله وللمؤمنين ورأس المؤمنين بعد الأنبياء هم صحابة النبي ﷺ- والبراء، فكيف يهوَّن الخلاف مع مثل هذه الفرقة الخطيرة التي مرقت من الدين كما يمرق السهم من الرمية. أقول ما سبق من الكلام، وحب الخير لإخواني المنتسبين إلى السنة يملأ قلبي، وإرادة الخير لهم هي التي قادتني لقول ما سبق بل لكتابة هذا البحث وتأليف هذا الكتاب،

فَقَسَا لِيَزْدَجِرُوا وَمَنْ يَكُ حَازِمًا　　فَلْيَقْسُ أَحْيَانًا عَلَى مَنْ يَرْحَمُ

فليحذر المنتسب إلى السنة - من جميع الطوائف - من هذه الدسيسة الخبيثة، وتلك الجهالة الموصلة على لج العماية ونهاية الغواية، وفق الله الجميع لمعرفة الحق واتباعه.

والقاعدة الشرعية في كل خلاف في العقائد والأحكام: أن يكون الرجوع إلى الكتاب والسنة بالتحاكم إليهما؛ كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩] قال الإمام الشوكاني: (وقد أجمع الناس سابقهم ولاحقهم أن الرد إلى كتاب الله ـ سبحانه ـ وإلى سنة رسوله، هو الواجب على جميع المسلمين، ومن رد إلى غيرهما فهو عاص لله ورسوله مخالف للكتاب العزيز، والسنة المطهرة. ولا فرق بين التنازع في الحقير والكثير؛ فإن قوله: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ﴾ نكرة في سياق الشرط، وهي من صيغ العموم فتشمل كل ما يصدق عليه الشيء من الأشياء الشرعية. فالواجب عند التنازع فيه رده إلى ما أمر الله بالرد إليه بقوله: ﴿فَرُدُّوهُ إِلَى

ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾، ثم قال: ﴿إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾. فجعل هذا الرد من موجبات الإيمان، وعدمه من موجبات عدمه؛ فإذا انتفى الرد انتفى الإيمان.

وقال سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب:٣٦]. فأخبر سبحانه، أنه ما صح ولا استقام لأحد من المؤمنين والمؤمنات أن يختار غير ما قضى به الله ورسوله.

وقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الحجرات: ١]. أي: لا تقدموا بأقوالكم بين يدي قول الله ورسوله، بل قولوا كما يقول الله ورسوله). قطر الولي (٣١٨-٣١٩).

فإذا كان هذا هو الواجب الشرعي الذي هو دليل الإيمان، فكيف تبلغ رقة الدين عند بعض الجهلة بحقيقة الروافض؟ بل عند بعض من يشار إليهمَ بالبنان من رموز بعض الحركات الإسلامية؟ كيف تبلغ بهم رقة الدين، وتمييع العقيدة والتنازل عن الثوابت، أن يدعو هذه الدعوة - دعوة التقريب بين السنة والشيعة- فيتنازل السني عن بعض ثوابته التي دل عليها الكتاب والسنة ويبقى الرافضي على عقيدته في الطعن في رسول الله ﷺ لطعنه في أزواجه إمهات المؤمنين، وسب أصحابه وتكفيرهم، واعتقاد العقائد الخطيرة المناقضة لثوابت الإسلام وأصول الإيمان.

وبسبب هذه الدعوة التي لم تُبن على أساس من الشريعة، اخترق الرافضة أهل السنة فبثوا عقائدهم الباطلة، وأوغروا الصدور على أمهات المؤمنين وعلى أصحاب رسول الله ﷺ، فمتى يستيقظ النائمون، وينتبه الغافلون؟!!

قال الإمام الشوكاني: (والحاصل أن كل ما لم يأت به الكتاب والسنة فهو من هوى الأنفس كما قال سبحانه: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [القصص: ٥٠]. فقسّم سبحانه الأمر إلى قسمين لا ثالث لهما: إما

الاستجابة لله وللرسول باتباع الكتاب والسنة، أو اتباع الهوى، فكل ما لم يكن في الكتاب والسنة فهو من الهوى، كما قال تعالى: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾ [ص: ٢٦].

فقسم سبحانه الحكم بين الناس إلى أمرين: إما الحكم بالحق الذي جاء به الكتاب والسنة، أو الهوى وهو ما خالفهما. وقال سبحانه لنبيه ﷺ: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الجاثية: ١٨-١٩]. وقال سبحانه: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٣]. قطر الولي (٣١٧، ٣١٨).

وقوله تعالى: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ١٤٥] (فيه من التهديد العظيم والزجر البليغ ما تقشعر له الجلود وترجف منه الأفئدة، وإذا كان الميل إلى أهوية المخالفين لهذه الشريعة الغراء والملَّة الشريفة من رسول الله ﷺ الذي هو سيد ولد آدم يوجب عليه أن يكون ـ وحاشاه ـ من الظالمين، فما ظنك بغيره من أمته ؟ وقد صان الله هذه الفرقة الإسلامية بعد ثبوت قدم الإسلام وارتفاع مناره عن أن يميلوا إلى شيء من هوى أهل الكتاب، ولم تبق إلا دسيسة شيطانية ووسيلة طاغوتية وهي ميل بعض من تحمَّل حجج الله إلى هوى بعض طوائف المبتدعة، لما يرجوه من الحطام العاجل من أيديهم أو الجاه لديهم إن كان لهم في الناس دولة أو كانوا من ذوي الصولة، وهذا الميل ليس بدون ذلك الميل، بل اتباع أهوية المبتدعة تشبه اتباع أهوية أهل الكتاب، كما يشبه الماء الماء والبيضة البيضة والتمرة التمرة، وقد تكون مفسدة اتباع أهوية المبتدعة أشد على هذه الملة من مفسدة اتباع أهوية أهل الملل، فإن المبتدعة ينتمون إلى الإسلام ويظهرون للناس أنهم ينصرون الدين ويتبعون أحسنه وهم على العكس من ذلك والضد لما هنالك، فلا يزالون ينقلون من يميل إلى أهويتهم

من بدعة إلى بدعة، ويدفعونه من شنعة إلى شنعة، حتى يسلخوه من الدين ويخرجوه منه وهو يظن أنه منه في الصميم وأن الصراط الذي هو عليه هو الصراط المستقيم، هذا إن كان في عداد المقصرين ومن جملة الجاهلين، وإن كان من أهل العلم والفهم المميزين بين الحق والباطل كان في اتِّباعه لأهويتهم ممن أضله الله على علم وختم على قلبه وصار نقمة على عباد الله ومصيبة صبها الله على المقصرين؛ لأنهم يعتقدون أنه في علمه وفهمه لا يميل إلا إلى الحق ولا يتبع إلا الصواب، فيضلون بضلاله فيكون عليه إثمه وإثم من اقتدى به إلى يوم القيامة نسأل الله اللطف والسلامة والهداية) اهـ كلامه من فتح القدير.

فالله تعالى يقول: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة:١٢٠]....وعيد شديد لرسول الله ﷺ إنْ اتبع أهواءهم وحاول رضاهم وأتعب نفسه في طلب ما يوافقهم ويحتمل أن يكون تعريضًا لأمته وتحذيرًا لهم أن يواقعوا شيئًا من ذلك أو يدخلوا في أهوية أهل الملل، ويطلبوا رضا أهل البدع، وفي هذه الآية من الوعيد الشديد الذي ترجف له القلوب وتتصدع منه الأفئدة، ما يوجب على أهل العلم الحاملين لحجج الله سبحانه والقائمين ببيان شرائعه ترك الدهان لأهل البدع المتمذهبين بمذاهب السوء، التاركين للعمل بالكتاب والسنة المؤثرين لمحض الرأي عليهما؟ فإن غالب هؤلاء ـ وإن أظهر قبولًا وأبان من أخلاقه لينًا ـ لا يرضيه إلا اتباع بدعته والدخول في مداخله والوقوع في حبائله، فإن فعل العالم ذلك بعد أن علمه الله من العلم ما يستفيد به أن هدى الله هو ما في كتابه وسنة رسوله ﷺ لا ما هم عليه من تلك البدع التي هي ضلالة محضة وجهالة بينة، ورأي منهار وتقليد على شفا جرف هار، فهو إذ ذاك ما له من الله من ولي ولا نصير، ومن كان كذلك فهو مخذول لا محالة وهالك بلا شك ولا شبهة) اهـ كلامه من فتح القدير.

فإن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ﴾ [المائدة: ٥٧]. هذا النهي عن

موالاة المتخذين للدين هزوًا ولعبًا يعم كل من حصل منه ذلك من المشركين وأهل الكتاب وأهل البدع المنتمين إلى الإسلام. اهـ كلامه من فتح القدير.

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ﴾ [الأنعام: ٦٨] (الخطاب للنبي ﷺ أو لكل من يصلح له، والخوض: أصله في الماء، ثم استعمل في غمرات الأشياء التي هي مجاهل تشبيهًا بغمرات الماء، فاستعير من المحسوس للمعقول، وقيل: هو مأخوذ من الخلط وكل شيء خضته فقد خلطته، ومنه خاض الماء بالعسل خلطه، والمعنى: إذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا بالتكذيب والرد والاستهزاء فدعهم ولا تقعد معهم لسماع مثل هذا المنكر العظيم حتى يخوضوا في حديث مغاير له، أمره الله سبحانه بالإعراض عن أهل المجالس التي يستهان فيها بآيات الله إلى غاية هي الخوض في غير ذلك.

وفي هذه الآية موعظة عظيمة، لمن يتسمح بمجالسة المبتدعة، الذين يحرفون كلام الله ويتلاعبون بكتابه وسنة رسوله ﷺ، ويردون ذلك إلى أهوائهم المضلة وبدعهم الفاسدة، فإنه إذا لم ينكر عليهم ويغير ما هم فيه، فأقل الأحوال أن يترك مجالستهم، وذلك يسير عليه غير عسير، وقد يجعلون حضوره معهم مع تنزهه عما يتلبسون به، شبهة يشبهون بها على العامة فيكون في حضوره مفسدة زائدة على مجرد سماع المنكر.

وقد شاهدنا من هذه المجالس الملعونة ما لا يأتي عليه الحصر، وقمنا في نصرة الحق، ودفع الباطل بما قدرنا عليه، وبلغت إليه طاقتنا، ومن عرف هذه الشريعة المطهرة حق معرفتها علم أن مجالسة أهل البدع المضلة فيها من المفسدة أضعاف أضعاف ما في مجالسة من يعصي الله بفعل شيء من المحرمات، ولا سيما لمن كان غير راسخ القدم في علم الكتاب والسنة، فإنه ربما ينفق عليه من كذباتهم وهذيانهم ما هو من البطلان بأوضح مكان، فينقدح في قلبه ما يصعب علاجه ويعسر دفعه، فيعمل بذلك مدة عمره ويلقى الله به معتقدًا أنه من الحق، وهو من أبطل الباطل وأنكر المنكر) اهـ كلامه من فتح القدير.

باب

في أصل نشوء مذهب الرافضة
وبيان خطره على الإسلام والمسلمين
وحكم الإمام الشوكاني في الرافضة

قال الشوكاني ـ رحمه الله ـ: (قال في القاموس: الرافضة فرقة من الشيعة، بايعوا زيد بن علي، ثم قالوا: تبرَّأ من الشيخين، فأبى، وقال: كانا وزيري جدي، فتركوه، ورفضوه وأرفضُّوا عنه، والنسبة رافضي...

فتقرر بهذا أن الروافض من رفض ذلك الإمام لتركه سب الشيخين، والإمامية[9] يسبون الشيخين وجمهور الصحابة، بل وسائر المسلمين، ما عدا من كان مثل اعتقادهم، ويسبون أيضًا زيد بن علي؛ كما يعرف ذلك من له إلمام بكتبهم. وقال النووي في شرح مسلم في مباحث المقدمة ما لفظه: سموا رافضة من الرَّفض وهو الترك. قال الأصمعي وغيره: لأنهم رفضوا زيد بن علي وتركوه.

وهكذا صرح جماعة من العلماء بأن الرافضة هم هؤلاء، وصرح جماعة

---

(٩) هم الرافضة و(هم القائلون بإمامة علي رضي الله عنه بعد النبي ﷺ: نصًا ظاهرًا، وتعيينًا صادقًا، من غير تعريض بالوصف، بل إشارة إليه بالعين.) الملل والنحل للشهرستاني في حاشية الفصل لابن حزم (١/ ١/ ٢١٨) (فهم مجمعون على أن النبي ﷺ نص على استخلاف علي بن أبي طالب باسمه، وأظهر ذلك وأعلنه) مقالات الإسلاميين للأشعري (١/ ٨٩)، (وأول من ابتدع القول بالعصمة لعلي، وبالنص عليه في الخلافة: هو رأس هؤلاء المنافقين عبد الله بن سبأ الذي كان يهوديًا فأظهر الإسلام وأراد فساد دين الإسلام، كما أفسد بولص دين النصارى، وقد أراد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب قتل هذا لما بلغه أنه يسب أبا بكر وعمر حتى هرب منه) الفتاوى (٤/ ٥١٨) (وأصل قول الرافضة أن النبي ﷺ نص على علي نصًا قاطعًا للعذر، وأنه إمام معصوم ومن خالفه كفر، وأن المهاجرين والأنصار كتموا النص وكفروا بالإمام المعصوم، واتبعوا أهواءهم وبدلوا الدين وغيروا الشريعة وظلموا واعتدوا، بل كفروا إلا قليلًا....) الفتاوى (٣/ ٣٥٦).

أيضًا بأن الرافضة هم الذين يسبون الصحابة من غير تقييد). تنبيه الغبي ضمن الفتح الرباني ص (٨٥٨-٨٦٠).

وقال - رحمه الله -: **(أصل هذا المظهر الرافضي مظهر إلحاد وزندقة، جعله من أراد كياد الإسلام سترًا له، فأظهر التشيع والمحبة لآل الرسول ﷺ استجذابًا لقلوب الناس؛ لأن هذا أمر يرغب فيه كل مسلم وقصدًا للتغرير عليهم، ثم أظهر للناس أنه لا يتم القيام بحق القرابة إلا بترك حق الصحابة، ثم جاوز ذلك إلى إخراجهم - وصانهم الله - عن سبيل المؤمنين ومعظم ما يقصده بهذا هو الطعن على الشريعة وإبطالها، لأن الصحابة ﷺ هم الذين رووا للمسلمين علم الشريعة من الكتاب والسنة. فإذا تم لهذا الزنديق باطنًا الرافضي ظاهرًا القدح في الصحابة وتكفيرهم والحكم عليهم بالردة بطلت الشريعة بأسرها، لأن هؤلاء هم حملتها الراوون لها عن رسول الله ﷺ، فهذا هو العلة الغائية لهم، وجميع ما يتظهرون به من التشيع كذب وزور، ومن لم يفهم هذا فهو حقيق بأن يتهم نفسه** ويلوم تقصيره، ولهذا تجدهم إذا تمكنوا وصارت لهم دولة يتظاهرون بهذا ويدعون الناس إليه، كما وقع من القرامطة والباطنية والإسماعيلية[10] ومن نحى نحوهم، فإنهم لما تمكنوا أظهروا صريح الكفر والزندقة وفعلوا تلك الأفاعيل من الاستهتار بمحارم الله وما عظَّمه كنقلهم للحجر الأسود من الحرم إلى هجر، وكقول رئيس القرامطة اللعين لما سفك دماء الحجاج بالبيت الحرام وفعل به من المنكرات ما هو معروف:

---

(١٠) قال تلميذ شيخ الإسلام العلامة الشجني - رحمه الله - في شأن الباطنية: (...كما كشف الله مكتوم أمرهم في كتبهم لما استولى الإمام المتوكل على الله ـ رضي الله عنه ـ على معقلهم المعروف بحصن شبام من بلاد حراز ووصلت بعض كتبهم إلى حضرته وأطلع عليها شيخ الإسلام فقال لما رآها: ما على الأرض كفر أشد من كفرهم، وصدق رحمه الله فإن كفرهم أضر على الإسلام من كفر اليهود والنصارى والمجوس......) التقصار ص (٤١٢).

وَلو كَانَ هَذا البَيتُ لله رَبّنا ... لَصبَّ عَلينَا النَّارَ مِنْ فوقِنَا صبّا

لأنّا حَجَجنا حجّةً جَاهِليّة ... محلّلةً لَمْ تَبقِ شَرْقًا وَلا غرْبا

ثم قال لمن بقي في الحرم سالمًا من القتل: يا حمير أنتم تقولون: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾ [آل عمران: ٩٧]. وقد كان أول هذه النحلة القرمطية التظهر بمحبة أهل البيت والتوجع لهم والعداوة لأعدائهم ثم انتهى أمرهم إلى مثل هذا.

وهكذا الباطنية فإن مذهبهم الذي يتظهرون به ويبدونه للناس هو التشيع ولا يزال شياطينهم ينقلون من دخل معهم فيه من مرتبة إلى مرتبة حتى يوقفوه على باب الكفر وصراح الزندقة، وإذا تمكن بعض طواغيتهم فعل كما فعل علي بن الفضل الخارج باليمن من دعاء الناس إلى صريح الكفر ودعوى النبوة ثم الترقي إلى دعوى الألوهية، وكما فعله الحاكم العبيدي بمصر من أمر الناس بالسجود له والقيام عند ذكره على صفة معروفة، فكان إذا ذكره الخطيب يوم الجمعة على المنبر قام جميع من بالمسجد ثم يخرون ساجدين ثم يقوم بقيامهم من يتصل بالجامع من أهل السوق ثم يسري ذلك إلى قيام أهل مصر، وما كان يبديه من الأفعال المتناقضة والحماقات الباردة مقصودة من ذلك تجريب أحوال الناس واختبار طاعتهم له في الأمور الباطلة وفي مخالفة الشريعة حتى ينقلهم إلى ما يريده. وكم نعدد لك من هذا.

وبالجملة؛ فإذا رأيت رجلًا قد انتهى به الرفض إلى ذم السلف الصالح والوقيعة فيهم وإن كان ينتمي إلى غير مذهب الإمامية فلا تشك في أنه مثلهم فيما قدمنا لك، وجرِّبْ هذا إن كنت ممن يفهم فقد جرّبناه وجربه من قبلنا فلم يجدوا رجلًا رافضيًا يتنـزه عن شيء من محرمات الدين كائنًا ما كان، ولا تغتر بالظواهر فإن الرجل قد يترك المعصية في الملأ ويكون أعف الناس عنها في الظاهر وهو إذا مكنته فرصة انتهزها انتهاز من لا يخاف نارًا ولا يرجو جنة.....) أدب الطلب

ومنتهى الأرب ص (١٤٩-١٥١).

فـ(أصل دعوتهم لكياد الدين ومخالفة شريعة المسلمين، يعرف ذلك من يعرفه ويجهله من يجهله، والعجب كل العجب من علماء الإسلام وسلاطين هذا الدين كيف تركوهم على هذا المنكر البالغ في القبح إلى غايته ونهايته؟!

فإن هؤلاء المخذولين لَمَّا أرادوا ردَّ الشريعة المطهرة ومخالفتها طعنوا في أعراض الحاملين لها الذين لا طريق لنا إليها إلا من طريقهم واستذلوا أهل العقول الضعيفة والإدراكات الركيكة بهذه الذريعة الملعونة والوسيلة الشيطانية، فهم يظهرون السب واللعن لخير الخليقة ويضمرون العناد للشريعة ورفع أحكامها عن العباد، وليس في الكبائر ولا في معاصي العباد أشنع ولا أخنع ولا أبشع من هذه الوسيلة إلا ما توسلوا بها إليه فإنه أقبح منها؛ لأنه عناد لله عز وجل ولرسوله ﷺ ولشريعته فكان حاصل ما هم فيه من ذلك أربع كبائر كل واحدة منها كفر بواح:

الأولى: العناد لله عز وجل.

الثانية: العناد لرسول الله ﷺ.

الثالثة: العناد للشريعة المطهرة وكيادها، ومحاولة إبطالها.

الرابعة: تكفير الصحابة، الموصوفين في كتاب الله سبحانه بأنهم ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ﴾ [الفتح: ٢٩]. وأن الله يغيظ بهم الكفار، وأنه قد رضي عنهم. مع أنه قد ثبت في هذه الشريعة المطهرة أن من كفَّر مسلمًا كَفَرَ. كما في الصحيحين وغيرهما من حديث ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: « إِذَا قَالَ الرَّجُلُ لأَخِيهِ: يَا كَافِر فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا، فَإِنْ كَانَ كَمَا قَالَ وإِلَّا رَجَعَتْ عَلَيهِ »[١١].

---

(١١) رواه البخاري كتاب الأدب باب من أكفر أخاه بغير تأويل فهو كما قال ح (٦١٠٤)، ومسلم كتاب الإيمان باب بيان حال من قال لأخيه المسلم يا كافر ح (٦٠).

وفي الصحيحين وغيرهما من حديث أبي ذر أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: « وَمَنْ دَعَا رَجُلًا بِالكُفْرِ أو قَالَ: عَدُو الله، ولَيْسَ كَذَلِكَ إِلَّا حَارَ عَلَيهِ »[١٢]. وفي البخاري وغيره من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: « مَنْ قَالَ لأخِيهِ: يَا كَافِر فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا »[١٣]. وأخرج ابن حبان في صحيحه من حديث أبي سعيد قال: قال ﷺ: « مَا أَكْفَرَ رَجُلٌ رَجُلًا إِلَا بَاءَ أَحَدُهُمَا بِهَا إِنْ كَانَ كَافِرًا وإِلَّا كَفَرَ بِتَكْفِيرِهِ »[١٤].فعرفت بهذا أن كل رافضي خبيث على وجه الأرض يصير كافرًا[١٥]بتكفيرهم لصحابي واحد، لأن كل واحد منهم قد كفَّرَ ذلك الصحابي،

---

(١٢) البخاري كتاب الأدب باب ما ينهى من السباب واللعن ح (٦٠٤٥) ومسلم كتاب الإيمان باب بيان إيمان من رغب عن أبيه وهو يعلم ح (٦١).

(١٣) رواه البخاري كتاب الأدب باب من كفر أخاه بغير تأويل فهو كما قال ح (٦١٠٣).

(١٤) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان رقم (٢٤٨) وهو في صحيح الجامع رقم (٥٥٤٥).

(١٥) الإمام الشوكاني يتكلم هنا عن حكم من قال بمقالات الروافض الكفرية ولا يتكلم عن أعيان من يقول بتلك المقالات – ولا شك أن للروافض مقالات خطيرة مصادمة لأصول الإسلام، وقواعد الإيمان؛ كالقول بتحريف القرآن وتكفير الصحابة، ورمي أم المؤمنين بالفاحشة –صانها الله–، وما هم عليه من عبادة للقبور، وصرف ما يختص به الله لغيره فهذه الأمور بيانها معلوم من الدين بالضرورة –، ولكن من القواعد المقررة عند العلماء أنه لا يلزم من التكفير بالمقالة تكفير قائلها ولا يلزم من التكفير العام تكفير المعين حتى تُقام عليه الحجة الرسالية وتُزال عنه الشبهة، وممن قرر هذه القاعدة الإمام الشوكاني ـ رحمه الله ـ حيث قال مبينًا خطر التكفير بغير بينة جلية: (ولقد استفز الشيطان من أطاعه في هذا الخطر العظيم فإنه قد صح أن المكفِّر لأخيه المسلم واقعٌ في هوة الكفر ومتردٍ في حفرته ومتلبِّس بثيابه...) السيل الجرار (١/ ٦٨٠).

وقال: (اعلم أن الحكم على الرجل المسلم بخروجه من دين الإسلام ودخوله في الكفر لا ينبغي لمسلم يؤمن بالله واليوم الآخر أن يقدم عليه إلا ببرهان أوضح من شمس النهار، فإنه قد ثبت في الأحاديث الصحيحة المروية من طريق جماعة من الصحابة أن من قال لأخيه: « يا كافر فقد باء بها أحدهما » هكذا في الصحيح وفي لفظ آخر في الصحيحين وغيرهما « من دعا رجلًا بالكفر، أو قال: عدو الله وليس كذلك إلا حار عليه » أي رجع، وفي لفظ في الصحيح: « فقد كفر أحدهما»، ففي هذه الأحاديث وما ورد موردها أعظم زاجر، وأكبر واعظ من التسرع في التكفير، وقد قال الله عز وجل: ﴿ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا﴾ [النحل: ١٠٦] فلا بد من شرح الصدر بالكفر، وطُمأنينة القلب به، وسكون النفس إليه، فلا اعتبار بما يقع من طوارق عقائد الشر، لا سيما مع

الجهل بمخالفتها لطريقة الإسلام، ولا اعتبار بصدور فعل كفري لم يرد به فاعله الخروج عن الإسلام إلى ملة الكفر، ولا اعتبار بلفظ تلفظ به المسلم يدل على الكفر وهو لا يعتقد معناه..... فحينئذ تنجو من معرة الخطر، وتسلم من الوقوع في المحنة، فإن الإقدام على ما فيه بعض البأس لا يفعله من يشح على دينه، ولا يسمح به فيما لا فائدة فيه ولا عائدة، فكيف إذا كان يخشى على نفسه إذا أخطأ أن يكون في عداد من سماه رسول الله ﷺ كافرًا؟ فهذا يقود إليه العقل فضلًا عن الشرع... فحتْمٌ على كل مسلم أن لا يطلق كلمة الكفر إلا على من شرح بالكفر صدرًا... وهذا الحق ليس به خفاء، فدعني من بنيات الطريق: يأبى الفتى إلا اتباع الهوى ومنهج الحق له واضح) السيل الجرار (٣/ ٧٨٣- ٧٨٥)، وقال في من يتحاكم إلى الطاغوت: (وهذه المقامات التي هي مقامات التكفير، هي مزالق الأقدام، ومزلّات أنظار الأعلام، فمن أقام نفسه فيها، وحكم على بعض من ينتمي إلى الإسلام بالكفر، فقد تعرض لأمر عظيم، وأدخل نفسه في مدخل وخيم، فإن أسباب الكفر بعيدة المدارك مظلمة المسالك، ومَنْ دخل في شيء من هذه **القوانين التي يتعامل بها البدو المسمَّاة عندهم تارة بالمنع، وتارة بالشرع لا يكفرُ بمجرد الدخول في ذلك، حتى يعلم أن تلبُّسَهُ بذلك يخرجه عن الإسلام**، ويلحقه بالكفار الحربيين الذين كفرهم أشد من كفر اليهود والنصارى، فلا بد هاهنا من أمرين:

الأول: أن تتيقَّن أن ذلك الذي دخل فيه سبب من أسباب الكفر.

الثاني: عِلمُهُ بذلك حتى يكون ممن شرح بالكفر صدرًا، ودون الأمرين مهامة فيحٌ تتعثر فيها أقدام المحققين، وتخرسُ عن وصف بلاقعها أَلْسنُ المبرِّزين. وهكذا من كان متلبسًا من العوامِّ بالعقائد الباطلة في حيٍّ أو ميِّتٍ، فلا بد من الأمرين المتقدمين، ودونهما ما وصفنا من صعوبة المدرك، وفظاعة المعترك) الفتح الرباني ص (٣٢٨٨-٣٢٨٩).

وقال ـ رحمه الله ـ في حكم من كان جهله بسبب تقصيره في طلب الحق أو عناده للحق وأهله، وكذا في حكم من لم يُعرف حاله هل هو مقصر أو غير مقصر وهل هو معاند أو غير معاند؟: **(من وقع في الشرك جاهلًا لم يُعذر، لأن الحجة قائمة على جميع الخلق بمبعث محمد - ﷺ - فمن جهل فقد أُتي من قبل نفسه، بسبب الإعراض عن الكتاب والسنة، وإلا ففيهما البيان الواضح..... فمن جهل فبسبب إعراضه، ولا يعذر أحد بالإعراض**، وأما شأن المتقدمين على هذه الدعوة النجدية، فكما قال – تعالى-: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾، ولم نكلف معرفة اعتقادهم، فما وجدنا في كلامهم من الشرك فهو شرك، قال به من قال به، ولا نقول في قائله إنه مشرك، بل نحسن بـه الظـن.... (سقط) أو رجع عنه، ولا نرجع إلى التعسف والتأويل، والنظر إلى من قال ليس من الشرك الأكبر، بل هو من الشرك الأكبر، كما أقام السائل الدليل عليه.... وقال في الإقناع: اتفق العلماء على أن من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم، ويتوكل عليهم، فقد كفر إجمـاعًا....) الفتح الرباني ص

(١٤٥- ١٤٧) و(١٩٩) ويجب على من ولاه الله الأمر – عند القدرة والتمكين – أن يُخضع أمثال هؤلاء لشرع الله ﴿حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ﴾ قال الشوكاني ـ رحمه الله ـ في من ذلك شأنه (يجب على من أتاه الله من علمه، وارتضاه لحمل دينه أن يُبين لهذا الجاهل ما شرعه الله لعباده مما جهله وخفي عليه علمه وفاءً بما أخذه الله على الذين أوتوا الكتاب من البيان للناس وأن لا يكتموه عنهم، فإن نزع ذلك الجاهل بعد البيان عن الغواية، ورجع عن طريق الضلالة إلى طريق الهداية، فقد وفَّى العالم بما أوجبه الله عليه من البيان والتعليم، ووفَّى الجاهل بما أوجبه الله عليه من التعلم، وإن أبى إلا اللجاج والمشي على جادة الاعوجاج انتقل مع ذلك العالم من طريقة التليين إلى طريقة التخشين، فإن أصر واستكبر وصمم على غَيِّه وضلاله واختار العمى على الهدى، وكان ما وقع فيه وجادل عنه من الشرك الأكبر الذي يخرج صاحبه به من فريق المسلمين إلى زمرة المشركين فالسيف هو الحكم العدل). الفتح الرباني ص (١٨٤-١٨٥).

ولمزيد بيان عن حكم من قال بمقالات الروافض وبيان التفصيل فيهم يقول – شيخ الإسلام – ابن تيمية: (وأما الرافضة فأصل بدعتهم عن زندقة وإلحاد، وتعمد الكذب كثير فيهم، وهم يقرون بذلك حيث يقولون: ديننا التقية، وهو أن يقول أحدهم بلسانه خلاف ما في قلبه، وهذا هو الكذب والنفاق ويدَّعون مع هذا أنهم هم المؤمنون دون غيرهم من أهل الملة، ويصفون السابقين الأولين بالردة والنفاق، فهم في ذلك كما قيل رمتني بدائها وانسلَّت، إذ ليس في المظهرين للإسلام أقرب إلى النفاق والردة منهم، ولا يوجد المرتدون والمنافقون في طائفة أكثر مما يوجد فيهم، واعتبر ذلك بالغالية من النصيرية وغيرهم وبالملاحدة الإسماعيلية وأمثالهم.)منهاج السنة (١/ ٦٨-٦٩)، وقال: (.....فإن الرافضة لما كانوا من جنس المنافقين يخفون أمرهم احتاجوا أن يتظاهروا بغير ذلك، كما احتاج المنافقون أن يتظاهروا بغير الكفر، ولا يوجد هذا إلا فيمن هو جاهل بأحوال النبي ﷺ، وأمور المسلمين كيف كانت في أول الإسلام. وأما من عرف الإسلام كيف كان وهو مقر بأن محمدًا رسول الله باطنًا وظاهرًا فإنه يمتنع أن يكون في الباطن رافضيًّا ولا يتصور أن يكون في الباطن رافضيًّا إلا زنديق منافق أو جاهل بالإسلام كيف كان مفرط في الجهل) منهاج السنة (٤/ ١٣٣-١٣٤) وقال (....خلاف الرافضة فإنهم من أجهل الطوائف بالمنقول والمعقول، ومن دخل فيهم من المظهرين للعلم والدين باطنًا فلا يكون إلا من أجهل الناس أو زنديقًا ملحدًا) منهاج السنة (٤/ ١٣٥-١٣٦).

وقال: (..... وكل هذا مما يعلم بالاضطرار فساده من دين الإسلام، وهو مما يبين أن الذي ابتدع مذهب الرافضة كان زنديقًا ملحدًا عدوًّا لدين الإسلام وأهله، ولم يكن من أهل البدع المتأولين كالخوارج والقدرية، وإن كان قول الرافضة راج بعد ذلك على قوم فيهم إيمان لفرط جهلهم) منهاج السنة (٤/ ٣٦٣).

وقال – رحمه الله –: (ولا يطعن على أبي بكر وعمر ـ رضي الله عنهما ـ إلا أحد رجلين: إما رجل منافق زنديق ملحد عدو للإسلام يتوصل بالطعن فيهما إلى الطعن في الرسول ودين الإسلام،

فكيف بمن كفَّرَ كل الصحابة واستثنى أفرادًا يسيرة تنفيقًا لما هو فيه من الضلال على الطِّغَام الذين لا يعقلون الحجج ولا يفهمون البراهين ولا يفطنون لما يضمره أعداء الإسلام من العناد لدين الله، والكياد لشريعته، فمن كان من الرافضة كما ذكرنا فقد تضاعف كفره من جهات أربع كما سلف، وهم طوائف منهم الباطنية والقرامطة، وأمثالهم من طوائف العجم ومن قال بقولهم، فإنهم غلوا في الكفر حتى أثبتوا الإلهية لمن يزعمون أنه المهدي المنتظر، وأنه دخل السرداب، وسيخرج منه في آخر الزمان !!

وبلغ من تلاعبهم بالدين أنهم يجعلون في كل مكان نائبًا عن الإمام المذكور الموصوف بأنه إلاههم! ويسمون أولئك النواب حجابات للإمام المنتظر ويثبتون لهم الإلهية ! وهذا مصرح به في كتبهم، وقد وقفنا منها على غير كتاب.

فانظر إلى هذا الأمر العظيم وإلى أي مبلغ بلغ الملاحدة من كياد الدين، والتلاعب بضعاف العقول من الداخلين في الدعوة الإسلامية حتى أخرجوهم منها إلى أكفر الكفر واتخاذ إله غير الله ـ عز وجل وتعالى وتقدس ـ وخدعوهم بما يظهرونه من المحبة الكاذبة لأهل البيت ﷺ، وهم أشدُّ الأعداء لهم، قد جنوا على ربهم فلم يجعلوه إلهًا، بل جعلوا الإله فردًا من أفراد البشر الذين قد صاروا تحت أطباق الثرى زيادة على ألف سنة، ثم جنوا على رسول الله ﷺ فأخرجوه من الرسالة وكذبوه فيما يدعيه من النبوة؛ وهو الذي لم يشرف أهل البيت إلا بشرفه،

وهذا حال المعلم الأول للرافضة، أول من ابتدع الرفض، وحال أئمة الباطنية. وإما جاهل مفرط في الجهل والهوى وهو الغالب على عامة الشيعة إذا كانوا مسلمين في الباطن). منهاج السنة (٦/ ١١٥) وقال: (و ليس في شيوخ الرافضة إمام في شيء من علوم الإسلام، لا علم الحديث و لا الفقه و لا التفسير و لا القرآن، بل شيوخ الرافضة إما جاهل، وإما زنديق كشيوخ أهل الكتابين) منهاج السنة (٧/ ٢٨٧،٢٨٦) وقال: (فإن الإمامية مع فرط جهلهم وضلالهم فيهم خلق مسلمون باطنًا وظاهرًا ليسوا زنادقة منافقين، لكنهم جهلوا وضلوا واتبعوا أهواءهم). منهاج السنة (٢/ ٤٥٢).

ولا عُظِّموا إلا بكونهم أهل بيته، وقد ثبت في كتب اللغة وشروح الحديث، وكتب التاريخ، أن الرافضة إنما ثبت لهم هذا اللقب لما طلبوا من الإمام زيد بن علي بن الحسين بن علي - رحمه الله - أن يتبرأ من أبي بكر وعمر - رضي الله عنهما - فقال: هما وزيري جدي فرفضوه وفارقوه فسمُّوا حينئذٍ الرافضة.

فانظر كيف كان ثبوت هذا اللقب الخبيث لهم؛ بسبب خذلهم لنصرة ذلك الإمام العظيم، وما أحسن ما رواه الإمام الهادي يحيى بن الحسين إمام أهل اليمن في كتابه الأحكام مسلسلًا بآبائه من عنده إلى الحسن بن علي بن أبي طالب ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: لعلي بن أبي طالب ﷺإنه سيكون في آخر الزمان قوم لهم نَبَزٌ يعرفون به يقال لهم الرافضة فاقتلهم - قتلهم الله -؛ إنهم مشركون[١٦].

(١٦) قال الإمام الشوكاني - رحمه الله -: وأخرج الطبراني في الأوسط عن علي بن أبي طالب، عنه ﷺ: « يا علي، أنت وأصحابك في الجنة، إلا ممن يزعم أنه يحبك أقوامًا يرفضون الإسلام، ثم يلفظونه، يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم، لهم نبز، يقال لهم الرافضة فإن أدركتهم فجاهدهم، فإنهم مشركون » فقلت: يارسول الله، ما العلامة فيهم ؟ قال: « لا يشهدون جمعة، ولا جماعة، ويطعنون على السلف الأول ». وفي إسناده الفضل بن غانم وهو ضعيف. وأخرج أبو يعلى بإسناد رجاله ثقات، عن فاطمة بنت رسول الله ﷺ، قالت: نظر النبي ﷺ إلى علي فقال: « هذا في الجنة وإن من شيعته قومًا يلغون الإسلام، يرفضونه، لهم نبز، يسمون الرافضة، من لقيهم فليقتلهم، فإنهم مشركون ». وأخرج أبو يعلى والبزار والطبراني بإسناد رجاله ثقات، عن ابن عباس عن النبي ﷺ، قال: « يكون في آخر الزمان قوم ينبزون الرافضة، يرفضون الإسلام ويلفظونه قاتلهم، فإنهم مشركون ». وأخرج الطبراني بإسناد حسن عن ابن عباس أيضًا قال: كنت عند النبي ﷺ وعنده علي، فقال النبي ﷺ: « يا علي سيكون في أمتي قوم ينتحلون حب أهل البيت، لهم نبز، يسمون الرافضة، قاتلهم فإنهم مشركون ». در السحابة في مناقب القرابة والصحابة ص (٦٣-٣٧).

وقال في كتابه الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة: حديث أنه قال ﷺ لعلي: «أنت وأصحابك في الجنة أنت وشيعتك في الجنة ألا إن ممن يحبك قوم يصفون الإسلام بألسنتهم، ويقرءون القرآن لا يتجاوز تراقيهم لهم نبز يسمون الرافضة، فإذا لقيتهم فجاهدهم، فإنهم مشركون». قالوا: يا رسول الله، ما علامة ذلك؟ قال: «يتركون الجمعة والجماعة ويطعنون في السلف الأول». رواه الخطيب عن أم سلمة مرفوعًا وفي إسناده سوار بن مصعب وهو متروك.

هذا ذكره في كتاب الطلاق من الأحكام، ولم يذكر في كتابه هذا حديثًا مسلسلًا بآبائه غير هذا الحديث، وهو الإمام الذي صار عَلَمًا يقتدى بمذهبه في غالب الديار اليمنية.

فالحاصل أن من صدق عليه هذا اللقب أقل أحواله أن يكون معاديًا للصحابة، لاعنًا لهم، مكفِّرًا لغالبهم، هذا على تقدير عدم تفطنه لما هو العلة الغائية للرافضة من: العناد لله سبحانه، ولرسول الله ﷺ، وللشريعة من بعده.

فتقرر لك بهذا أن من قدر على إنكار صنيع الرافضة ولم يفعل، فقد رضي بأن تنتهك حرمة الإسلام وأهله، وسكت على ما هو كفر متضاعف كما سلف، وأقل أحواله أن يكون كفرًا بتكفير الأكثر من الصحابة، ومن سكت عن إنكار الكفر مع القدرة عليه فقد أهمل ما أمر الله سبحانه في كتابه من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فلا بكتاب الله – سبحانه – ولا بسنة رسوله ﷺ اقتدى، وقد ثبت في الصحيحين وغيرهما من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: «**بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في العسر واليسر، والمنشط والمكره، وعلى أثرة علينا، وعلى أن لا ننازع الأمر أهله إلا أن تروا كفرًا بواحًا عندكم من الله فيه برهان، وعلى أن نقول بالحق أينما كنا لا نخاف في الله لومة لائم**»[(١٧)].

وأخرج مسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول «**من رأى منكم منكرا فليغيره بيده،**

ص(٣٣١) ح (١١٢٧-٩٠) ط المكتب الإسلامي. ورواه أحمد في فضائل الصحابة رقم (٦٥١)، وفيه الحجاج بن تميم قال فيه الذهبي: واهٍ.ميزان الاعتدال رقم (٦٢٨٤)، وانظره أيضًا في فضائل الصحابة رقم (٧٠٢-٧٠٣).وانظر تخريج هذه الأحاديث وبيان حالها، كتاب الشريعة للإمام الآجري تحقيق الدكتور عبد الله الدميجي ص (٢٥١٣-٢٥١٩).

(١٧) رواه البخاري في كتاب الفتن، باب كيف يبايع الإمام الناس ح (٧١٩٩- ٧٢٠٠)، ومسلم كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية ح(١٧٠٩).

فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»[١٨].

ولفظ النسائي أن رسول الله ﷺ قال: «**من رأى منكم منكرا فغَيَّرَهُ بيده فقد بريء، ومن لم يستطع أن يُغَيِّرَهُ بيده فغَيَّرَهُ بلسانه فقد بريء، ومن لم يستطع أن يُغَيِّرَهُ بلسانه فغَيَّرَهُ بقلبه فقد بريء، وذلك أضعف الإيمان**»[١٩]......) الفتح الرباني ص (٥٤٤٠-٥٤٤١).

وقال – رحمه الله –: (وقد أهدت لنا هذه الأيام ما لم يكن لنا في حساب من زعانف هم سقط المتاع، وفقعة القاع، وأبناء الرعاع، لابسوا طلبة العلم بعض الملابسة وشاركوهم بجامع الخلطة والعشرة في مثل النظر في مختصرات النحو حتى صاروا ممن يتمكن من إعراب أواخر الكلم.......وأما سائر العلماء المتبحرين في علم الشرع وغيره من أهل العصر وغيرهم فهم عند هؤلاء النوكاء الرُّقعاء لا يفهمون شيئًا، ولا يعقلون، فقبح الله تلك الوجوه فإنها صارت عارًا وشنارًا على أهل العلم، وصار دخول مثل هؤلاء الذين دنسوا عرض العلم، وجهموا وجهه وأهانوا شرفه، من أعظم المصائب التي أصابت أهله، وأكبر المحن التي أمتحن به حملته.

فإنه يسمعهم السامع يثلبون أعراض الأحياء والأموات من المشهورين بالعلم الذين قد اشتهرت مصنفاتهم، وانتشرت معارفهم فيزهد في العلم ويخاف من أن يعرض نفسه للوقيعة من مثل هؤلاء الجهلة، على أنهم لا يعرفون شيئًا إلا ما ذكرت لك، ولا يفهمون علمًا من العلوم لا بالكنه، ولا بالوجه فما أحق هؤلاء بالمنع لهم عن مجالس العلم، والأخذ على أيديهم من الدخول في مداخل أهله،

---

(١٨) من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ، رواه مسلم كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان. ح(٤٩).

(١٩) رواه النسائي في كتاب الإيمان وشرائعه باب تفاضل أهل الإيمان ح (٥٠٠٩) وهو في صحيح النسائي ح (٤٦٣٦).

والتشبه بهم في شيء من الأمور، وإلزامهم بملازمة حِرف آبائهم وصناعات أهلهم، والوقوف في الأسواق لمباشرة الأعمال التي يباشرها سلفهم، فليس في مفارقتهم لها إلا ما جلبوه من الشر على العلم وأهله، ولكنهم قد تحذلقوا وجعلوا لأنفسهم حصنًا حصينًا، وسورًا منيعًا، فتظهروا بشيء من الرفض وتلبسوا بثيابه، فإذا أراد من له غيرة على العلم المعاقبة لهم وإعزاز دين الإسلام بإهانتهم، قالوا للعامة إنهم أصيبوا بسبب التشيع، وأهينوا بسبب ما اختاروه لأنفسهم من محبة أهل البيت ﷺ، وقد علم الله وعلم كل من له فهم أنهم ليسوا من ذلك في قبيل ولا دبير، بل ليس عندهم إلا التهاون بالشريعة الإسلامية والتلاعب بالدين والطعن على الأنبياء ـ صلوات الله عليهم وسلامه ـ فضلًا عن غيرهم من المتمسكين بالشرعة، وكل عارف إذا سمع كلامهم وتدبر أبحاثهم يتضوع له منها روائح الزندقة بل قد يقف على ما هو صريح الكفر الذي لا يبقى معه ريب.

ولقد كان القضاة من أهل المذاهب في البلاد الشامية، والمصرية، والرومية، والمغربية وغيرها يحكمون بإراقة دم من ظهر منه دون ما يظهر من هؤلاء حسبما تحكيه كتب التاريخ وقد أصابوا أصاب الله بهم، فإعزاز دين الله هو في الانتقام من أعدائه المتنقِّصين به، وما يصنع العالم في مثل أرضنا هذه في مثل هؤلاء المخذولين فإنه إن قام عليهم وأفتى بما يستحقونه ويوجبه عليهم الشرع، حال بينه وبينهم حوائل:

منها: عدم اعتياد مثل هذه البلاد لمثل سفك دماء المتزندقين.

ومنها: عدم نفوذ أفهام المنفِّذين لأحكام الشرع حتى يعرفوا الدقائق الكفرية الموجبة للخروج من الإسلام القاضية بسفك دم من صدرت عنه، وكيف يفهم ذلك غالب القضاة وهم يعجزون عن فهم شروط الوضوء وفرائضه وسننه، بل يقصرون عن فهم مباحث أبواب قضاء الحاجة. فهل تراهم يفهمون ما يقوله لهم المفتي بسفك دم المتزندق من أنه كَفر بكذا، استحق سَفك

دمه لكذا. هيهات هيهات فإنهم أبلد من ذاك وأسوأ فهمًا من البلوغ إليه.

ومنها: ما هو أعظمها ما عرفناك به من تظهرهم بالرفض، وادعائهم إنّهم لم يصابوا بذنب سواه ولا نالهم ما نالهم إلا بسببه، فإن هذه الدعوى سريعة النفاق تدخل إلى أذهان غالب الناس وتقبلها عقولهم بأيسر عمل للاشتراك في الجنس، وإن لم يكن على التواطؤ بل على التشكيك، ويكفيك من شر سماعه.

وبعد هذا فإني أرجو من الله ـ عز وجل ـ إن يمكن منهم فتجري عليهم الأحكام الشرعية وينفذ فيهم ما يقتضيه مُرّ الحق ونص الدليل، وقد علم الله – سبحانه – أني أجد من الحسرة والتلهف ما لا يقادر قدره ولا يمكن التعبير عنه، لأنه ليس بتغاض عن مبتدع، ولا بمجرد سكوت عن انتهاك حرمة أو حُرم من حرمات الشرع، بل هو سكوت عن الكفر وإغماض عن متظهر بالزندقة يتكلم فيها بملء فيه ويبدي منها ما تبكي له عيون الإسلام وأهله، فتارة يتهاون بالقرآن، وتارة يتهاون بالأنبياء، وتارة يتهاون بحملة الدين، وحينًا يزري على علماء المسلمين ولكن بعبارات لا يفهمها المقصرون، ورموز لا يهتدي إليها المشتغلون بأبواب الفقه، مع خلط تلك العبارات بشيء من الرفض يفهمه المقصر والكامل.

فإذا نظر المقصرون في كلامهم لم يفهموا منه إلا ما فيه من الرفض، ولا يفهمون شيئًا مما عداه، وإذا أخبرهم العالم بما اشتمل عليه ذلك الكلام من الكفر، والزندقة لم تقبله أفاهمهم لأمرين: أحدهما الجهل بالعلوم التي يتوصلون بها إلى فهم ذلك، والثاني: اعتقادهم أن ذلك المتكلم شيعي، وأن هذا العالم الذي أنكره إنما قام عليه لأجل تشيعه، لكونهم يعتقدون في كل من اشتغل بعلوم الاجتهاد أنه يخالف الشيعة، طبيعة راسخة فيهم، وأمر ورثوه عن أسلافهم، وداء قبلوه من مخذول، ومحنة تعاظم بسببها البلاء على الشريعة وعلى أهلها.

فبهذه الأسباب علمت أن قيامي عليهم لا يجدي إلا ثوران فتنة وظهور

محنة، وقد يكون سببًا لتظهرهم بزيادة على ما يتظهرون به من تلك الأمور الفظيعة، والكفريات الشنيعة، اللهم إني أُشهدك وأنت خير الشاهدين: أني أول حاكم بسفك دم من صدر منه ذلك، وأول مفت بقتل من فعل شيئًا منه أو قال به، عند أول بارقة من بوارق العدل، وفي إخفاء[٢٠] رائحة من روائح الإنصاف، ولست أقول أن جميع من أشرت إليهم هم على الصفة التي ذكرتها الموجبة لإراقة الدم وإزهاق الروح، بل يتظهر بذلك بعض مخذوليهم، ويشتغل به أناس من شياطينهم، والبقية وإن كانوا بها يصدر منهم نقمة على العلم وأهله، فإنهم يُنَفِّرون الناس عن علم الشرع، ويُهَوِّنُونه في صدورهم، ويستصغرون علوم الدين بأسرها، ويجذبون من يطمعون فيه إلى جهالاتهم وضلالاتهم، فهم مستحقون للحيلولة بينهم وبين كل سبب يتوصلون به إلى العلم على كل تقدير - كما أشرنا إليه سابقًا-، مع إنزال بعض ما فيه إهانة لهم ومسهم بسوط إذلال، ليكون في ذلك إعزاز للدين ورفع لمناره، وغسل ما قد لوثوا به أهله من القذر الذي يلقونه عليهم وينسجونهم به، والله المرجو فعنده الخير كله، وهو أغير على دينه، وهو أكرم من أن يهان أو يضام أهله،..). أدب الطلب ومنتهى الأرب (٢٠٩-٢١٣).

وقال - رحمه الله - في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٠٨] وفي هذه الآية دليل على أن الداعي إلى الحق والناهي عن الباطل إذا خشي أن يتسبب عن ذلك ما هو أشد منه من انتهاك حرم، ومخالفة حق ووقوع في باطل أشد كان الترك أولى به، بل كان واجبًا عليه، وما أنفع هذه الآية وأجل فائدتها لمن كان من الحاملين لحجج الله، المتصدين لبيانها للناس، إذا كان بين قوم من الصم البكم الذين إذا أمرهم بمعروف تركوه وتركوا غيره من المعروف، وإذا نهاهم عن منكر فعلوه وفعلوا

---

(٢٠) مصدر خفي، وهو من الأضداد، بمعنى كتم، وبمعنى أظهر، والمراد الثاني كما في قوله تعالى: (إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا)(طـه: من الآية١٥)، أي أظهرها. أفاده محقق الكتاب.

غيره من المنكرات، عنادًا للحق وبغضًا لأتباعه المحقين وجراءة على الله - سبحانه -، فإن هؤلاء لا يؤثر فيهم إلا السيف وهو الحكم العدل لمن عاند الشريعة المطهرة، وجعل المخالفة لها والتجرؤ على أهلها ديدنه وهجيراه كما يشاهد ذلك في أهل البدع الذين إذا دعوا إلى حق وقعوا في كثير من الباطل، وإذا أرشدوا إلى السنة قابلوها بما لديهم من البدعة، فهؤلاء هم المتلاعبون بالدين المتهاونون بالشرائع وهم شر من الزنادقة؛ لأنهم يحتجون بالباطل وينتمون إلى البدع ويتظهرون بذلك غير خائفين ولا وجلين، والزنادقة قد ألجمتهم سيوف الإسلام وتحاماهم أهله، وقد ينفق كيدهم ويتم باطلهم وكفرهم نادرًا على ضعيف من ضعفاء المسلمين مع تكتم وتحرز وخيفة ووجل).

وقال في تفسير - قوله تعالى -: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ ۖ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا﴾ [الحج: ٧٢] قيل يكادون يسطون: أي يبطشون، والسطوة شدة البطش، يقال سطا به يسطو إذا بطش به بضرب، أو شتم أو أخذ باليد، وأصل السطو القهر.

وهكذا ترى أهل البدع المضلة إذا سمع الواحد منهم ما يتلوه العالم عليهم من آيات الكتاب العزيز، أو من السنة الصحيحة، مخالفًا لما اعتقده من الباطل والضلالة رأيت في وجهه من المنكر ما لو تمكن من أن يسطوا بذلك العالم لفعل به ما لا يفعله بالمشركين، وقد رأينا، وسمعنا من أهل البدع ما لا يحيط به الوصف، والله ناصر الحق، ومظهر الدين، وداحض الباطل، ودامغ البدع وحافظ المتكلمين بما أخذه عليهم المبينين للناس ما نزل إليهم - وهو حسبنا ونعم الوكيل -).

باب

في أن سبب ضلال الرافضة بعدهم عن الحق والهدى وتقليدهم لسادتهم الضالين

فالرافضة إنما أوقعهم فيما وقعوا فيه من الضلال، والانحراف، والبعد السحيق عن الصراط المستقيم، اتِّباعُ الهوى، وتقليد سادتهم، وكبرائهم في الضلال، والانحراف - أصحاب العمائم المكورة والعقائد الفاسدة المزوَّرة - وفيما يناقض ويعارض الحق وهذا هو التقليد الذي ذمه الله ـ عز وجل ـ في كتابه فقال تعالى: ﴿ وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلاْ ﴾ [الأحزاب: ٦٧]. هذا التقليد المذموم الذي ضل به القوم مما تنـزه عنه الصحابة الكرام والتابعون لهم بإحسان (فهم أكرم على الله من أن تُوقِعَهُم في هذه الخسيسة، أو تهين قدورهم الشريفة بالتلبُّس لهذه النقيصة، ولهذا لم تحدث إلا بعد انقراض عصورهم، ولم يُسمع بها إلا بعد إظلام الكون بأفول بدورهم) الفتح الرباني (٢١١٩).

وقد جاءت الأدلة القرآنية بذم تقليد الآباء، فقال: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٠] وقال – سبحانه –: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ﴾ [الزخرف: ٢٣، ٢٤]، وقال عز وجل: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ﴾ [لقمان: ٢١] وفي القرآن الكريم من هذا الجنس آيات كثيرة، وهي وإن كان موردها في الكفار، فالمراد بها وبأمثالها ذم من أعرض عما أنـزله الله سبحانه، وأخذ بقول

سلفه، واللفظ أوسع مما هو سبب النـزول والاعتبار به كما تقرر في الأصول، فمن وقع منه الإعراض عما شرعه الله، وقدم عليه ما كان عليه سلفه فهو داخل تحت عموم هذه الآيات) قطر الولي (٣٢١-٣٢٢).

فنقول لكل من ابتلي بالرفض، ومعاداة خيار الخلق بعد الرسل، ما قاله الإمام الشوكاني - رحمه الله -: (سل أئمة القرآن والسنة إذا أصبت من حادثة بمحنة، واسْتَرْوِهِمْ نصوص الدين، وَارْمِ من عنقك رِبقة المقلدين، واستفسرهم عن معاني المشكلات، وخذ عنهم ما صحَّ لديهم من الرواية، ودع عنك الروايات) الفتح الرباني (٢١٢٧-٢١٢٨).

(فنقول لكم اسألوا أهل الذكر وهو كتاب وسنة رسوله ﷺ واعملوا عليه واتركوا آراء الرجال والقيل والقال، ونقول لكم كما قال رسول الله ﷺ: ألا تسألون؟ فإنما شفاء العِيِّ السؤال[٢١] عن كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ لا عن رأي فلان ومذهب فلان...) الفتح الرباني ص(٢١٧١).

واعلم أخي الحبيب أن ما يتدين به الرافضة من عقائد منحرفة، أو شرائع فاسدة، إنما هو مأخوذ من روايات مكذوبة، و أفهام مقلوبة، وأقاويل مغلوطة، ومن ابتغى الهدى وجده ﴿ مَّنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَا ﴾ [الإسراء: ١٥].

ومن العجيب أن تروِّج هذه الفرقة الضالة لعقائدها بدعواها الانتساب إلى آل البيت الشريف الذين اتُّفِق على صلاحهم، وفضلهم، وعلو قدرهم، وسمو

(٢١) من حديث جابر ﷺ رواه أبو داود كتاب الطهارة باب المجروح يتيمم ح (٣٣٦). ومن حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - رواه أبو داود كتاب الطهارة باب المجروح يتيمم ح (٣٣٧) وابن ماجه كتاب الطهارة باب المجروح تصيبه الجنابة فيخاف على نفسه إن اغتسل ح(٥٧٢) وصححهما العلامة الألباني في صحيح الجامع رقم (٤٣٦٢) و (٤٣٦٣).

مكانتهم. وهذا الانتساب منهم لأولئك الأشراف الكرام إنما هو دسيسة في الدين، وتضليل للحمقى والمغفلين، ومن لا علم له بالدين القويم، لينفق مذهبها ويروج معتقدها، أما آل البيت الصلحاء فهم من عقائد الرافضة براء براءة الذئب من دم يوسف، ﴿وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ﴾ [الأحقاف: ٦].

فليحذر من أراد أن ينجو من غضب الله، وأليم عقابه من يوم قال فيه عز وجل: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾ [الفرقان: ٢٧ـ ٣٠].

(والثابت على الحق طائفة من الناس، لا يضرهم من خالفهم، والرجالُ تعرف الرجالَ بالحق لا الحق بالرجال كما صرح بذلك الإمام علي عليه السلام) الفتح الرباني (٢١٣٥).

دَعُوا كُلَّ قَوْلٍ عِنْدَ قَوْلِ مُحَمَّدٍ فَمَا آمَنَ فِي دِينِهِ كَمُخَاطِرِ

الفتح ص (٣٧٨٣).

فيا من وقع في هذه البلية، وتلبس بهذه الطريقة الغوية، واحتج على مخالفة أهل الحق بقول من يُسمَّى بالآيات ممن يقودونه إلى أحلك الظلمات، وهالك المفازات (دع عنك الاحتجاج بالرجال، والاعتزاء إلى الآراء والأقوال، وجرّد نفسك للحق، واغسل قلبك من درن العصبية؛ فإنك إذا فعلت ذلك نظرت إلى الحق من وراء ستر رقيق) الفتح الرباني (٢١٣٥).

وأعلم أن المتعصب يُصرف عن الحق بسوء فعله، وفساد قصده، وأما المنصف المؤثر للحق، الخاضع للدليل، النافر من القال والقيل، فإنه يوفق للحق

ويُرشد إليه ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحديد: ٢٨]. ﴿ وَٱلَّذِينَ جَـٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

فالمنصف (إنما كان أبصر الناس بالحق إذا اختلف الناس؛ لأنه لم يكن لديه هوى ولا حميّة، ولا عصبية لمذهب من المذاهب، أو عالم من العلماء، فصفت غريزته عن أن تتكدر بشيء من ذلك، فلم يكن له مأرب ولا مقصد إلا مجرد معرفة ما جاء عن الشارع، فظفر بذلك بسهولة من غير مشقة، ولا تعب؛ لأنه موجود إما في كتاب الله، وهو بين أظهرنا في المصاحف الشريفة مفسر بتفاسير العلماء الموثوق بهم، وإما في سنة رسول الله ﷺ وهي أيضًا موجودة، قد ألّف أهل العلم في أدلة المسائل من السنة كتبًا متنوعة منها ما هو على أبواب الفقه، ومنها ما هو على حروف المعجم، فكان تناوله يسيرًا) أدب الطلب ومنتهى الأرب ص(٩٠) - والله ولي التوفيق-.

يَأْبى الفَتى إلَّا اتّباعَ الهَوى ... وَمَنْهَجُ الحَقِّ لَهُ واضِحُ

الفتح ص (٣٧٨٢).

وقال - رحمه الله - في تفسير قوله تعالى: ﴿ قَـٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ ۖ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَـٰفِرُونَ ﴾ [الزخرف: ٢٤].

(هذا من أعظم الأدلة الدالة على بطلان التقليد وقبحه، فإن هؤلاء المقلدة في الإسلام إنما يعملون بقول أسلافهم، ويتبعون آثارهم ويقتدون بهم، فإذا رام الداعي إلى الحق أن يخرجهم من ضلالة أو يدفعهم عن بدعة قد تمسكوا بها، وورثوها عن أسلافهم بغير دليل نير، ولا حجة واضحة، بل بمجرد قال وقيل لشبهة داحضة وحجة زائفة ومقالة باطلة، قالوا بما قاله المترفون من هذه الملل:

﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٣]. أو بما يلاقي معناه معنى ذلك، فإن قال لهم الداعي إلى الحق: قد جمعتنا الملة الإسلامية وشملنا هذا الدين المحمدي، ولم يتعبدنا الله ولا تعبدكم وتعبد آباءكم من قبلكم إلا بكتابه الذي أنزله على رسوله ﷺ وبما صح عن رسوله ﷺ فإنه المُبيِّن لكتاب الله المُوضِّح لمعانيه الفارق بين محكمه ومتشابهه، فتعالوا نرد ما تنازعنا فيه إلى كتاب الله وسنة رسوله كما أمرنا الله بذلك في كتابه بقوله: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩] فإن الرد إليهما أهدى لنا ولكم من الرد إلى ما قاله أسلافكم، ودرج عليه آباؤكم، نفروا نفور الوحوش، ورموا الداعي لهم إلى ذلك بكل حجر ومدر كأنهم لم يسمعوا قول الله – سبحانه –: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ [النور: ٥١]. ولا قوله: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥] فتح القدير.

وقال – رحمه الله – في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٨].

(إن في هذه الآية الشريفة لأعظم زاجر، وأبلغ واعظ للمقلدة الذين يتبعون آباءهم في المذاهب المخالفة للحق، فإن ذلك من الاقتداء بأهل الكفر لا بأهل الحق، فإنهم القائلون: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٣] والقائلون: ﴿وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾ والمقلد لولا اغتراره بكونه وجد أباه على ذلك المذهب مع اعتقاده بأنه الذي أمر الله به وأنه الحق لم يبق عليه، وهذه الخصلة هي التي بقي بها اليهودي على اليهودية، والنصراني على النصرانية، والمبتدع على بدعته فما أبقاهم على هذه الضلالات إلا

كونهم وجدوا آباءهم في اليهودية والنصرانية أو البدعية، وأحسنوا الظن بأن ما هم عليه هو الحق الذي أمر الله به، ولم ينظروا لأنفسهم ولا طلبوا الحق كما يجب، وبحثوا عن دين الله كما ينبغي، وهذا هو التقليد البحت والقصور الخالص، فيا من نشأ على مذهب من هذه المذاهب الإسلامية أنا لك النذير المبالغ في التحذير، من أن تقول هذه المقالة وتستمر على الضلالة، فقد اختلط الشر بالخير، والصحيح بالسقيم، وفاسد الرأي بصحيح الرواية، ولم يبعث الله إلى هذه الأمة إلا نبيًّا واحدًا أمرهم باتِّباعه، ونهى عن مخالفته فقال: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧].....). فتح القدير.

وقال - رحمه الله - في تفسير قوله تعالى: ﴿قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٧٨].

(وكم بقي على الباطل وهو يعلم أنه باطل بهذه الذريعة من طوائف هذا العالم في سابق الدهر ولاحقه، فمنهم من حبسه ذلك عن الخروج من الكفر، ومنهم من حبسه عن الخروج إلى السنة من البدعة، وإلى الرواية الصحيحة من الرأي البحت) فتح القدير.

(فإذا فاتك يا مسكين الاهتداء بهدي العلم فلا يفوتنَّك الاهتداء بهدي العقل، فإنك إذا استضأت بنوره خرجت من ظلمات جهلك إلى نور الحق) الفتح الرباني ص (٢٢٠٥).

باب

في تأثر كثير من الهادوية(٢٢) والزيدية(٢٣) بفكر الرافضة

---

(٢٢) أتباع الهادي يحيى بن الحسين المؤسس للمذهب الزيدي في اليمن نسب نفسه للاجتهاد المطلق، وخالف أهل السنة والجماعة من أئمة أهل البيت وغيرهم بل خالف الإمام زيد بن على في كثير من المسائل في الأصول، والفروع وتفرد بمذهب مستقل في الفروع يسمى المذهب الهادوي، وهو في أصول الدين على مذهب المعتزلة وهو الذي أدخل التشيع المبتدع على أهل اليمن، قال العلامة عمر بن علي الجعدي اليماني المتوفى في سنة (٥٨٦ أو ما بعدها) - رحمه الله-: (ثم لحق اليمن كلَّه في آخر المائة الثالثة وأكثر المائة الرابعة فتنتان عظيمتان: فتنة القرامطة، وقد عمت العراق والشام والحجاز، وإن اختلف تأثيرها في البلدان، فَمَلَكَ هذا المخلاف اليمني، علي بن الفضل لعنه الله، وأظهر فيه ما هو منسوب إليه ومشهور عنه على منبر الجند بقوله:

خـــذي الـــدفّ يا هذه والعبي وغنّي هَزاريك ثم اطربي
تولّى نبـي بني هاشـــم وهذا نـبي بني يَعـــرب
لكل نبي مـــضي شرعـة وهذي شرائع هذا النبـــي
فقد حطّ عنا فروض الصلاة وحط الصيام ولم يُتعـب
وحـطَ الذنـوب على قاتل ولو كان من قــبل قاتل نبـي
أحل الـبنات مع الأمهـات ومن فضـله زاد حل الصبي

الفتنة الثانية: أن الشريف الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين بن القاسم....... لما قام في صعدة ومخاليف صنعاء دعا الناس إلى التشيع عند استقراره في صنعاء وهذه الفتنة أهون من الأولى، وكان أهل اليمن صنفين إما مفتتن بهم، وإما خائف متمسك بنوع من الشريعة، وإما حنفي وهو الغالب، وإما مالكي وللدول في طيّ العلوم ونشرها وإظهارها تأثيرات معجزة في تمكينات موجزة.....). طبقات فقهاء اليمن (٧٥-٨٠) وقال القاضي المؤرخ إسماعيل الأكوع – حفظه الله –: (ظهر في اليمن يحيى بن الحسين بن القاسم الرّسي، الذي قدم إليها من الحجاز سنة (٢٨٤هـ / ٨٩٧م) فدعا إلي نفسه بالإمامة، وتلقب بالهادي، وكان علمًا مجتهدًا كبيرًا، أخذ الأصول (علم الكلام) عن شيخه أبي القاسم البلخي المعتزلي، وأقواله في الأصول متابعة له في الغالب، وأما في الفروع فقد استقلَّ فيه باجتهاده، فخالف زيد بن علي في ما ذهب إليه من اجتهاده، ولم يتقيد بأقواله التي تضمنها (مجموع الفقه الكبير) لزيد بن علي، و (الجامع الكافي) لأقوال زيد بن علي، ولم يبق لمذهب زيد الأول في الأصول والفروع منهم متابع. ومع هذا فقد تغلب اسم المذهب الزيدي على مذهب الإمام الهادي؛ وذلك لأن الهادي وأتباع مذهبه يقولون بإمامة زيد بن علي، ووجوب الخروج على الظلمة، ويعتقدون فضله وزعامته، ويحصرون الإمامة

في مَن قام ودعا من أولاد الحسنين، وهو جامع لشروط الإمامة المدونة في كتبهم، فمن قال بإمامته فهو زيدي، وإن لم يلتزم مذهبه في الفروع، فإن أكثر الزيدية على رأي غيره في المسائل الاجتهادية والمسائل النظرية....) الزيدية نشأتها ومعتقداتها (٣٠-٣١).

وقال - حفظه الله-: (وقد اعتمد الإمام الهادي يحي بن الحسين في استنباط فقهه الذي اجتهد فيه، واختاره مذهبًا له على أدلة مروية عن أسلافه؛ منها ما هو مرسل، ومنها ما هو موقوف، ولم يلتفت إلى الأدلة المروية عند أهل السنة، فيستنبط منها أحكام فقهه كما فعل أئمة المذاهب الأربعة المشهورون: الشافعي والحنفي والمالكي والحنبلي، ولكنه تجاهلها، بل وأنكر صحتها....) نفس المصدر (٣٤-٣٥).

وقال: (في الفقه الهادي مسائل مأخوذة من الفقه الجعفري، مثل الجمع الدائم بين الصلاتين: الظهر والعصر، وكذلك المغرب والعشاء في غير سفر، وترك الجمعة إلا مع وجود إمام حاكم، وعدم قصر الرباعية في السفر في الغالب، والاحتفال سنويًا بالغدير في اليوم الثامن عشر من ذي الحجة وزيادة على ذلك، فإن كثيرًا من الأئمة الذين حكموا اليمن قد قدموا إليها من العراقين: عراق العرب، وعراق العجم (بلاد فارس) مثل القاسم بن علي العياني، ووزيره القاسم الزيدي، وكذلك أبو الفتح الديلمي وغيرهم. لذلك فلا غرابة ولا استنكار إذا أخذ زيدية اليمن يفتحون صدورهم لمن يفد عليهم من الشيعة الإمامية، ويرحبون به، وينزلونه منزلًا كريمًا كما حكى ذلك العلامة المقبلي بقوله: (ثم رأيناهم – أي الزيدية – إذا وفد إمامي على هذه الدولة المباركة في اليمن الآن (الدولة القاسمية وكان ذلك في عهد الإمام المتوكل إسماعيل بن الإمام القاسم بن محمد) هشُّوا إليه، وأجهشوا، وعشعشوا، وانتعشوا، قائلا لمحمد بن إبراهيم جحاف: أراكم يفد على هذه الدولة المباركة الرجل من الإمامية، فكأنما وفد عليكم مَلَك، مع أن من أصولهم – أي الإمامية – البراءة منكم، ومن سائر الفرق الإسلامية المنكرين للنص على أئمتهم (الاثنا عشر)؛ لأنهم أنكروا ما علم من الدين ضرورة بزعمهم، ويعتقدون أن أئمتكم منذ زيد بن علي إلى يومنا هذا رؤساء الضلال والكفر، - صانهم الله تعالى -، ويسمون من خالفهم كافرًا ومنافقًا.

ثم أضاف المقبلي مخاطبًا المذكور: وإذا جاءكم الرجل من أهل المذاهب الأربعة، فكأنما رأيتم شيطانًا، مع أن من أصولهم وأمهات المسائل عندهم أن لا يُكَفَّر أحد من أهل القبلة، فأخبرني ما هذا ؟ فما وجد من الجواب إلا أن قال: الإمامية لم يشتغلوا بنا، ولا بأذيتنا، وهؤلاء يرموننا بالابتداع، فقلت له: أيهما أعظم: الرمي بالبدعة مع الشهادة لكم بالإسلام، أم الرمي بالكفر واستحلال دمائكم وسبي نسائكم وأبنائكم واغتنام أموالكم ؟ فأَلجم) نفس المصدر (٥٦-٥٧)، وانظر كلام العلامة المقبلي - المتوفى سنة (١١٠٨) – في العَلم الشامخ (١٠٨-١٠٩)، وللهادي مخالفات عقدية وفقهية كثيرة ليس هذا مقام بسطها، ومنها فيما يتعلق بموضوع الكتاب ما نقله العلامة يحيى بن حمزة في (الرسالة الوازعة للمعتدين عن سب أصحاب سيد المرسلين) عن الهادي في بيان معتقده في الصحابة حيث قال يحيى بن حمزة (...فحصل من هذه الروايات

التي نقلناها عن الرسول وعن أمير المؤمنين وأولاده السابقين التولي والمحبة للصحابة ـ رضي الله عنهم ـ وأن أحدًا من أهل البيت لم يُنقل عنهم بتكفير ولا تفسيق لهما وهذا هو الأوثق من حال الأئمة السابقين أهل الآراء الصائبة والأذهان الثاقبة ثم إن لهم بعد القطع بعدم التكفير والتفسيق مذهبين: (الأول) من صرح منهم بالترحم والترضية عليهم، وهذا هو الأشهر من أمير المؤمنين كما حكيناه ومن زيد بن علي، وجعفر الصادق، والناصر للحق، والسيد المؤيد، وغيرهم، وهذا هو المختار عندنا ونرتضيه لأنفسنا مذهبًا ودللنا عليه..... (المذهب الثاني) هو مذهب من توقف عن الترضية والترحم ونهى عن التكفير والتفسيق وإلى هذا يشير كلام الهادي...). الرسالة الوازعة (١٨٥-١٨٦)ومذهب الهادي - مع مخالفته الصريحة للنصوص الكتاب والسنة، وما عليه أهل السنة والجماعة من آل البيت ومن غيرهم — يخالفه الكثير من المنتسبين إلى الهادوية اليوم قال الشوكاني - رحمه الله -: (يا من يدعي أنه من أتباع الإمام الهادي يحيى بن الحسين ! هلا سلكت مسلكه، ومشيت على سُنن مذهبه، فتوقف كما صحّ عنه التوقف بما أسلفناه من حكاية الإمام الأجل يحيى بن حمزة عنه). تنبيه الغبي ضمن الفتح الرباني (٨٦٤) مع العلم أنه قد جاءت رواية عن الهادي بالترضية عن الصحابة - رضي الله عنهم - انظر الفتح الرباني (٨٤٧، ٨٦٥).

والذي يظهر من مذهب الزيدية أنهم يفرقون بين الخلفاء الثلاثة، والصحابة الذين بايعوهم، فهم يعدون هؤلاء الصحابة الكرام مخالفين لعلي، وما ورد في حقه من نصوص — بزعمهم — في النص عليه- إما بالوصف كاعتقاد الجارودية منهم؛ وإما لأنه الأصلح للخلافة كاعتقاد السليمانية والبترية من الزيدية ـ وأنه أفضل الخلق بعد النبي ﷺ ولكنهم لا يقدمون على التكفير والتفسيق لهم، وإن اختلفوا في الترحم والترضية، - خلافًا للجارودية من الزيدية فإنهم أشبه بالرافضة - أما الصحابة الذين حصلت الفتنة بينهم وبين علي وخاصة معاوية، وعمرو بن العاص، وأبي موسى الأشعري، فإن يحيى بن حمزة أحد كبار الزيدية ينقل اللعن لهم والتبرى منهم- صانهم الله — أنظر الرسالة الوازعة (١١٢-١٢١) ولا شك أن هذا التفريق بين الصحابة، والتجرؤ على اللعن لمن كانت الفتنة بينه وبين علي يعد من المخالفات الخطيرة للشريعة ولعموم الأدلة في النهي عن سب الصحابة والتعرض لهم بالطعن، وما حمل الزيدية على هذا المذهب إلا التعصب، وإلا فلم يثبت عن علي أنه كان يلعن مخالفيه أو يطعن في دينهم. مع أن معتقد أهل السنة أن الحق مع علي، وأن طائفة معاوية كانت باغية كما في نص الحديث لكن لا يلزم من ذلك التفسيق والتكفير؛ لأن معاوية ومن معه كانوا متأولين في قتال علي، والتأول يمنع التفسيق، والله يغفر لهم أجمعين ويصون ألسنتنا عن الطعن فيهم و يجمعنا بهم في دار كرامته.

قال شيخ الإسلام - رحمه الله -: (ثبت بالنصوص الصحيحة أن عثمان، وعليًا، وطلحة، والزبير وعائشة من أهل الجنة. بل قد ثبت في الصحيح « أنه لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة ». وأبو موسى الأشعري وعمرو بن العاص ومعاوية بن أبي سفيان هم من الصحابة، ولهم فضائل

ومحاسن. وما يحكى عنهم كثير منه كذب؛ والصدق منه إن كانوا فيه مجتهدين: فالمجتهد إذا أصاب فله أجران، وإذا أخطأ فله أجر وخطؤه يغفر له. وإن قدر أن لهم ذنوبًا، فالذنوب لا توجب دخول النار مطلقًا إلا إذا انتفت الأسباب المانعة من ذلك وهي عشرة. منها: - التوبة: ومنها الاستغفار، ومنها الحسنات الماحية، ومنها المصائب المكفرة، ومنها شفاعة النبي ﷺ، ومنها شفاعة غيره، ومنها دعاء المؤمنين، ومنها ما يهدى للميت من الثواب والصدقة والعتق، ومنها فتنة القبر، ومنها أهوال القيامة. وقد ثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: « خَيْرُ الْقُرُونِ الْقَرْنُ الَّذِي بُعِثْتُ فِيه ثُمَّ الَّذين يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذينَ يَلُونَهُمْ ». وحينئذ فمن جزم في واحد من هؤلاء بأن له ذنبًا يدخل به النار قطعًا فهو كاذب مفتر. فإنه لو قال ما لا علم له به لكان مبطلًا فكيف إذا قال ما دلت الدلائل الكثيرة على نقيضه ؟ فمن تكلم فيما شجر بينهم - وقد نهى الله عنه: من ذمهم أو التعصب لبعضهم بالباطل - فهو ظالم معتد. وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: « تَمرقُ مَارِقَةٌ عَلَى حِين فِرْقَة مِنْ الْمُسْلِمِينَ تَقْتُلُهُم أولَى الطَّائِفَتَينِ بِالْحَق » وقد ثبت عنه في الصحيح أنه ﷺ قال عن الحسن: « إِنَّ ابني هَذَا سُيِّد وَسَيُصْلِحُ الله بِه بَينَ فِئَتَين عَظِيمَتَيْن مِنَ الْمُسْلِمِينَ ».

وفي الصحيحين عن عمار أنه قال: « تَقْتُلُه الْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ » وقد قال تعالى في القرآن: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾.. فثبت بالكتاب والسنة وإجماع السلف على أنهم مؤمنون مسلمون وأن علي بن أبي طالب، والذين معه كانوا أولى بالحق من الطائفة المقاتلة له والله أعلم) الفتاوى (٤/ ٤٣١-٤٣٣)، وقال: (وأما الحديث الذي فيه «إن عمارا تقتله الفئة الباغية »... فهو حق كما قاله، وليس في كون عمار تقتله الفئة الباغية ما ينافي ما ذكرناه، فإنه قد قال الله - تعالى -: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾. ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ﴾ فقد جعلهم مع وجود الاقتتال والبغي مؤمنين إخوة؛ بل مع أمره بقتال الفئة الباغية جعلهم مؤمنين.

وليس كل ما كان بغيًا وظلمًا أو عدوانًا يخرج عموم الناس عن الإيمان، ولا يوجب لعنتهم؛ فكيف يخرج ذلك من كان من خير القرون ؟ وكل من كان باغيًا، أو ظالمًا، أو معتديًا، أو مرتكبًا ما هو ذنب فهو " قسمان " متأول، وغير متأول، فالمتأول المجتهد: كأهل العلم والدين، الذين اجتهدوا، واعتقد بعضهم حل أمور، واعتقد الآخر تحريمها...... فقد جرى ذلك وأمثاله من خيار السلف. فهؤلاء المتأولون المجتهدون غايتهم أنهم مخطئون، وقد قال الله - تعالى -: ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ وقد ثبت في الصحيح أن الله استجاب هذا الدعاء..... فالبغي هو من هذا الباب. أما إذا كان الباغي مجتهدًا ومتأولًا، ولم يتبين له أنه باغ، بل اعتقد أنه على الحق وإن كان مخطئا في اعتقاده: لم تكن تسميته «باغيًا» موجبة لإثمه، فضلا عن أن توجب فسقه.....

ثم بتقدير أن يكون «البغي» بغير تأويل: يكون ذنبًا، والذنوب تزول عقوبتها بأسباب متعددة: بالحسنات الماحية، والمصائب المكفرة، وغير ذلك) الفتاوى (٣٥/ ٥٨-٧٩)، وقال: (الباغي قد يكون متأولًا معتقدًا أنه على حق، وقد يكون متعمدًا يعلم أنه باغ، وقد يكون بغيه مركبًا من شبهة وشهوة، وهو الغالب، وعلى كل تقدير فهذا لا يقدح فيما عليه أهل السنة؛ فإنهم لا يُنزهون معاوية، ولا من هو أفضل منه من الذنوب، فضلًا عن تنزيههم عن الخطأ في الاجتهاد، بل يقولون: إن الذنوب لها أسباب تُدفع عقوبتها من التوبة والاستغفار، والحسنات الماحية، والمصائب المكفِّرة، وغير ذلك، وهذا أمر يعم الصحابة وغيرهم، والحكاية المعروفة عن المسور بن مخرمة، وكان من خيار صغار الصحابة، لما أتى معاوية، وخلا به، وطلب منه أن يخبره بجميع ما ينقمه عليه، فذكر له المسور جميع ما ينقمه عليه، فقال: ومع هذا يا مسور ألك سيئات ؟ قال: نعم، قال: أترجوا أن يغفرها الله ؟ قال: نعم، قال فما جعلك أرجى لرحمة الله مني ؟ وإني مع ذلك والله ما خُيِّرت بين الله وبين غيره إلا اخترت الله على غيره، ووالله لما أنا إليه من الجهاد، وإقامة الحدود، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر أفضل من عملك، وأنا على دين يقبل الله من أهله الحسنات، ويتجاوز لهم عن السيئات، فما جعلك أرجى لرحمة الله مني ؟ قال المسور بن مخرمة: فخصمني.أو كما قال) منهاج السنة (٤/ ٣٨٥-٣٨٦)

(٢٣) نسبة إلى الإمام زيد بن علي بن الحسين- رحمه الله -، قال الشهرستاني (الزيدية: أتباع: زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب - رضي الله عنهم -.ساقوا الإمامة في أولاد فاطمة - رضي الله عنها -، ولم يجوزوا ثبوت الإمامة في غيرهم إلا أنهم جوزوا أن يكون كل فاطمي عالم زاهد شجاع سخي خرج بالإمامة يكون إمامًا واجب الطاعة سواء كان من أولاد الحسن أو من أولاد الحسين)، الملل والنحل (١/ ١/ ٢٠٧) حاشية الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم. وأما عن حدوث هذه التسمية فقال شيخ الإسلام: (لفظ الرافضة أول ما ظهر في الإسلام، لما خرج زيد بن علي بن الحسين في أوائل المائة الثانية في خلافة هشام بن عبد الملك، واتبعه الشيعة، فسُئل عن أبي بكر وعمر فتولاهما، وترحم عليهما، فرفضه قوم فقال: رفضتموني رفضتموني فسموا الرافضة، فالرافضة تتولى أخاه أبا جعفر محمد بن علي، والزيدية يتولون زيدًا ويُنسبون إليه، ومن حينئذٍ انقسمت الشيعة إلى زيدية ورافضة إمامية الفتاوى (١٣/ ٣٥-٣٦). وقال الذهبي في الإمام زيد: (كان ذا علم وجلالة وصلاح، هفا، وخرج، فاستشهد)قتل سنة (١٢٢)وقيل (١٢٥) وانظر خبر خروجه ومقتله ـ رحمه الله ـ البداية والنهاية أحداث سنة (١٢٢)، (وقصة زيد بن علي بن الحسين كانت بعد العشرين ومائة، سنة إحدى وعشرين أو اثنتين وعشرين ومائة، في أواخر خلافة هشام. قال أبو حاتم البستي: قُتل زيد بن علي بن الحسين بالكوفة سنة اثنتين وعشرين ومائة وصلب على خشبة. وكان من أفاضل أهل البيت وعلمائهم، وكانت الشيعة تنتحله) منهاج السنة (٣٤-٣٥)، وأما عن عقائد الزيدية فقال الإمام الكبير من أئمة الزيدية يحيى بن حمزة المتوفى سنة ٧٤٩- في بيان أصول الزيدية التي لا يكون الإنسان زيديًا

إلا أن يكون مُقرًا بها ـ: (.... والاعتراف بالوعد والوعيد، وحصر الإمامة في الفرقة الفاطمية، والنص في الإمامة على الثلاثة الذين هم علي وولداه وأن طريق الإمامة للدعوة فيمن عداهم فمن كان مُقرًا في هذه الأصول فهو زيدي، فهذه معتقدات الزيدية..... فمن كان جامعًا لهذه الأصول فهو زيدي ومن خرج عن هذه الأصول فليس بزيدي – وقال في بيان مذاهب الزيدية – مذاهبهم تنقسم إلى ثلاثة أقسام إلهيات، وأصوليات، وفقهيات أولها في الإلهية، ولهم معتقدات يتميزون بها عن سائر الفرق.......وسابعها الوعيد لأهل القبلة، وفساق أهل الصلاة ممن مات مصرًا على كبيرة فإن الله يدخله النار، ويُخلِّده فيها دائمًا، وثامنها القول بالإمامة بالتنصيص في الثلاثة، وبالدعوة والخروج فيمن عداهم، وأن الأفضل بعد رسول الله ﷺ هو علي - عليه السلام - فهذه مقالتهم في الأقطار كلها) الرسالة الوازعة للمعتدين عن سب صحابة سيد المرسلين بتحقيق الشيخ مقبل - رحمه الله - (٢١٩-٢٢٠، ٢٨٨، ٢٩٠، ٣٠٠، ٣١٤)، فالزيدية طائفة من طوائف الشيعة، ترى الخروج على أئمة الجور، وتخليد أهل الكبائر- إن ماتوا من غير توبة - في النار. وتقول بنفي الصفات الثابتة لله - عز وجل-، وتنكر القدر الذي لا يتم إيمان العبد إلا به، فهي تقول بأصول المعتزلة، وتزيد عليهم بالقول بالتفضيل والإمامة، أنظر في ذلك منهاج السنة (١/ ٧٠)، (٢/ ٣٠٣)، (٣/ ٣٩٦).

قال العلامة المقبلي (الزيدية في هذا الجبل من اليمن هم معتزلة في كل الموارد إلا في شيء من موارد الإمامة) العَلم الشامخ (١١)، وإن كان الإمام زيد ـ رحمه الله ـ برئ من أكثر عقائد الزيدية، وقال القاضي إسماعيل الأكوع – حفظه الله – (الزيدية كانوا لا يعتقدون بما يعتقد به الجعفرية من عصمة الأئمة الاثنى عشر والقول بالبداء، والتقية، والمتعة، وكانت في بداية ظهورها، وعصر نشأتها على ما كان عليه السلف الصالح من العمل بأحكام كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فقط، خلا أنها خالفت أهل السنة في أمرين كما يروى: أحدهما نزوعها في العقيدة إلى الاعتزال..... والأمر الأخر: الإمامة التي هي مدار اهتمام فرق الشيعة كلها وشغلهم الشاغل، ومحور عقائدهم السياسية، فقد كان زيد بن علي يرى أن علي بن أبي طالب ﷺ أحق بها بعد وفاة رسول الله ﷺ؛ لمكانته وقربه منه نسبًا وصهرًا، وهو ما ذهبت إليه فرق الشيعة كلها.... ومع هذا فإن زيدًا كان يرى جواز إمامة المفضول مع وجود الفاضل) الزيدية نشأتها ومعتقداتها (١٢-١٤).

والزيدية فرق متعددة وهم (خير من الإمامية، وأشبههم بالإمامية هم الجارودية أتباع أبي الجارود الذين يزعمون أن النبي ﷺ نصَّ على عليّ بالوصف لا بالتسمية فكان هو الإمام من بعده، وأن الناس ضلوا وكفروا بتركهم الاقتداء به بعد رسول الله ﷺ......). المنهاج (٣/ ٩-١٠)، قال الإمام يحيى بن حمزة عن الجارودية (هم أصحاب الجارود، وهو رجلٌ من أتباع زيد بن علي، وهم مختصون من بين سائر فرق الزيدية بالتخطئة للصحابة وتفسيقهم، وقد نُقل عن بعضهم إكفار بعض الصحابة، والله حسبهم فيما زعموه واعتقدوه، وهو لهم بالمرصاد. وهذه

المقالة لا تنسب إلى أحد من أكابر أهل البيت وعلمائهم وأئمتهم.... وعلى الجملة فهذه فرية ليس فيها مرية، ونحن نبرأ إلى الله من هذه المقالة، وليس علينا إلا إظهار الحجة وبيان وجه المحجة، فمن اهتدى فلنفسه، وذلك المتوجه علينا......... وأعلم أنه ليس أحد من فرق الزيدية أطول لسانًا، ولا أكثر تصريحًا بالسوء في حق الصحابة من هذه الفرقة أعني الجارودية وأما سائر فرق الزيدية فليسوا بقائلين بإكفار ولا تفسيق..... والجارود ليس أهلًا للمتابعة ولولا أن المذاهب لابد من إسنادها إلى قائلها لكان أهلًا أن لا يُنقل عنه هذا المذهب لمخالفته لمذهب الأئمة وما هو المشهور من مذاهب العترة فهذه بدعة ابتدعها من نفسه، وفرية افتراها من جهته لم يُقم عليها دلالة ولا برهان ولا صدرت عن عقيدة ملحمة بإيمان) الرسالة الوازعة (٣٤٦-٣٤٧)، و(الزيدية الذين يترحمون على أبي بكر وعمر، فيهم من يسب عثمان ويذمه، وخيارهم الذي يسكت عنه فلا يترحم عليه ولا يلعنه) المنهاج(٦/ ٢٠٠)، والذين يثبتون إمامة الشيخين أبي بكر وعمر ولكنهم يسبون عثمان ﷺ بل ويكفرونه هم السليمانية أو الجريرية من الزيدية نسبة إلى سليمان بن جرير.أنظر الزيدية للأكوع (٢٧)، ومنهاج السنة (٣/ ١٠-١١) فـ(الزيدية الذين يتولون أبا بكر وعمر مضطربون فيه) المنهاج (٧/ ٣٣٩).

وأقرب فرق الزيدية في مسألة الصحابة هي البترية أصحاب كثير النوَّاء الملقب بالأبتر قال شيخ الإسلام: (يزعمون أن عليًا أفضل الناس بعد رسول الله وأولاهم بالإمامة، وأن بيعة أبي بكر وعمر ليست بخطأ؛ لأن عليًا ترك ذلك لهما، ويقفون في عثمان وقتله، ولا يُقدمون عليه بإكفار كما يُحكى عن السليمانية، وهذه الطائفة هي أمثل الشيعة ويسمون أيضًا الصالحية لأنهم ينسبون إلى الحسن بن صالح بن حي الفقيه) منهاج السنة (٣/ ١١-١٢). وانظر الزيدية (٢٧-٢٨)قال يحيى بن حمزة: (الذين يقولون بإمامة الشيخين ويتوقفون في إمامة عثمان وهم الصالحية أصحاب الحسن بن صالح) الرسالة الوازعة (٩٦)، قال القاضي إسماعيل الأكوع: (ولم تكد تمُرُّ مئة سنة على قدوم الهادي يحيى بن الحسين رحمه الله إلى اليمن حتى افترق أتباع مذهبه، بعد أن تحولوا إلى الجارودية إلى ثلاث فرق، كما بين الإمام المهدي أحمد بن يحيى المرتضى – ت٨٤٠-بقوله: (وافترق متأخرو الجارودية إلى مطرفية وحسينية ومخترعة) وفي هذا تأكيد لما صرح به نشوان بن سعيد الحميري - ت٥٧٣- بقوله: (إنه ليس باليمن من فرق الزيدية غير الجارودية، وهم بصنعاء وصعدة وما يليها) ولما قاله الإمام المنصور عبدالله بن حمزة - ت٦١٤- من أن الزيدية هم الجارودية، ولا يُعلم في الأئمة - عليهم السلام - من بعد زيد بن علي - عليه السلام - من ليس بجارودي، واتباعهم كذلك.

ومما يؤكد هذا الحكم ما نص عليه المؤرخ العلامة محمد بن إسماعيل الكبسي المتوفى سنة ١٣٠٨هـ صاحب كتاب اللطائف السنية في كتابه النفحات المسكية، وذلك في ترجمة الفقيه أحمد بن أحمد الحملي الذي وصفه بقوله: (........ من الشيعة الجارودية الذين هم في الحقيقة خُلَّص الزيدية وأتباع العترة الزكية، فهم الذين على طريقة أئمة الآل) أهـ. ثم ذكر فرق الجارودية)

إن الصراع العقدي بين الزيدية والرافضة صراع قديم ابتداؤه انحراف الرافضة عن الإمام زيد بن على - رحمه الله – لسبهم للشيخين أبي بكر وعمر - رضي الله عنهما -قال الشوكاني - رحمه الله -: (وقد ثبت في كتب اللغة وشروح الحديث، وكتب التاريخ، أن الرافضة إنما ثبت لهم هذا اللقب لما طلبوا من الإمام، زيد بن علي بن الحسين بن علي - رحمه الله - أن يتبرأ من أبي بكر وعمر - رضي الله عنهما - فقال: هما وزيري جدي فرفضوه وفارقوه فسمُّوا حينئذٍ الرافضة.) الفتح الرباني (٥٤٤٠)، و(قال في القاموس الرافضة فرقة من الشيعة، بايعوا زيد بن علي، ثم قالوا: تبرَّأ من الشيخين، فأبى، وقال: كانا وزيري جدي، فتركوه، ورفضوه وأرفضّوا عنه، والنسبة رافضي... فتقرر بهذا أن الروافض من رفض ذلك الإمام لتركه سب الشيخين، والإمامية يسبون الشيخين وجمهور الصحابة، بل وسائر المسلمين، ما عدا من كان مثل اعتقادهم، ويسبون أيضًا زيد بن علي؛ كما يعرف ذلك من له إلمام بكتبهم. وقال النووي في شرح مسلم في مباحث المقدمة ما لفظه: سموا رافضة من الرَّفض وهو الترك. قال الأصمعي وغيره:

الزيدية (٨٤-٨٧)، ومع هذه الدلائل فإن يحيى بن حمزة – ت٧٤٩- ينكر أن يكون الزيدية هم الجارودية ويقول في بيان مراد المنصور بالله (إنما غرض الإمام المنصور بالله ـ سلام الله عليه ـ هو أن الأئمة من بعده قائلون بأن إمامته ثابتة بالنص كمقالته لا أنهم متابعون له في القول بإكفار الصحابة وتفسيقهم وحاشا لفكرته الصافية وعزيمته السامية أن يكون متضمخًا برذائل التقليد للجارود وغيره وإذا كان لابد من المتابعة فزيد بن علي أحق بالتقليد من غيره ولهذا فإن الجارود كان تابعًا له وكان من جملة أصحاب زيد فكيف يظن من له بصيرة أو أدنى خبرة من المنصور بالله وممن سبقه من الأئمة السابقين أن يكونوا أتباعًا للجارود هذه غاية الغفلة ممن يظن ذلك) الرسالة الوازعة (١٩٠-١٩٢)، وأما أهل السنة (أئمة المسلمين المشهورين فكلهم متفقون على أن أبابكر وعمر أفضل من عثمان وعلي. ونقل الإجماع على ذلك غير واحد) المنهاج (٧/ ٣٦٨)، وتفضيل أبي بكر وعمر على عثمان وعلي (لم يتنازع فيه من له عند الأمة قدر، لا من الصحابة، ولا من التابعين، ولا أئمة السنة، بل إجماع المسلمين على ذلك قرنًا بعد قرن، أعظم من إجماعهم على إثبات شفاعة نبينا في أهل الكبائر وخروجهم من النار....) المنهاج (٨/ ٢٢٣-٢٢٤) وأما تفضيل عثمان على علي فـ(عليه استقر أمر أهل السنة، وهو مذهب أهل الحديث، ومشايخ الزهد والتصوف، وأئمة الفقهاء.....) المنهاج (٨/ ٢٢٥).

لأنهم رفضوا زيد بن علي وتركوه.

وهكذا صرح جماعة من العلماء بأن الرافضة هم هؤلاء، وصرح جماعة أيضًا بأن الرافضة هم الذين يسبون الصحابة من غير تقييد). تنبيه الغبي ضمن الفتح الرباني ص (٨٥٨-٨٦٠).

وقد بلغ الخلاف والشقاق والتفرق بين الرافضة والزيدية أن صرح علماء الرافضة – كما هي عادتهم مع مخالفيهم – بكفر الزيدية حيث قال أحد أئمة الرافضة وهو المجلسي: (كتب أخبارنا مشحونة بالأخبار الدالة على كفر الزيدية وأمثالهم) بحار الأنوار (٣٧/ ٣٤) نقلًا من كتاب الإمامية والزيدية وجهًا لوجه.

ومع هذا الخلاف العقدي بين الزيدية والرافضة إلا أن الرافض قد تغلغل في أوساط كثير من الزيدية وبث الرافضة فيهم سمومها وعقائدها التي لم يكن عليها أسلاف الزيدية الأوائل.

وقد قال الشوكاني – رحمه الله – (**فإن الناس في هذه الديار زيدية وكثير منهم يجاوز ذلك فيصير رافضيًا جلدًا**[٢٤]) أدب الطلب ومنتهى الأرب (١٥٣).

---

(٢٤) قال العلامة المقبلي (ت ١١٠٨) – رحمه الله –: (ولقد سرى داء الإمامية في الزيدية في هذه الأعصار حتى تظهّر جماعة مُحَّ – قال في اللسان ومُحُّ كل شيء خالصه – مذهب الإمامية وهو تكفير الصحابة ومن تولاهم صانهم الله –تعالى–) العَلَم الشامخ (١٠٩)، وقال القاضي المؤرخ إسماعيل الأكوع – حفظه الله–: (أما اليوم، فإن أكثر العلويين المتسبين مذهبًا إلى زيد بن علي، ونسبًا إلى علي بن أبي طالب، ومن اعتزى إليهم من أهل اليمن – وما أكثرهم – قد تحول بعد قيام الثورة الإيرانية سنة ١٩٧٩م إلى شيعة اثنى عشرية تحت غطاء مذهب الإمام زيد بن علي، ولو كان الأمر يتعلق بهؤلاء شخصيًا لهان الخطب، ولكنهم يسعون بنشاط دائم إلى التبشير بهذا المذهب بالدعاية له، وتوزيع كتبه مجانًا، غير ما يباع منها في مكتبات خاصة بأثمان زهيدة، وذلك للانتقام من النظام الجمهوري الذي نشر التعليم على نطاق واسع في ربوع اليمن، مراعيًا في ذلك توحيد مناهج التربية الدينية بعيدًا عن المذهبية الضيقة، ليكون مقبولًا لدى أتباع المذهبين الشافعي والزيدي على حد سواء.

والذي سهَّل لأهل السنة في المناطق السائد فيها المذهب الهادوي الزيدي ممارسة شعائر العبادة في المساجد علنًا بحرية تامة من غير خوف ولا وجل، فأقبل كثير من الناس على قراءة كتب السنة

(فمن غلا من الزيدية وسبَّ وثَلَبَ، فليس هو من الزيدية، ولا من أتباع أئمة أهل البيت سلام الله عليهم، بل هو رافضي مقلِّد لغلاة الرافضة، وقد جمعت رسالة حكيت فيها الإجماع من الآل من نحو ثلاثة عشر طريقًا، على أن مذهبهم خلاف مذهب الرافضة، وأنهم يعتقدون فضل الصحابة، الذين هم خير القرون، ويتحاشون عن مذاهب الرفض.) وبل الغمام (٢/ ٣٩٥) .

وقد بين - رحمه الله - أن بعض الزيدية أخذ يتلقف ما في كتب الرافضة من حكايات مبنية على الكذب والبهتان وبين أن هذا حال (من استزلَّه الشيطان منهم ودلاَّه بغرور، فتعلق بما في كتب غلاة الرافضة من الحكايات، التي هي محض الزور.... وهذا يدلك أن ما ترويه الرافضة عن الإمام أحمد بن سليمان من المقالات، التي هي مخالفة لمذهب الزيدية إنما هو موضوع عليه، ومختلق عنه، كالمُصنَّف الذي ينسبونه إليه، ويسمونه ((الحكمة الدرية)) ، فإنه من أوله إلى آخره يدور على تكفير الصحابة وسبِّهم، وذكْر ما قد صانهم الله من وقوعه، ومن أعجب ما رأيت أن بعض الرافضة دعاني إلى منـزله ووضع كتابًا بمكان منه مُتَّصلًا بالمكان الذي أنا قاعد فيه، ثم خرج من المنـزل وتركني فيه، فتناولت تلك الكتب واحدًا بعد واحد، فوجدتُها جميعها مشتملة على سب الصحابة، وتكفيرهم، وذكْر مثالب لهم مُختلقة باطلة[٢٥]؛ فعرفت أن الرجل إنما دعاني لهذا

طواعية؛ لتأكدهم أنها السبيل الوحيد لإزالة الفوارق المذهبية وتوحيدهم على قلب رجل واحد، فتمحى من ذاكرتهم الأحكام التي كانت تصدر من بعض الحكام بالتكفير والتفسيق لمخالفيه مذهبيًا مع أنه يوجد في العلويين مَن ترك التقليد وعمل بأحكام الكتاب، وصحيح السنة عن فهم وإيمان واعتقاد، لكنهم تحولوا عن ذلك لدوافع سياسية.

يَأبى الفَتى إلَّا اتِّباعَ الهَوى   وَمَنْهَجُ الحَقِّ لَهُ وَاضِحُ

مع أنهم يعلمون أن الإمام الهادي يحيى بن الحسين قد هاجم المذهب الجعفري في كتبه، وذكر أن أتباعه على غير حق في ما ذهبوا إليه من عصمة الأئمة الاثنى عشر، والقول بالتقية، والبداء وتكفير من سواهم من أصحاب المذاهب (رسائل العدل والتوحيد ٧٥). اهـ الزيدية (٩٧).

(٢٥) قال ابن تيمية - رحمه الله - (وقد تدبرتهم فوجدتهم لا يضيفون إلى الصحابة عيبًا إلا وهم

المقصد، وهو كان من المشتهرين بالرفض مع دعوى عريضة للعلم.

ومن جملة ما رأيته في هذه الكتب: ((الحكمة الدرية)) المنسوبة إلى الإمام أحمد بن سليمان، فرأيت بعض بياضها قد صار خَلِقًا، وبعضه قد صار متوسطًا بين الجدة والخلاقة، وبعضه جديدًا والكتابة فيه جديدة، وفيه كراسة قد ألصق بالأصل، ولم تكن فيها من الكتابة إلا نحو أربعة أو خمسة سطور في أولها، ومعنى الكتابة هكذا: فصل: واعلم – وفقك الله – أنَّ فلانًا وفلانًا – وعدَّ جماعة من الصحابة – قد كفروا بالله صانهم الله عن ذلك. وتلك الكتابة لعلها مكتوبة في ذلك الوقت، إما من صاحب المنـزل، أو من بعض من يتصل به بإذنه، فانظر – رعاك الله – هذه الجرأة، ولا تستبعد ذلك من أحوال الرافضة، فإنهم يكذبون كيف شاءوا، ولا يبالون، وقد صرح بذلك جماعة من أكابر أهل البيت، منهم المؤيد بالله في الزيادات، بل صرَّح الهادي يحيى بن الحسين في الأحكام، في أوائله بما فيه غاية الثلْب لهم والتوجُّع منهم، وروي في كتاب الطلاق منه حديثًا عن أبيه عن جده، قد اتصل إسناده إلى رسول الله ﷺ بالأئمة من آبائه، أنه قال: يا علي، يخرج في آخر الزمان قوم، له نبْز يُعرفون به، يقال لهم: الرافضة فاقتلهم، قتلهم الله فإنهم مشركون. وقد صرح جماعة من الأئمة بأنه لم يكن في الأحكام حديث يرويه الهادي عن أبيه عن جده إلى النبي ﷺ إلا هذا الحديث.

ومن جملة من صرَّح بذلك السيد العلامة محمد بن إبراهيم الوزير، قبره في هجرة الظهروين بني حجاج الثنوة، وله مصنفات جليلة عديدة.

والحاصل أن مَن صار من أتباع أهل البيت مشغولًا بسبِّ الصحابة وثلْبهم والتوجع منهم – فليس من مذهب أهل البيت في شيء، بل هو رافضيّ خارج عن مذهب جماعتهم، وقد ثبت إجماعهم من ثلاث عشرة طريقة، كما أوضحت ذلك

أعظم الناس اتصافًا به، والصحابة أبعد الناس عنه فهم أكذب الناس بلا ريب) منهاج السنة (٢/ ٨٧).

في الرسالة التي سمَّيتها «**إرشاد الغبي إلى مذهب أهل البيت في أصحاب النبي**»؛ أنهم لا يسبون أحدًا من الصحابة، الذين هم أهل السوابق والفضائل، وقد قال الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة، من زعم أن أحدًا من أبائه يسبُّ أحدًا من الصحابة؛ فهو كاذب، أو كما قال.

وقد جرت عوائد الله ـ عز وجل ـ فيما شاهدناه في أهل عصرنا أنه لا يُفلح من شغل نفسه بسبِّ الصحابة والعداوة لهم في دينه ولا دنياه:

أما الدين: فإنك تجد كل مَن كان كذلك مُتساهلًا بجميع أركان الشريعة، فضلًا عن غيرها، مُنهمكًا في البطالات على أنواعها، يأتي الصلاة دِبارًا، لا يبالي بجمعة ولا جماعة، أهون شيء عليه، وأحقره لديه؛ ما ثبت من سنة سول الله ﷺ، ينصب نفسه لعداوة ذلك، وعداوة أهله، ويتهاون به، ويتماجن على حامله والعامل به.

وأما الدنيا: فإنك ترى المُبتلى بذلك قد تعاورته مصائب الدنيا من جميع الجوانب، لا يزال مهمومًا مغمومًا مضطهدًا، ظاهر القماءة والرثاثة، مُحتقَرًا ممقوتًا مبغوضًا، وقد شاهدت من هذا القبيل ما يقصر عن الوصف، حاصله أن الواحد منهم لا يبقى بيده شيء من دين أو دنيا، إلا مجرد سبِّه للصحابة، وعداوته لمن لا يوافقه في ذلك، قد جعل هذا شعاره ودثاره ورأس ماله، فإن الرجل الذي ذكرت لك أنه دعاني إلى منـزله كان هو وأخوه من رؤوس هذه الطائفة، وكان لهما في مبادئ أمرهما جلالةٌ وهيئةٌ ومقدارٌ، ثم حقت عادة الله عليهما، فأحدهما اتُّهم بسرقة؛ فأُهين وشُرِّد وصار الآن يتكفَّف الناس، والآخر لم يمت حتى صار أذلَّ من وتدٍ بقاع، بعد أن سُلِّط عليه من لا يُؤبَه له، فلعب به كيف يشاء، وكم أُعدِّد لك من هذا.)وبل الغمام (١/ ٤٧٢-٤٧٥).

ولقد توجع الإمام الشوكاني من متعصبة زمانه ممن انتسبوا إلى التشيع أيما توجع؛ وانظر كيف يصف حالهم وما بلغ إليه تعصبهم مما أضحى عليه حال

الزيدية الهادوية فبعد ذكره أن أتباع الهادي والإمام زيد كانوا سابقًا فيهم نوع إنصاف.

قال: (وأما في هذه الأزمنة فقد أدركنا منهم من هو أشدُّ تعصبًا من غيرهم فإنهم إذا سمعوا برجل يدّعي الاجتهاد ويأخذ دينه من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ قاموا عليه قيامًا تبكي له عيون الإسلام، واستحلوا منه ما لا يستحلونه من أهل الذمة بالطّعن واللّعن والتفسيق والتكفير والهجْم عليه إلى داره، ورجْمِهِ بالأحجار، والاستظهار بهتك حرمته، ونعلم يقينًا أنه لولا خَبْطُهم بسوط هيبة الخلافة أعز الله أركانها وشيّد سلطانها لاستحلوا إراقة دماء العلماء المنتمين إلى الكتاب والسنة، وفعلوا بهم ما لا يفعلونه بأهل الذمة.

وقد شاهدنا من هذا ما لا يتسع المقام لبسطه والسبب في بلوغهم هذا المبلغ الذي ما بلغه غيرهم، أن جماعة من شياطين المقلدين الطالبين لفوائد الدنيا بعلوم الدين يوهمون العوامَّ الذين لا يفهمون من الأجناد والسُّوقة ونحوهم؛ بأن المخالف لما قد تقرر بينهم من المسائل التي قلدوا فيها، أنه من المنحرفين عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ، وأنه من جملة المُبغِضين له، الدافعين لفضله وفضائله[٢٦]، المُعادين له وللأئمة من أولاده؛ فإذا سمع منهم العامي هذا مع ما

(٢٦) إن هذا الصحابي الجليل، والفتى النبيل، والشهيد القتيل، علي بن أبي طالب ﷺ وأرضاه يعد محنة لمن غلا فيه ومن جفى عنه، ونحن نحبه ونشهد الله على حبه، بل حبه من الإيمان وبغضه من النفاق ويكفي في فضله أنه رابع أربعة هم أفضل أتباع الأنبياء، فليهنأ بالحق من عرف حقه وقدره ومنزلته، والخسارة والبوار لمن هضمه حقه، أو غلا فيه، فأبعد الله الناصبة الخوارج والروافض فهم شر من وطئ الحصا من المنتسبين إلى الإسلام، وهم قد مرقوا من الدين كما يمرق السهم من الرمية، فالناصبة كما قال الشوكاني: قد أطبقوا (على لعن علي، ولا يعرف عندهم إلا بأبي تراب والمنتسب إليه والمعظم له ترابي لا يُقام له وزن ولا يُعظَّم له جانب ولا تُرعى له حرمة) والرافضة مع بعدهم عن الدين القيم والشريعة الحقة فإنهم (أفرطوا في التشيع وغالوا في حب علي وبغض كثير من الصحابة واشتغل الناس بفضائل علي ونشرها وبالغوا في ذلك حتى وضع لهم علماء السوء أكاذيب مفتراة، وقد جعل الله ذلك الإمام في غنى عنها بما ورد من فضائله). أدب الطلب (١١٣).

قد ارتكز في ذهنه من كون هؤلاء المقلدة هم العلماء المبرِّزون، لِما يَبهره من زِيِّهم والاجتماع عليهم وتصدُّرهم للفتيا والقضاء.. فلا يشك أن هذه المقالة صحيحة، وإن ذلك العالم العامل بالكتاب والسنة من أعداء القرابة، فيقوم بحمية جاهلية صادرةٍ عن واهمة دينية قد ألقاها إليه من قدمنا ذكرهم، ترويجًا لبدعتهم، وتنفيقًا لجهلهم وقصورهم على من هو أجهل منهم، وإنما موّهوا على العوام بهذه الدقيقة الإبليسية لِما يعلمونه من أن طبائعهم مجبولة على التشيع إلى حد يقصُر عنه الوصفُ حتى إن أحدهم لو سمع التنقُّصَ تصريحًا بالجناب الإلهيِّ، أو الجناب النبويِّ، لم يغضب له عشرَ معشارِ ما يَغْضِبه إذا سمع التنقُّصَ بالجناب العلوي بمجرد الوهم والإيهام الذي لا حقيقة له.) الفتح الرباني ص (٢٢١١-٢٢١٢).

باب

في عقيدة البداء عند الرافضة وقولهم: إن الله قد يظهر له أمر خفي عليه. تعالى الله عن ذلك

قال الشوكاني - رحمه الله -: (النسخ[٢٧] جائز عقلًا واقع سمعًا بلا خلاف في ذلك بين المسلمين والنسخ لا يستلزم البداء لا عقلًا ولا شرعًا **وقد جوزت الرافضة البداء عليه - عز وجل -**[٢٨]؛ لجواز النسخ، وهذه مقالة توجب الكفر

---

(٢٧) قال الإمام الشوكاني في تعريف النسخ: (الأولى أن يقال هو رفع حكم شرعي بمثله مع تراخيه عنه) إرشاد الفحول (٣١٣).

(٢٨) قال العلامة إحسان إلهي ظهير (تجيز الشيعة هذا البداء لله، أي يظهر له أمر بعد ما كان خافيًا عليه – تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا – كما تنص على ذلك روايات شيعية كثيرة في أمهات كتبهم المعتمدة الموثوقة) الرد الكافي (٢٠٠-٢١٠) قال محمد بن النعمان (المفيد) أحد كبار علماء الرافضة وأحد مؤسسي المذهب: في (أوائل المقالات) : ((واتفقت الإمامية على وجوب رجعة كثير من الأموات إلى الدنيا قبل يوم القيامة، وإن كان بينهم في معنى الرجعة اختلاف، **واتفقوا على إطلاق لفظ البداء في وصف الله - تعالى** -، وإن كان ذلك من جهة السمع دون القياس، واتفقوا أن أئمة الضلال خالفوا في كثير من تأليف القرآن، وعدلوا فيه عن موجب التنزيل وسنة النبي ﷺ) أوائل المقالات ص ٤٨، ٤٩ - دار الكتاب الإسلامي - بيروت، نقلًا من كتاب الاثنى عشرية وتحريف القرآن لمحمد بن عبد الرحمن السيف ط دار الأمل (ص ١٨).

وقد ذكر الكليني في كتابه أصول الكافي - وهو يعد عندهم بمنزلة صحيح البخاري عند المسلمين – بابًا كاملًا في البداء وسماه باب البداء، وأتى فيه بروايات كثيرة نذكر بعضها: (عن زرارة بن أعين عن أحدهما ـ عليهما السلام ـ قال: ما عبد الله بشيء مثل البداء، وفي رواية ابن أبي عمير عن هشام بن سالم عم أبي عبدالله – عليه السلام –: ما عُظِّم الله بمثل البداء....). اهـ نقلًا من كتاب بطلان عقائد الشيعة للعلامة محمد التونسوي الباكستاني. ومن المقالات الخطيرة للرافضة قول (عامة الروافض إلا شرذمة قليلة إن الله - سبحانه - لا يعلم ما يكون قبل أن يكون) مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري (٢/ ١٨١) قال الإمام أبو الحسن الأشعري: (وعامة الروافض يصفون معبودهم بالبداء، ويزعمون أنه تبدو له البدوات. ويقول بعضهم: قد

يأمر ثم يبدو له، وقد يريد أن يفعل الشيء في وقت من الأوقات ثم لا يفعله لما يحدث له من البداء، وليس على معنى النسخ، ولكن على معنى أنه لم يكن في الوقت الأول عالمًا بما يحدث له من البداء. وسمعت شيخًا من مشايخ الرافضة وهو الحسن بن محمد بن جمهور يقول: ما علمه الله- سبحانه - أن يكون ولم يُطلِع عليه أحدًا من خلقه فجائز أن يبدو له فيه وما اطلع عليه عباده فلا يجوز أن يبدو له فيه. اهـ مقالات الإسلاميين (٢/ ١٨٢-١٨٣) وقال: (وكل الروافض إلا شرذمة يزعمون أنه يريد الشيء ثم يبدو له فيه) المقالات (١/ ١١١) وانظر للمزيد في بيان افتراق الرافضة في عقيدة البداء نفس المصدر (١/ ١١٣- ٢٩٢).
قال القرطبي - رحمه الله تعالى -: (قال النحاس: والفرق بين النسخ والبداء أن النسخ: تحويل العبادة من شيء إلى شيء قد كان حلالًا فيحرم، أو كان حرامًا فيحلل. وأما البداء: فهو ترك ما عزم عليه، كقولك: امض إلى فلان اليوم، ثم تقول لا تمض إليه، فيبدو لك العدول عن القول الأول، وهذا يلحق البشر لنقصانهم. وكذلك إن قلت: ازرع كذا في هذه السنة، ثم قلت: لا تفعل، فهو البداء) اهـ تفسير القرطبي (٢/ ٦٤) دار الفكر.، فـ(معنى البداء: ظهور الشيء بعد خفائه ، أي أن الله أمر بشيء أو نهى عن شيء دون أن يعلم عاقبة الأمر والنهي ، ثم بدا له رأي فنسخ الحكم الأول ، وهذا فيه لزوم الجهل على الله - والعياذ بالله من هذه العقيدة الفاسدة وتعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا- لكن معنى النسخ المصطلح عند المسلمين أن الله - تعالى - كان يعلم أن هذا الحكم من الأمر أو النهي يكون باقيًا على المكلفين به إلى وقت معين في علم الله ثم ينسخه الله ، أي إذا جاء الوقت المعين في علم الله يعطي الله المكلفين حكمًا آخر يظهر منه للمكلفين الزيادة على الحكم الأول أو النقصان منه أو رفعه نهائيًا ، فهذا الحكم الآخر هو في الحقيقة بيان انتهاء العمل بالحكم الأول ، ولكننا نحن المكلفين؛ لأننا لم نكن نعلم بالحكم الآخر ولا بوقت وروده ، ولأن الحكم الأول لم يكن مؤقتًا وكنا نظن دوامه ، فعند ورود الحكم الآخر نظن؛ لقصور علمنا أن هذا تبديل وتغيير للحكم الأول ، ولكن هو بالنسبة إلى الله ليس تبديلًا ولا تغييرًا، وإنما هو بيان انتهاء العمل بالحكم الأول ، وفي هذا حِكم ومصالح للعباد يعلمها الله، وسواء ظهرت لنا أو لم تظهر؛ لأن جميع الأحكام التي يشرعها الله لعباده فيها مصلحتهم ، إما في جلب منفعة أو تكميلها، وإما في درء مفسدة أو تقليلها ، والحِكم والمصالح تكون نظرًا إلى حال المكلفين والزمان والمكان ، وهذا لا يعلمه أحد إلا الله - سبحانه -، لذلك كان نسخ الأحكام حقًّا لله وحده ، وليس البداء من هذا القبيل ، وهو ممتنع في حق الله - سبحانه -؛ لأن علم الله أزلي أبدي يعلم الأشياء قبل وقوعها ، أما البداء فجائز في حقنا نحن البشر). اهـ من (مختصر إظهار الحق للشيخ رحمة الله بن خليل الرحمن الكيرانوي الهندي تحقيق محمد أحمد عبد القادر ملكاوي.) (إن الدافع الحقيقـي لهذا المبدأ هو أنهم غالوا في أئمتهم، وأحلوهم منزلة فوق البشر، ونسبوا لهم العصمة وعلم الغيب، فكان لابد من مخرج إذا حدثوا بمغيب فكذبهم الواقع، وكان هذا المخرج هو القول بالبداء ! وأول من نادى به المختار الثقفي؛ لأنه كان يدعى علم الغيب،

فإذا حدثت حادثة على خلاف ما أخبر قال: قد بدا لربكم ! (انظر: النسخ في القرآن الكريم ١/ ٢٥ -٢٦، وضحى الإسلام ١/ ٣٥٤، والإمام الصادق ص: ٢٣٤، والملل والنحل للشهرستاني(١/ ١٣٢- ١٣٣).

وروي أن أبا الخطاب محمد بن أبى زينب الأسدي الأجدع عندما حارب والي الكوفة عيسى بن موسى بن محمد بن عبد الله بن العباس جعل القصب مكان الرماح، واستخدم الحجارة والسكاكين، وقال لقومه: قاتلوهم فإن قصبكم يعمل فيهم عمل الرماح والسيوف. ورماحهم وسيوفهم وسلاحهم لا تضركم، ولا تحل فيكم: فقدمهم عشرة عشرة للمحاربة، فلما قتل منهم نحو ثلاثين رجلًا قالوا له: ما ترى ما يحل بنا من القوم، وما نرى قصبنا يعمل فيهم ولا يؤثر، وقد عمل سلاحهم فينا، وقتل من ترى منا، فقال لهم: إن كان قد بدا لله فيكم فما ذنبي ؟ (فرق الشيعة ص ٧٠) ولهذا جاء في الكافي عن أبى عبد الله: " إن لله علمين: علم مكنون مخزون لا يعلمه إلا هو، من ذلك يكون البداء، وعلم علمه ملائكته ورسله وأنبياءه فنحن نعلمه "(ص ١٤٧ من الكتاب المذكور ج ١).

وفى رواية أخرى في الكافى أيضًا (١/ ٣٦٩): " إذا حدثناكم الحديث فجاء على ما حدثناكم به فقولوا: صدق الله، وإذا حدثناكم الحديث فجاء على خلاف ما حدثناكم به فقولوا: صدق الله تؤجروا مرتين ".وعلق صاحب الحاشية بقوله: " مرة للتصديق، وأخرى للقول بالبداء ") اهـ من كتاب مع الشيعة الاثنا عشرية في الأصول والفروع للدكتور علي السالوس (١/ ٣١٢-٣١٧) (وكان شيوخ الشّيعة يَمُنُّونَ أتباعهم بأنّ الأمر سيعود إليهم، والدّولة ستكون لهم، حتى إنّهم حدّدوا ذلك بسبعين سنة في رواية نسبوها لأبي جعفر، فلمّا مضت السّبعون ولم يتحقّق شيء من تلك الوعود اشتكى الأتباع من ذلك، فحاول مؤسّسو المذهب الخروج من هذا المأزق بالقول بأنّه قد بدا لله سبحانه ما اقتضى تغيير هذا الوعد [انظر: تفسير العياشي: ٢/ ٢١٨، الغيبة للطّوسي: ص٢٦٣، بحار الأنوار: ٤/ ٢١٤.].

وكانت روايات الشّيعة في حياة جعفر الصّادق تتحدّث بأخبار تنسبها لجعفر أنّ الإمامة ستكون بعد موته لابنه إسماعيل، ولكن وقع ما لم يكن بالحسبان، إذ مات إسماعيل قبل موت أبيه فكانت قاصمة الظّهر لهم، وحدث أكبر انشقاق باق إلى اليوم في المذهب الشّيعي، وهو خروج طائفة كبيرة منهم ثبتت على القول بإمامة إسماعيل وهم الإسماعيليّة، رغم أنّهم فزعوا إلى عقيدة البداء لمعالجة هذه المعضلة فنسبوا روايات لجعفر تقول: "ما بدا لله بداء كما بدا له في إسماعيل ابني.. إذ اخترمه قبلي ليعلم بذلك أنّه ليس بإمام بعدي" [التّوحيد لابن بابويه: ص٣٣٦، وانظر مثل هذا المعنى في أصول الكافي ١/ ٣٢٧.].واستجاب لهذا التّأويل طائفة الاثنا عشريّة الذين قالوا بإمامة موسى دون إسماعيل. ومؤسسو التشيع يدَّعون في الأئمة أنهم يعلمون الحوادث الماضية والمستقبلة والآجال والأرزاق.. إلخ. ولكن الأتباع وسائر الناس لا يرون فيهم شيئًا من هذه الدعاوى، والأئمة لا يخبرون الناس بشيء من ذلك؛ لأنهم لا يملكون ذلك أصلًا ولا يدعونه في

بمجردها، والحاصل أن النسخ جائز عقلًا واقع شرعًا من غير فرق بين كونه في الكتاب أو السنة، وقد حكى جماعة من أهل العلم اتفاق أهل الشرائع عليه، فلم يبق في المقام ما يقتضي تطويل المرام. إرشاد الفحول (٣٣٣).

أنفسهم فلم يجد مؤسسو التشيع تعليلًا يبررون به هذا العجز إلا عقيدة البداء فنقلوا عنهم أنهم لا يخبرون عن الغيب مخافة أن يبدو له -تعالى- فيغيره [زعموا – مثلًا – أن علي بن الحسين قال: لولا البداء لحدثتكم بما يكون إلى يوم القيامة. (تفسير العياشي: ٢/ ٢١٥، بحار الأنوار: ٤/ ١١٨).]. وزعموا أن الأئمة يعطون علم "الآجال والأرزاق والبلايا والأعراض والأمراض ويشترط (لهم) فيه البداء" [تفسير القمي: ٢/ ٢٩٠، بحار الأنوار: ٤/ ١٠١.]. وهذه حيلة أخرى منهم ليستروا بها كذبهم إذا أخبروا خلاف الواقع...... لكن مقالة البداء ارتدت عليهم بأوخم العواقب، وهي إضافة سبب جديد لكفرهم وردتهم [انظر: الغزالي/ المستصفى: ١/ ١١٠.]؛ لأنهم بهذا المعتقد نزهوا المخلوق وهو الإمام عن الخلف في الوعد، والاختلاف في القول، والتغير في الرأي، ونشأة رأي جديد، ونسبوا ذلك إلى عالم الغيب والشهادة. تعالى الله عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا [الوشيعة: ص١٨٢.]. فنزهوا المخلوق دون الخالق؛ لأن غلوهم في الإمام – فيما يظهر – لم يجعل للحق جل شأنه في قلوبهم وقارًا، فتاهوا في بيداء هذا الضلال والكفر والإلحاد). اهـ من كتاب أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثنى عشرية د / ناصر القفاري (٢/ ١١٣٣-١١٥١).

باب

في قول الرافضة بتحريف القرآن الكريم

قال - رحمه الله -: (وأما تسرع هذه الطائفة إلى الكذب وإقدامهم عليه والتهاون بأمره فقد بلغ من سلفهم وخلفهم إلى حد الكذب على الله وعلى رسوله وعلى كتابه وعلى صالحي أمته(٢٩)، ووقع منهم في ذلك ما يقشعرّ له الجلد،

---

(٢٩) قال الإمام الشوكاني - رحمه الله -: (ومن كان من المفسرين تنفق عليه الأحاديث الموضوعة. كالثعلبي، والواحدي، والزمخشري، فلا يحل الوثوق بما يروونه عن السلف من التفسير؛ لأنه إذا لم يفهم الكذب على رسول الله ﷺ، لم يفهم الكذب على غيره. وهكذا ما يذكره الرافضة في تفاسيرهم من الأكاذيب، كما يذكرونه في تفسير ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ﴾ وفي تفسير قوله ﴿وَلِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٍ﴾ وقوله: ﴿وَتَعِيَهَآ أُذُنٞ وَٰعِيَةٞ﴾ أنها في علي ﷺ فإن ذلك موضوع بلا خلاف. وهكذا ما يذكرونه من تصدق علي بخاتمه، وفي تفسيرهم ﴿مَرَجَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ﴾ بعلي وفاطمة، واللؤلؤ والمرجان الحسنان، وكذلك قوله ﴿وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ﴾ في علي ﷺ. اهـ الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة (٢٨٠) المكتب الإسلامي.

وقد وضع الرافضة كثير من الأحاديث التي فيها غلو عظيم في آل البيت، وفي على خاصة مع أن عليًا ﷺ والصالحين من آل البيت لهم من الفضائل الصحيحة الشيء الكثير الطيب تجدها في كتب السنة كصحيحي البخاري ومسلم وغيرهما من كتب السنة المعتبرة، وقد ذكر الإمام الشوكاني في كتابه الفوائد المجموعة كثيرًا من الآحاديث الموضوعة في فضل علي ﷺ وغيره من آل البيت وكان واضعها في الغالب من الروافض منها مايلي: (خلقت أنا وعلي من نور، وكنا على يمين العرش، قبل أن يُخلق آدم بألفي عام، ثم خلق الله آدم فانقلبنا في أصلاب الرجال، ثم جعلنا في صلب عبدالمطلب، ثم شق أسماءنا من اسمه. فالله محمود وأنا محمد، والله الأعلى وعليّ عليّ) وهو موضوع، وضعه جعفر بن محمد بن علي بن بيان، وكان رافضيًا وضاعًا - ومنها حديث - (ستكون فتنة، فإن أدركها أحد منكم فعليه بخصلتين: كتاب الله، و علي بن أبي طالب، فإني سمعت رسول الله ﷺ، يقول وهو آخذ بيد علي: (هذا أول من آمن بي، وهو أول من يصافحني يوم القيامة، وهو فاروق هذه الأمة، ويفرق بين الحق والباطل، وهو يعسوب المؤمنين، والمال يعسوب الظلمة، وهو الصديق الأكبر وهو بابي الذي أُوتى منه، وهو خليفتي بعدي) رواه البزار عن أبي ذر مرفوعًا، وقال في إسناده داهر بن يحيى الرازي كان ممن يغلو في الرفض، ولا يُتابع على

وناهيك بقوم بلغ الخذلان بغُلاتهم إلى إنكار بعض كتاب الله وتحريف البعض الآخر(٣٠) وإنكار سنة رسول الله ﷺ، وجاوز ذلك جماعة من زنادقتهم إلى اعتقاد

حديثه، وابنه عبدالله داهر كذاب وهو الراوي عنه.... اهـ وانظر للمزيد الفوائد المجموعة (٣٠٢-٣٣٣).

(٣٠) من المعلوم (أن الشيعة الإمامية الاثني عشرية قد نقلوا في كتبهم عن أئمتهم أن القرآن الذي جمعه عثمان بن عفان ﷺ عن طريق حفاظ القرآن من الصحابة محرفًا بالزيادة فيه، والنقص منه، وبتبديل بعض كلماته وجمله، وبحذف بعض آيات وسور منه يعرف ذلك من قرأ كتاب [فصل الخطاب في تحريف كتاب رب الأرباب] الذي ألفه حسين بن محمد تقي النوري الطبرسي في تحريف القرآن وأمثاله مما أُلف انتصارًا للرافضة، ودعمًا لمذهبهم كـ[منهاج الكرامة] لابن المطهر) اهـ من فتاوى اللجنة الدائمة (٢/ ٢٦٩) فتوى رقم (١١٤٦١) (قال الجزائري في كتابه الأنوار النعمانية ٢/ ٣٥٧- ٣٥٨ (إن تسليم تواترها (القراءات السبع) عن الوحي الإلهي، وكون الكل قد نزل به الروح الأمين يفضي إلى طرح الأخبار المستفيضة بل المتواترة الدالة بصريحها على وقوع التحريف في القرآن كلامًا ومادة وإعرابًا، مع أن أصحابنا ـ رضوان الله عليهم ـ، قد أطبقوا على صحتها والتصديق بها....) ويعزف الجزائري على النغمة المشهورة عند الشيعة بأن القرآن لم يجمعه كما أنزل إلا علي ـ رضوان الله عليه ـ وأن القرآن الصحيح عند المهدي، وأن الصحابة ما صحبوا النبي ﷺ إلا لتغيير دينه وتحريف القرآن فيقول (٢/ ٣٦٠-٣٦٣): (قد استفاض في الأخبار أن القرآن كما أنزل لم يؤلفه إلا أمير المؤمنين عليه السلام بوصية من النبي ﷺ، فبقي بعد موته ستة أشهر مشتغلًا بجمعه، فلما جمعه كما أنزل أتي به إلى المتخلفين بعد رسول الله ﷺ فقال لهم: هذا كتاب الله كما أنزل فقال له عمر بن الخطاب: لاحاجة بنا إليك ولا إلى قرآنك، عندنا قرآن كتبه عثمان، فقال لهم علي: لن تروه بعد اليوم ولا يراه أحد حتى يظهر ولدي المهدي عليه السلام. وفي ذلك القرآن زيادات كثيرة وهو خال من التحريف،...... وهو الآن موجود عند مولانا المهدي عليه السلام مع الكتب السماوية ومواريث الأنبياء ولما جلس أمير المؤمنين – عليه السلام – على سرير الخلافة لم يتمكن من إظهار ذلك القرآن وإخفاء هذا لما فيه من إظهار الشنعة على من سبقه).

وهذا الفيض الكاشاني (المتوفي ١٠٩١ هـ): وبعد أن ذكر الروايات التي استدل بها على تحريف القرآن، والتي نقلها من أوثق المصادر المعتمدة عندهم، خرج بالنتيجة التالية فقال: ((والمستفاد من هذه الأخبار وغيرها من الروايات من طريق أهل البيت عليهم السلام أن القرآن الذي بين

أظهرنا ليس بتمامه كما أنزل على محمد صلى الله عليه وآله وسلم بل منه ماهو خلاف ما أنزل الله، ومنه ما هو مغير محرف، وأنه قد حذف منه أشياء كثيرة منها اسم علي عليه السلام، في كثير من المواضع، ومنها لفظة آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم غير مرة، ومنها أسماء المنافقين في مواضعها، ومنها غير ذلك، وأنه ليس أيضًا على الترتيب المرضي عند الله، وعند رسول ﷺ (- تفسير الصافي ١/ ٤٩ منشورات الأعلمي - بيروت، ومنشورات الصدر - طهران). وقال محمد بن محمد النعمان الملقب بالمفيد - الذي يعد من مؤسسي المذهب -: ((واتفقت الإمامية على وجوب رجعة كثير من الأموات إلى الدنيا قبل يوم القيامة، وإن كان بينهم في معنى الرجعة اختلاف، واتفقوا على إطلاق لفظ البداء في وصف الله - تعالى -، وإن كان ذلك من جهة السمع دون القياس، واتفقوا أن أئمة الضلال خالفوا في كثير من تأليف القرآن، وعدلوا فيه عن موجب التنزيل وسنة النبي ﷺ، وأجمعت المعتزلة، والخوارج، والزيدية والمرجئة، وأصحاب الحديث على خلاف الإمامية في جميع ماعددناه)) (أوائل المقالات ص ٤٨، ٤٩ دار الكتاب الإسلامي - بيروت).

وقال أيضًا: إنَّ الأخبار قد جاءت مستفيضة عن أئمة الهدى من آل محمد ﷺ باختلاف القرآن وما أحدثه الظالمين - كذا في النسخة - فيه من الحذف والنقصان) - المصدر السابق ص ٩١..... وقد كانت روايات وأقوال الشيعة في التحريف متفرقة في كتبهم السالفة التي لم يطلع عليها كثير من الناس حتى أذن الله بفضيحتهم على الملأ، عندما قام النوري الطبرسي - أحد علمائهم الكبار - في سنة ١٢٩٢هـ وفي مدينة النجف حيث المشهد الخاص بأمير المؤمنين بتأليف كتاب ضخم لإثبات تحريف القرآن. سماه (فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب) وقد ساق في هذا الكتاب حشدًا هائلًا من الروايات لإثبات دعواه في القرآن الحالي أنه وقع فيه التحريف. وقد اعتمد في ذلك على أهم المصادر عندهم من كتب الحديث والتفسير، واستخرج منها مئات الروايات المنسوبة للأئمة في التحريف. وأثبت أن عقيدة تحريف القرآن هي عقيدة علمائهم المتقدمين. اهـ بتصرف نقلًا من كتاب الشيعة الاثنى عشرية، وتحريف القرآن لمحمد بن عبدالرحمن السيف. ط دار الأمل.

و بعد هذه النقولات الواضحة عن أئمة الرافضة في تحريف القرآن فلا بد أن يُعلم أن من اعتقد هذه العقيدة فإنه يكفر كفرًا مخرجًا له من ملة الإسلام؛ لأنه مكذب لله في قوله: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩] قال موفق الدين ابن قدامة المقدسي - رحمه الله - (ولا خلاف بين المسلمين في أن من جحد من القرآن سورة أو آية أو كلمة أو حرفًا متفقًا عليه أنه كافر) لمعة الاعتقاد مع شرحها

الألوهية في ملوكهم بل في شيوخ بلدانهم). أدب الطلب ومنتهى الأرب (١٤٨، ١٤٩).

للشيخ ابن عثيمين ص (٨٢)، وقال البغدادي: (وأكفروا - أي أهل السنة - من زعم من الرافضة أن لا حجة اليوم في القرآن والسنة لدعواه أن الصحابة غيروا بعض القرآن وحرفوا بعضه) الفرق بين الفرق (٢٨٧) ط دار المعرفة، وقال ابن تيمية: في أثناء ذكره حكم من سب الصحابة (أما من اقترن بسبه دعوى أن عليًا إله، أو أنه كان هو النبي وإنما غلط جبرئيل في الرسالة، فهذا لا شك في كفره، بل لا شك في كفر من توقف في تكفيره. وكذلك من زعم منهم أن القرآن نقص منه آيات وكُتمت، أو زعم أن له تأويلات باطنة تسقط الأعمال المشروعة، ونحو ذلك، وهؤلاء يُسمون القرامطة والباطنية، ومنهم التناسخية، وهؤلاء لا خلاف في كفرهم) الصارم المسلول (٤٣٧)؛ ولهذا لما اعترضت طائفة من النصارى على المسلمين بقول الرافضة فقالوا: (إن الروافض يزعمون أن أصحاب نبيكم بدلوا القرآن وأسقطوا منه وزادوا فيه).

كما نقل ذلك الإمام ابن حزم رحمه الله ثم قال رادًا عليهم: (وأما قولهم في دعوى الروافض تبديل القرآن فإن الروافض ليسوا من المسلمين إنما هي فرق حدث أولها بعد موت النبي ﷺ بخمس وعشرين سنة، وكان مبداؤها إجابة ممن خذله الله - تعالى - لدعوة من كاد الإسلام وهي طائفة تجري مجرى اليهود والنصارى في الكذب والكفر...... ومما يبين كذب الروافض في ذلك أن علي بن أبي طالب الذي هو عند أكثرهم إله خالق وعند بعضهم نبي ناطق وعند سائرهم إمام معصوم مفروضة طاعته ولي الأمر ومَلَكَ فبقي خمسة أعوام وتسعة أشهر خليفة مطاعًا ظاهر الأمر ساكنًا بالكوفة مالكًا للدنيا حاشى الشام ومصر إلى الفرات والقرآن يقرأ في المساجد في كل مكان وهو يؤم الناس به والمصاحف معه وبين يديه فلو رأى فيه تبديلًا كما تقول الرافضة أكان يقرهم على ذلك؟ ثم إلى ابنه الحسن وهو عندهم كأبيه فجرى على ذلك فكيف يسوغ لهؤلاء النوكى أن يقولوا إن في المصحف حرفًا زايدًا أو ناقصًا أو مبدلًا مع هذا ولقد كان جهاد من حرف القرآن وبدل الإسلام أوكد عليه من قتال أهل الشام الذين إنما خالفوه في رأي يسير رأوه ورأى خلافة فقط، فلاح كذب الرافضة ببرهان لا محيد عنه والحمد لله رب العالمين) اهـ من الفصل في الملل والأهواء والنحل للإمام ابن حزم الأندلسي - رحمه الله - (م ١/ ج ٢/ ٧٨-٧٩).

باب

في دعوى الرافضة العصمة لأفراد من الأمة غير النبي ﷺ[٣١]

(٣١) (الرافضة تزعم أن الاثنا عشر معصومون من الخطأ والذنب ويرون هذا من أصول دينهم) الفتاوى (١١/ ٦٧) (فإنهم يقولون بالعصمة حتى ما يقع على سبيل النسيان والسهو والتأويل، وينقلون ذلك إلى من يعتقدون إمامته، وقالوا بعصمة علي، والاثني عشر) الفتاوى (٤/ ٣٢٠) (فهذه خاصة الرافضة الإمامية التي لم يشركهم فيها أحد لا الزيدية الشيعة ولا سائر طوائف المسلمين إلا من هو شر منهم كالإسماعيلية الذين يقولون بعصمة بني عبيد المنتسبين إلى محمد بن إسماعيل بن جعفر القائلين بأن الإمامة بعد جعفر في محمد بن إسماعيل دون موسى بن جعفر وأولئك ملاحدة منافقون....والكلام في أن هؤلاء أئمة فرض الله الإيمان بهم وتلقى الدين منهم دون غيرهم، ثم في عصمتهم عن الخطأ فإن كلًا من هذين القولين مما لا يقوله إلا مفرط في الجهل، أو مفرط في اتباع الهوى، أو في كليهما فمن عرف دين الإسلام وعرف حال هؤلاء كان عالمًا بالاضطرار من دين محمد ﷺ بطلان هذا القول لكن الجهل لا حد له) منهاج السنة (٢/ ٤٥٢- ٤٥٤) (وما اختصت به الإمامية من عصمة الأئمة فهو في غاية الفساد والبعد عن العقل والدين) منهاج السنة (٢/ ٤٧٦).

وقال (وأما عصمة الأئمة فلم يقل بها إلا كما قال الإمامية والإسماعيليه وناهيك بقول لم يوافقهم عليه إلا الملاحدة المنافقون الذين شيوخهم الكبار أكفر من اليهود والنصارى والمشركين) منهاج السنة (٣/ ٣٧٤) (وأما الإمامية فلا ريب أنهم متفقون على مخالفة إجماع العترة النبوية مع مخالفة إجماع الصحابة فإنه لم يكن في العترة النبوية بنو هاشم على عهد النبي ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان وعلي - رضي الله عنهم - من يقول بإمامة الاثني عشر ولا بعصمة أحد بعد النبي ﷺ) منهاج السنة (٣/ ٤٠٦-٤٠٧) (وأما سائر الاثنى عشر فهم أصناف منهم من هو من الصحابة المشهود لهم بالجنة كالحسن والحسين وقد شركهم في ذلك من الصحابة المشهود لهم بالجنة خلق كثير وفي السابقين الأولين من هو أفضل منهم مثل أهل بدر.... وفي الاثنى عشر من هو مشهور بالعلم والدين كعلي بن الحسين وابنه أبي جعفر وابنه جعفر بن محمد وهؤلاء لهم حكم أمثالهم ففي الأمة خلق كثير مثل هؤلاء وأفضل منهم وفيهم المنتظر ولا وجود له أو مفقود لا منفعة لهم فيه فهذا ليس في اتباع إلا شر محض بلا خير وأما سائرهم ففي بني هاشم من العلويين والعباسيين جماعات مثلهم في العلم والدين ومن هو أعلم وأدين منهم) منهاج السنة (٤/ ١٦٨-١٧٠). (ودعوى العصمة تضاهي المشاركة في النبوة فإن المعصوم يجب اتباعه في كل ما يقول لا يجوز أن

(الأنبياء معصومون من الكبائر ومن الصغائر التي فيها رذيلة إجماعًا) فتح القدير تفسير سورة البقرة آية ٢٦٠).

فـ(النبي ﷺ معصوم في غضبه ورضاه، بخلاف غيره فإن الغضب يحول بينه وبين الحق) الدراري المضية ص (٤٣٢).

فهو (معصوم عن الخطأ في أقواله وأفعاله) مقدمة السيل الجرار ص (١٠٦).

(**واعلم أن أولياء الله غير الأنبياء ليسوا بمعصومين، بل يجوز عليهم ما يجوز على سائر عباد الله المؤمنين،** لكنهم قد صاروا في رتبة رفيعة ومنـزلة علية، فقلَّ أن يقع منهم ما يخالف الصواب وينافي الحق، فإذا وقع ذلك فلا يخرجهم عن كونهم أولياء لله. كما يجوز أن يخطئ المجتهد وهو مأجور على خطئه حسبما تقدم أنه إذا اجتهد فأصاب فله أجران، وإن اجتهد فأخطأ فله أجر) قطر الولي (٢٤٨).

والصحابي (ليس له من العصمة شيء، ولم يجعل الله – سبحانه – قوله ولا فعله ولا اجتهاده حجة على أحدٍ من الناس[٣٢]) مقدمة السيل الجرار ص (١٠٦) وإرشاد الفحول (٤٤٨).

أما ما أدعاه الرافضة من عصمة بعض القرابة من آل البيت؛ فهو ادعاء مبني على الهوى والجهل والتناقض: قال الإمام الشوكاني – رحمه الله –: (وعصمة عليٍّ وحجية قوله ذهب إلى القول بها جماعة من أهل البيت، **وذهب جماعة منهم وسائر المسلمين أجمعين إلى أن المعصوم هو رسول ﷺ على الخصوص،**

يخالف في شيء وهذه خاصة الأنبياء) منهاج السنة(٦/ ١٨٧–١٨٨).

(٣٢) أما العصمة عن الخطأ والذنب بتأويل وبغير تأويل، فأفراد الصحابة غير معصومين باتفاق أهل السنة، إنما العصمة فيما أجمعوا عليه. لقوله ﷺ « إِنَّ الله تَعَالى لَا يَجْمَع أُمَّتِي عَلَى ضَلاَلَة » والصحابة أفضل الأمة وهم أولى بذلك، وأما الاحتجاج بأقوالهم، فما قاله الإمام الشوكاني ليس على إطلاقه، فإن قول الصحابي في مسألة ليس فيها نص، أو فهمه لنص ما – إذا لم يخالفه غيره من الصحابة ﷺ– أولى بلا شك من أقوال المتأخرين وأرائهم. والله أعلم.

والحُجة إنما هي ما جاء عن الله وعنه ﷺ....... وأما عصمة الحسنين والبتول - رضوان الله عليهم - فذهب على ذلك طائفة يسيرة من أهل البيت وخالفهم جميع الأمة من أهل البيت وغيرهم (عقود الزبرجد في جِيد مسائل علامة ضَمَد. ضمن الفتح الرباني ص (٤٠٥٨- ٤٠٩١).

وقال - رحمه الله - (وأما قوله - صاحب شفاء الأوام - إن قوله – كرم الله وجهه- حجة قاطعة، فكلام غير مناسب؛ لما تقرر في الأصول، بل لم يقل أحد من القائلين بحجية قوله بأنه حجة قاطعة، وإنما جعلوا قوله بمنزلة أخبار الآحاد المروية عن النبي ﷺ. ولم يقل أحد من أهل العلم بأن أخبار الآحاد الثابتة عن رسول الله ﷺ حجة قطعية، بل أجمعوا أنها حُجة ظنية، فانظر إلى ما يقع لمثل المصنف – رحمه الله – من الغلو الخارق في الإجماع، وإذا كانت أحاديث رسول الله ﷺ حجة ظنية، وأقوال علي ﷺ حجة قاطعة، فهذه منزلة فوق منزلة النبوة بكثير، والله المستعان). وبل الغمام (٢/ ٧٥).

فالرافضة يزعمون عصمة أئمتهم ويجعلون لهم حق التشريع، وحق التشريع خاص بالله عز وجل وأما الرسل فهم (متعبدون بها تعبدهم الله به، مكلّفون بما كلّفهم الله به، مطالبون بما طلبه الله منهم. وتخصيصهم بأمور لا تكون لغيرهم لا يوجب خروجهم عن كونهم كذلك، بل هم من جملة البشر، ومن أفراد العباد في التكليف بما جاؤوا به عن الله وقد أخبروا بهذا، وأخبر به الله عنهم كما في غير موضع من الكتاب العزيز ومن السنة المطهَّرة.... وإذا كان هذا حال الرسل - عليهم الصلاة والسلام - في التعبّد بالأحكام الشرعية، والتوقف في التبليغ على ما أمرهم الله – تعالى - بتبليغه، فلا يُشرِّعون لعباده إلا ما أذن لهم الله به وأمرهم بإبلاغه، وليس لهم من الأمر شيء إلا مجرد البلاغ عن الله، والتوسط بينه وبين عباده فيما شرعه لهم وتعبّدهم به..... فكيف بحال غيرهم من عباد الله، ممن ليس هو من أهل الرسالة، ولا جعله الله من أهل العصمة كالصحابة والتابعين فتابعيهم من أئمة المذاهب فسائر حملة العلم، فمن زعم أن لواحد من

هؤلاء أن يحدث في شرع الله ما لم يكن فيه، أو يتعبّد عباد الله بما هو خارج عن ما هو منه، فقد أعظم على الله الفرية، وتقوّل على الله – تعالى - بما لم يقل، وأوقع نفسه في هوّة لا ينجو منها، وطرحها في مطرح سوء، ووضعها في موضع شرٍّ، ونادى على نفسه بالجهل، والجراءة على الله - تعالى -، والمخالفة لما جاءت به الشرائع، وما أجمع عليه أهلها؛ فإن هذه رتبة لم تكن إلا لله، ومنـزلة لا ينـزلها غيره ولا يدعيها سواه، فمن ادعاها لغيره تصريحًا أو تلويحًا فقد أدخل نفسه في باب من أبواب الشرك) أدب الطلب ومنتهى الأرب ص(٨٤-٨٥).

ومن ادَّعى العصمة لأحد - من الصحابة أو القرابة أو غيرهم - فقد جعل له حق التشريع ونازع الرسول ﷺ في أخص خصوصياته، وأشرف كمالاته، وجعله والرسول ﷺ على قدم سواء، في التشريع للأمة، وكفى بذلك ضلالًا وانحرافًا عن الصراط المستقيم ونحن (نعلم أن رسول الله ﷺلو وزن بجميع أمته لوزنها ورجح عليها) الفتح الرباني ص (٤٣٣٣).

فدعوى العصمة لغير الأنبياء والرسل معارضة صريحة للشريعة، إذ لازم هذه الدعوى أن كل ما يقوله ذلك المعصوم المزعوم حق لا مرية فيه بل عندهم أن كل ما ينقل عنه فهو حق، فمع ما في ذلك من معارضة لشريعة الرسول ﷺ بأقوال غيره، فهو ادعاء كاذب تنقضه الشريعة، كيف لا وهذا الدين الذي تعبدنا الله به (قد بلغه رسول الله إلينا كما أمره ربه – عزَّ وجلَّ – ولم يكتم علينا شيئًا مما أوحى إليه بل قال الله – عز وجل –: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

وقال رسول الله ﷺ: (تركتم على الواضحة، ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا جاحد)، وقال سلمان الفارسي: (لقد علمنا رسول الله كل شيء حتى الخراءة)[٣٣] فتقرر بهذا أن الشريعة التي أوجب الله على عباده الإجابة إليها في حياة رسول الله

---

(٣٣) رواه مسلم في كتاب الطهارة باب الاستطابة ح (٢٦٢).

ﷺ، هي هذه الشريعة التي تركها بين أظهرنا المزبورة بين دفتي المصحف، المنقولة في دواوين الإسلام، وما يلتحق بها) الفتح الرباني ص (٤٣٣٣-٤٣٣٤).

ثم إن أكثر ما تنقّله الرافضة عمن تزعم له العصمة يعد من الكذب الصريح المخالف للنقل الصحيح والعقل الصريح، ثم لو فرض صحة بعضه وكان مما يخالف الدليل الصحيح الصريح فهل نأخذ بالكتاب والسنة، أم نأخذ بأقوال البشر ونعارض الدليل بالرأي.

(ولقد تعاظمت المحنة على الإسلام، وأهله بقوم نفروا عن الأحكام والفتاوى المستندة إلى نصوص الكتاب والسنة، ويأنسون بالأحكام والفتاوى المنسوبة إلى بعض أفراد الأمة الذين هم مكلفون بالشريعة كغيرهم، ومتعبدون بأحكامها كسائر الناس وليسوا بشارعين بل متشرِّعين، ولا متبوعين بل تابعين، وناهيك خسارًا وبورًا وجهلًا بمن يؤثر كلام من هو من جملة المتَعبَدين بالشرع على كلام من جاء بالشرع فضلًا عن أن يسوي بينهما، فضلًا عن أن يقدم ما يجب تقديمه، وقد رأينا من هذا وسمعنا ما يُحجم القلم عن سرده حياء من الله - سبحانه - فإنه من أعظم التجري عليه، والتنقُّص له، تعالى عن ذلك) الفتح الرباني ص (٤٣٦٧).

والعجب أن يذكر الرافضة تلك الفواقر المنسوبة إلى فضلاء من آل البيت كذبًا وزورًا عليهم ثم يعدون المخالف لها العامل بالشريعة من النواصب المعادين لآل البيت.

قال الإمام الشوكاني مبيّنًا هذه الفرية التي تُنفق بها هذه الطائفة جهلها، وتلبس بها الحق على الطغام والرعاع، ومن لا يعقل الحجج الشرعية، (وهذه اللطائف قد تلقّنها غالبُ المقصرين، وجعلوها منفقة لما يأتون من الجهالات، وتستَّروا بها عن كشف عوارهم وبوارِهم، وفضائح جهلهم، فكانت لهم مـجَنًّا يدفعون به ما يرد عليهم من العلماء المتأهلين، وحصنًا حصينًا عن انتقاد المنتقَدين

من المبرِّزين، وذلك لأنهم عرفوا من أنفسهم العجز عن ربط ما يأتون به بدليله، والقصور عن دفع ما يرد عليه؛ لكونهم لا يعرفون الحجج الشرعية، بل لا يعقلونها، فعدلوا إلى هذه اللطيفة، ونَفّقَها لهم من هو مثلهم، فكانت من أعظم الوسائل الشيطانية، والذرائع الطاغوتية، وداراهم من داراهم من المتأهلين، إما لمحبة السلامة والعافية، أو لفتوره عن البيان الذي أمر الله به، أو لمخافة فوات غرضٍ من أغراض الدنيا، أو لحفظ قلوب السَّواد الأعظم عن النفور عنه، ورغوب النفس إلى عدم ذهاب الجاه الذي يعيش في ظِلِّه، ويشربُ من وَبْلِهِ وطَلِّه، فطمَّ الأمر وعمَّ، ووجد الشيطان اللعين السبيل إلى طمس معالم الشريعة، وإطفاء نورها، واهتظام حملتها القائمين ببيانها للناس، والله المستعان) الفتح الرباني ص (٤٣٦٣).

ومن الضلال البعيد اعتقاد أن العصاة من آل البيت لا يعاقبون على ما يرتكبون من الذنوب، وقد سُئل الإمام الشوكاني عن هذا حيث جاء في الفتح الرباني:

(السؤال الثالث: حاصله ما قيل من أن العصاة من أهل بيت النبوة لا يُعاقبون على ما يرتكبون من الذنوب، بل هم من أهل الجنة على كل حال، تكريمًا وتشريفًا هل ذلك صحيح أم لا؟

وأقول: لا شك ولا ريب أن أهل هذا البيت المطهر لهم من المزايا والخصائص والمناقب ما ليس لغيرهم، وقد جاءت الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية شاهدة لهم بما خصَّهم الله به من التشريف والتكريم، والتجليل والتعظيم، **وأما القول برفع العقوبات عن عُصاتهم، وأنهم لا يخاطبون بما أقترفوه من المآثم، ولا يُطالبون بما جَنَوهُ من العظائم، فهذه مقالة باطلة ليس عليها أثارة من علم، ولم يصحَّ في ذلك عن الله ولا عن رسوله ﷺ حرف واحد**، وجميع ما أورده علماء السوء المتقرِّبون إلى المتعلِّقين بالرياسات من أهل هذا البيت الشريف فهو إما باطل موضوع، أو خارج عن محل النـزاع، بل القرآن أعدل شاهد، وأصدق دليل

على ردِّ قول كل مكابر جاحد، فإنه قال - عز وجل - في نساء النبي: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾ [الأحزاب: ٣٠] وليس ذلك إلا لما لهنَّ من رفعة القدر، وشرافة المحلِّ بالقرب من رسول الله. وأشرف قدرًا وأعلى محلًا وأكرم عنصرًا وأفخم ذكرًا. ولو كان الأمر كما زعم هذا الزاعم لم يكن لقوله - تعالى -: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٤] معنى ولا كبير فائدة.

وإذا كان المصطفى ﷺ يقول لفاطمة البتول التي هي بضعة منه يُغضِبُه ما يغضبها ويرضيه ما يرضيها: «**يا فاطمة بنت محمد، لا أغني عنك من الله شيئًا**»[٣٤] فليت شعري مَن هذا من أولادها خصَّه الله بما لم يخصها، ورفعه إلى درجة قصُرت عنها، فأبعد الله علماء السوء، وقلل عددهم، فإن العاصي من أهل البيت الشريف المطهر إذا لم يكن مستحقًا على معصيته مضاعفة العقوبة، فأقل الأحوال أن يكون مثل سائر الناس. فيا من شرَّفه الله بهذا النسب الشريف، إياك أن تغترَّ بما يُنَمِّقُه لك أهل التبديل والتحريف).الفتح الرباني ص (٤٤٩٦-٤٤٩٩).

(٣٤) من حديث أبي هريرة رواه البخاري في كتاب الوصايا باب هل يدخل النساء والولد في الأقارب ح (٢٧٥٣)و رواه مسلم في كتاب الأيمان باب في قوله - تعالى -: (وأنذر عشيرتك الأقربين) ح (٢٠٤)، ومن حديث عائشة رواه مسلم في كتاب الإيمان باب قوله - تعالى -: (وأنذر عشيرتك الأقربين) ح (٢٠٥).

بـــاب

في إنكار الرافضة للسُّنَة[٣٥] ودفاع الإمام الشوكاني عنها وعن الناقلين لها

قال – رحمه الله –: (واعلم أن لهذه الشنعة الرافضية، والبدعة الخبيثة ذيلًا هو أشر ذيل وويلًا هو أقبح ويل. وهو أنهم لما علموا أن الكتاب والسنة يناديان عليهم بالخسارة، والبوار بأعلى صوت، عادوا السنة المطهرة، وقدحوا فيها، وفي أهلها بعد قدحهم في الصحابة ﷺ، وجعلوا المتمسك بها من أعداء أهل البيت ومن المخالفين لشيعة أهل البيت، فأبطلوا السنة المطهرة بأسرها، وتمسكوا في مقابلها، وتعوضوا عنها بأكاذيب مفتراة مشتملة على القدح المكذوب المفترى في الصحابة وفي جميع الحاملين للسنة المهتدين بهديها، العاملين بما فيها الناشرين لها في الناس من التابعين وتابعيهم إلى هذه الغاية وسموهم بالنصب، والبغض لأمير المؤمنين عليٍّ بن أبي طالب ﷺ، ولأولاده.

فأبعد الله الرافضة ، وأقماهم، أيبغض علماء السنة المطهرة هذا الإمام الذي تعجز الألسن عن حصر مناقبه مع علمهم بما في كتب السنة المطهرة من قوله ﷺ:

---

(٣٥) قال الإمام الشوكاني – رحمه الله – في معنى السنة (... وأما معناها شرعًا أي في اصطلاح أهل الشرع فهي قول النبي ﷺ وفعله وتقريره وتطلق بالمعنى العام على الواجب وغيره في عرف أهل اللغة والحديث، وأما في عرف أهل الفقه فإنما يطلقونها على ما ليس بواجب، وتطلق على ما يقابل البدعة كقولهم فلان من أهل السنة) إرشاد الفحول (٦٧) وقال – رحمه الله –: (اعلم أنه قد اتفق من يعتد به من أهل العلم على أن السنة المطهرة مستقلة بتشريع الأحكام وأنها كالقرآن في تحليل الحلال وتحريم الحرام وقد ثبت عنه ﷺ أنه قال: « ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه » أي أوتيت القرآن وأوتيت مثله السنة التي لم ينطق بها القرآن وذلك كتحريم لحوم الحمر الأهلية وتحريم كل ذي ناب من السباع ومخلب من الطير وغير ذلك مما لم يأت به الحصر..... قال الأوزاعي: الكتاب أحوج إلى السنة من السنة إلى الكتاب، وقال ابن عبدالبر: إنها تقضي عليه وتبين المراد منه، وقال يحيى بن أبي كثير: السنة قاضية على الكتاب. والحاصل أن ثبوت حجية السنة المطهرة واستقلالها بتشريع الأحكام ضرورة دينية ولا يخالف في ذلك إلا من لا حظ له في دين الإسلام) إرشاد الفحول (٨٦-٦٩).

«لا يُحِبّكَ إِلَّا مُؤْمِنٌ، ولا يُبْغِضكَ إِلَّا مُنَافِقٌ»[٣٦]. وما ثبت في السنة من أنه يحبه الله سبحانه ورسوله ﷺ؟! يا لهم الويل الطويل، والخسار البالغ، أيوجد مسلم من المسلمين، وفرد من أفراد المؤمنين بهذه المثابة، وعلى هذه العقيدة الخبيثة ؟!!. سبحانك هذا بهتان عظيم، ولكن الأمر كما قلت:

قَبِيحٌ لَا يُمَاثِلُهُ قَبِيحٌ	لَعَمْرُكَ دِينُ الرَّافِضِينَا
أَذَاعُوا فِي عَلِيٍّ كُلَّ نُكر	وأَخفُوا مِنْ فَضائله اليَقِينَا
وسَبُّوا لارعوا أصحاب طه	وعَادُوا مَنْ عَادَاهُمْ أجْمَعِينَا
وَقَالُوا دِينُهمْ دِينٌ قَوِيمٌ	أَلَا لَعَنَ الإِلَهُ الكَاذِبِينَا

وكما قلت:

تَشيُّعُ الأَقْوَامَ في عَصرِنَا	مُنحَصِرٌ في أَرْبَعٍ مِنْ البِدَعِ
عَدَاوَةُ السُّنةِ والثَّلْبِ لِلـ	أسْلافِ وَالجمعِ وَتَرْكُ الجُمَعِ

وكما قال بعض المعاصرين لنا:

تَعالُوا إلينَا أخوة الرفض إن تكن	لكم شرعَة الإنْصَافِ دِينًا كدِينِنَا
مَدَحْنَا عليًّا، فوقَ ما تمدحونهُ	وعَاديتم أصحاب أحمدٍ دوننَا
وَقُلْتُمْ بِأَنْ الحقَ ما تصنعونهُ	ألا لَعَنَ الرحمن منا أضلنَا

اهـ قطر الولي (٣٠٥-٣٠٧).

---

(٣٦) من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه رواه مسلم كتاب الإيمان باب الدليل على أن حب الأنصار وعلي بن أبي طالب من الإيمان وعلاماته وبغضهم من علامات النفاق ح (٧٨) ولفظه (قال علي رضي الله عنه: والذي فلق الحبة وبرأ النَّسمة إنه لعهد النبي الأمي إليَّ أن لا يُحبني إلا مؤمن ولا يُبغضني إلا منافق) و رواه الترمذي كتاب المناقب باب مناقب علي بن أبي طالب رضي الله عنه ح (٣٧٣٦) والنسائي كتاب الإيمان وشرائعه باب علامة الإيمان ح (٥٠٢١) وابن ماجه في المقدمة باب فضل علي بن أبي طالب رضي الله عنه ح (١١٤).

وذكر - رحمه الله - حال متعصبة المقلدة الذين إذا ذُكر لهم الدليل: قالوا لست أعلم من إمامنا حتى نتبعك، ولو كان هذا كما تقول لم يخالفه من قلدناه فهو لم يخالفه إلا إلى ما هو أرجح منه.

قال الإمام الشوكاني: (وقد ينظم إلى هذا من بعض أهل الجهل والسفه والوقاحة وصف ذلك الدليل الذي جاء به المخاطب لهم بالبطلان والكذب إن كان من السنة ولو تمكنوا من تكذيب ما في الكتاب العزيز إذا خالف ما قلدوا فيه لفعلوا.

وأما في ديارنا هذه فقد لقنهم من هو مثلهم في القصور، والبعد عن معرفة الحق ذريعة إبليسية، ولطيفة مشؤمة هي أن دواوين الإسلام: الصحيحين والسنن الأربع وما يلتحق بها من المسندات والمجاميع المشتملة على السنة إنما يشتغل بها، ويكرر درسها، و يأخذ منها ما تدعو حاجته إليه من لم يكن من أتباع أهل البيت لأن المؤلفين لها لم يكونوا من الشيعة، فيدفعون بهذه الذريعة الملعونة جميع السنة المطهرة، لأن السنة الواردة عن رسول الله ﷺ هي ما في تلك المصنفات ولا سنة غير ما فيها، وهؤلاء وإن كانوا لا يُعَدُّون من أهل العلم، ولا يستحقون أن يُذكروا مع أهله، ولا ينبغي الشغلة بنشر جهلهم، وتدوين غباوتهم، لكنهم لما كانوا قد تلبسوا بلباس أهل العلم وحملوا دفاتره، وقعدوا في المدارس والمساجد، اعتقدتهم العامة من أهل العلم، وقبلوا ما يلقنونهم من هذه الفواقر فضلوا وأضلوا، وعظمت بهم الفتنة وحلّت بسببهم الرزية، فشاركوا سائر المقلدة في ذلك الاعتقاد في أئمتهم الذين قلدوهم واختصوا من بينهم بهذه الخصلة الشنيعة، والمقالة الفظيعة، فإن أهل التقليد من سائر المذاهب يعظمون كتب السنة ويعترفون بشرفها وأنها أقوال رسول الله ﷺ وأفعاله وأنها دواوين الإسلام وأمهات الحديث وجوامعه التي عول عليها أهل العلم في سابق الدهر ولاحقه، بخلاف أولئك فإنها عندهم بالمنـزلة التي ذكرنا فضموا إلى شنعة التقليد شنعة أخرى هي أشنع منها ، وعلى بدعة التعصب بدعة أخرى هي أفظع منها، **ولو كان لهم أقل حظ من علم وأحقر نصيب من فهم لم يخف عليهم أن هذه الكتب لم يقصد مصنفوها إلا جمع ما بلغ إليهم من السنة بحسب ما بلغت إليه مقدرتهم،**

وانتهى إليه علمهم، ولم يتعصبوا فيها لمذهب، ولا اقتصروا فيها على ما يطابق بعض المذاهب دون بعض، بل جمعوا سنة رسول الله ﷺ لأمته ليأخذ كل عالم منها بقدر علمه وبحسب استعداده، ومن لم يفهم هذا فهو بهيمة لا يستحق أن يخاطب بما يخاطب النوع الإنساني، وغاية ما ظفر به من الفائدة بمعاداة كتب السنة، التسجيل على نفسه بأنه مبتدع أشد ابتداع، فإن أهل البدع لم ينكروا جميع السنة ولا عادوا كتبها الموضوعة لجمعها بل حق عليهم اسم البدعة عند سائر المسلمين بمخالفة بعض مسائل الشرع.

فانظر - أصلحك الله - ما يصنع الجهل بأهله، ويبلغ منهم حتى يوقعهم في هذه الهوّة فيعترفون على أنفسهم بما يقشعر له جلد الإسلام، وتبكي منه عيون أهله. وليتهم نزّلوا كتب السنة منـزلة فن من الفنون التي يعتقدون أن أهله أعرف به من غيرهم، وأعلم من سواهم، فإن هؤلاء المقلدة على اختلاف مذاهبهم وتباين نحلهم إذا نظروا في مسألة من مسائل النحو، بحثوا في كتب النحاة وأخذوا بأقوال أهله وأكابر أئمته كسيبويه والأخفش ونحوهما، ولم يلتفتوا إلى ما قاله من قلدوهم في تلك المسألة النحوية، لأنهم يعلمون أن لهذا الفن أهلًا هم المرجوع إليهم فيه، فلو فرضنا أنه اختلف أحد المؤلفين في الفقه من أهل المذاهب المأخوذ بقولهم المرجوع إلى تقليدهم وسيبويه في مسألة نحوية لم يشك أحد أن سيبويه هو أولى بالحق في تلك المسألة من ذلك الفقيه لأنه صاحب الفن وأمامه،....... فما بالكم أيها المقلدة إذا أردتم الرجوع إلى فن السنة لم تصنعوا فيه كما تصنعونه في غيره من الرجوع إلى أهل الفن وعدم الاعتداد بغيرهم، وهل هذا منكم إلا التعصب البحت والتعسف الخالص والتحكم الصرف؟ فهلا صنعتم في هذا الفن الذي هو رأس الفنون وأشرفها كما صنعتم في غيره، فرجعتم إلى أهله....وبالجملة فمن كان بهذه المنـزلة فهو ممن طبع الله على قلبه وسلبه نور التوفيق فعمي عن طريق الرشاد وضل عن سبيل الحق، ومثل هذا لا يستحق توجيه الخطاب إليه ولا يستأهل الاشتغال به، فإنه وإن كان في مسلاخ إنسان وعلى شكل بني آدم فهو بالدواب أشبه وإليها أقرب، ويا ليته لو كان دابة؛ ليسلم

من معرّته عباد الله وشريعته، ولكن هذا المخذول مع كونه حماري الفهم، بهيمي الطبع، قد شغل نفسه بالحط على علماء الدين المبرزين المشتغلين بالكتاب والسنة وعلمهما وما يوصل إليهما وعاداهم أشد العدواة، وكافحهم بالمكروه مكافحة، ونسبهم إلى مخالفة الشرع ومباينة الحق بسبب عدم موافقتهم له على العمل بما تلقنه من شيخه الجاهل.

ولقد جاءت هذه الأزمنة في ديارنا هذه بما لم يكن في حساب ولا خطر ببال إبليس أن يكون له مثل هذه البطانة، ولا ظن أنه ينجح كيده فيهم إلى هذا الحد ويبلغون في طاعته هذا المبلغ، فإن أغلبهم قد ضم إلى ما قدمناه من أوصافه أشد منها وأشنع وأقبح وهو أنه إذا سمع قائلًا يقول قال رسول الله ﷺ، أو يملي سندًا فيقول: حدثنا فلان عن فلان قامت قيامته وثار شيطانه واعتقد أن هذا صنيع أعداء أهل البيت المناصبين لهم العدواة المخالفين لهديهم، فانظر ما صنع هذا الشيطان فإن في نسبته للمشتغلين بالسنة المطهرة إلى مخالفة أهل البيت طعنًا عظيمًا على أهل البيت لأنه جعلهم في جانب والسنة في جانب آخر، وجعل بينهم عنادًا وتخالفًا فانظر هذا الشيعي المحب لأهل البيت القائم في نشر مناقبهم كان أول ما قرره من مناقبهم النداء إلى الناس بأن من عمل بالسنة المطهرة، أو رواها أو أحبها فهو مخالف لأهل البيت، وحاشى لأهل البيت أن يكونوا كما قال، فهم أحق الأمة باتباع سنة رسول الله ﷺ والاهتداء بهديه والاقتداء بكلامه.

ولو كانوا كما قال هذا الجاهل لم يكونوا من أهل البيت، بل من أعداء الشريعة المطهرة، وأعداء رسول الله ﷺ فإن من تظهّر بمخالفة سنة رسول الله ﷺ فقد تظهّر بمخالفة الله وبمخالفة رسوله وخرج من حزب الحق إلى حزب الباطل، ومن نور الهداية إلى ظلمة الغواية كائنًا من كان فليس بعد هذا شيء).أدب الطلب ومنتهى الأرب (١٢٢-١٣٦).

(ومن لم يعتد في كل فنٍّ بأئمته لم يرسخ قدمه في العلوم، وما كان أحق أئمة الحديث المشتغلين به في جميع أعمارهم، الراحلين في طلبه إلى الأقطار، المستغرقين في تحصيله ساعات الليل والنهار أن ينـزلوا منـزلة الأئمة في سائر الفنون، فهم

أحق بذلك من حيثية أنهم اشتغلوا بأشرف علم وأنفعه، وأتعبوا أنفسهم في جمع أقوال رسول الله ﷺ وحكاياته وأفعاله، وبلغوا في تحقيقه إلى محلٍّ يتقاصر عنه تحقيقات أئمة سائر الفنون لفنونهم، ولهذا تجد أكابرهم يحفظون إلى حدٍّ تضيق عنه الطباع البشرية، ويُفَرِّقون بين صحيحه وسقيمه، وصدقه وكذبه، ومع هذا فترى من تصدى للتأليف قاصدًا للمحاماة عن مذهب قد دبَّ عليه ودرج وألفته نفسه، ووجد عليه أسلافه، إذا تكلم في بحث لغوي نقل عن أئمة اللغة المشهورين بالاشتغال بها، وكذلك إذا تكلم في بحث نحويّ، أو صرفيّ، أو بيانيّ، أو أصوليّ، أو كلاميّ، أو غير ذلك، اعتمد على أئمة هذه الفنون، ولم يَعدل عن أقوالهم، إلى أقوال غيرهم، فإذا تكلم في بحث حديثي اعتمد على نقل المتمذهبين بمذهبه، وإن كانوا عن الفن بمعزلٍ؛ لأنهم قد جمعوا له ما يوافق قصده، وهو يعلم أنهم لو قُرنوا جميعًا بإمام من أئمة الحديث لم يتجاسروا على معارضته، كما أنه لو اجتمع النحاة من أهل مذهبه مع سيبويه لم يقدروا على مناظرته، فليت شعري ما هو السبب الموجب لتجنّب أئمة الحديث مع الاعتراف لهم بأنهم قد بلغوا من تحقيق الفن إلى ما لا يبلغ إليه أئمة سائر الفنون في فنونهم ؟! ومع ذلك فأكابر أئمة الحديث لم يتقيدوا بمذهب، بل مشوا على طريق السلف، وجمعوا مؤلفات هي دواوين الإسلام، ولم يخصّوا بها مذهبًا من المذاهب المشهورة، وهذا يعرفه كل ناظر فيها. فيا من يَرُوم العثور على تحقيق الحق في فنٍّ من الفنون، كن مقتديًا بأئمته الذين اشتهروا بالاشتغال به، وعرفوا بتحقيقه، فإنك إن فعلت ذلك دخلت إلى العلم من أبوابه، وصعدت من التحقيق إلى محرابه، فكما أنك مثلًا ترجح ما في صحاح الجوهري في الأبحاث اللغوية على ما يخالفه في كتب أحد المشتغلين بعلم الفقه، إذا كان التخالف في بحث لغوي، فرجّح ما في مؤلفات أئمة الحديث؛ كالصحيحين إذا روى أحد المشتغلين بالفقه ما يخالفه من الأحاديث، وهذا عارض من القول أَوْجَبَتْه محبة النصح، فاشدد عليه يدك) وبل الغمام (١/ ٢٣٩، ٢٤٠).

فصل

في عظيم منزلة صحيح البخاري

قال - رحمه الله - في البخاري: (وقد منح الله هذا الرجل من صدق الفهم ونفوذ الذهن ما لم يكن لغيره من أذكياء العالم. هذا مع ما وهب له من حفظ السنة المطهرة والتمييز بين صحيحها وسقيمها، واختيار ما اختاره في كتابه من أصح الصحيح حتى سماه كثير من أئمة هذا الشأن، أمير المؤمنين في الحديث، وجعل الله سبحانه كتابه هذا أرفع مجاميع كتب السنة المطهرة وأعلاها وأكرمها عند جميع الطوائف الإسلامية، وأجلها عند كل أهل هذه الملة. وصاروا في جميع الديار إذا دهمهم عدو أو أصيبوا بجدب يفزعون إلى قراءته في المساجد والتوسل إلى الله بالعكوف على قراءته لما جربوه قرنًا بعد قرن وعصرًا بعد عصر، من حصول النصر والظفر على الأعداء بالتوسل به، واستجلاب غيث السماء، واستدفاع كل الشرور بذلك، وصار هذا لديهم من أعظم الوسائل إلى الله سبحانه، وهذه مزية عظيمة، ومنقبة كريمة، ولم يكن هذا لغير هذا الكتاب من حسن الانتقاء وسلامة ما اشتمل عليه من قيل وقال. ومن تعرض لشيء من ذلك أرغم الله أنفه بما يرد عليه أهل الإتقان من الردود التي تدع اعتراضه هباء منثورًا، وهشيمًا تذروه الرياح.

وقد كان هذا الرجل في العبادة على اختلاف أنواعها، والزهد في الدنيا بمنزلة علية ورتبة رفيعة، وأتم الله له ذلك بما امتحن به في آخر أيامه من أعداء العلماء العاملين المتجرئين على عباد الله الصالحين حتى مات كمدًا - رحمه الله - ووفر عنده جزاءه فكوفئ في كتابه هذا بهذا الحض العظيم في الدنيا؛ ليتوفر في

الأخرى بما يصل إليه من الثواب الحاصل من انتفاع الناس به، فإن العلم الذي ينتفع به هو إحدى الثلاث التي يدوم للميت ثوابها بعد انقطاع كل شيء عنه، كما صح الحديث بذلك الذي أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة قال: (قال رسول الله ﷺ: « **إِذَا مَاتَ ابنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ: صَدَقَةٌ جَارِيَةٌ أَو عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَو وَلَدٌ صَالِحٌ يَدْعُو لَهُ** »[٣٧]. وأخرجه ابن ماجه بإسناد صحيح من حديث أبي قتادة بنحوه) قطر الولي (٥٣٥، ٥٣٦).

(٣٧) رواه مسلم كتاب الوصية باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته ح (١٦٣١).

فصل

في مسائل خالف فيها الرافضة الحق لهجرهم كتب السنة

١) قولهم بنكاح المتعة.

ومن ضلالات الرافضة ومخالفاتهم للحق وما ثبت بصريح الأدلة قولهم بنكاح المتعة، والمراد بنكاح المتعة: أن ينكح الرجل المرأة بأجرة يتفقان عليها إلى أجل مسمى يتفقان عليه، وهو من أنكحة الجاهلية وقد جاء الشرع بتحريم هذا النكاح كما دلت على ذلك السنة الصريحة الواضحة، كما جاء الشرع بتحريم الخمر وغيرها من أمور الجاهلية وإن تأخر تحريمها إلى أواخر حياة النبي ﷺ كما هو حال كثير من المحرمات إنما حرمت لما وقر الإيمان في قلوب الناس، ثم أجمعت الأمة على تحريم المتعة إلا الرافضة الذين اتخذوا المتعة دينًا، وقربة ووضعوا الأقوال المكذوبة في ذلك ونسبوها إلى أئمة وشرفاء من آل البيت (٣٨).ومما يدل أن نكاح

(٣٨) قال السيد حسين الموسوي في كتابه النافع لله ثم للتاريخ: (لقد استغلت المتعة أبشع استغلال، وأهينت المرأة شر إهانة، وصار الكثيرون يشبعون رغباتهم الجنسية تحت ستار المتعة وباسم الدين، عملًا بقوله تعالى: ﴿فَمَا ٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِهِۦ مِنۡهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ [النساء: ٢٤] لقد أوردوا روايات في الترغيب بالمتعة، وحددوا أو رتبوا عليها الثواب وعلى تاركها العقاب، بل اعتبروا كل من لم يعمل بها ليس مسلمًا اقرأ معي هذه النصوص: قال النبي ﷺ: (من تمتع بامرأة مؤمنة كأنما زار الكعبة سبعين مرة) فهل هذا الذي يتمتع كمن زار الكعبة سبعين مرة ؟ وبمن ؟ بامرأة مؤمنة ؟ وروى الصدوق عن الصادق قال: (إن المتعة ديني ودين أبائي فمن عمل بها عمل بديننا، ومن أنكرها أنكر ديننا، واعتقد بغير ديننا) من لا يحضره الفقيه (٣/ ٣٦٦) وهذا تكفير لمن لم يقبل المتعة. وقيل لأبي عبدالله: هل للمتمتع ثواب ؟ قال: (إن كان يريد بذلك وجه الله لم يكلمها كلمة إلا كتب الله له بها حسنة، فإذا دنا منها غفر الله له بذلك ذنبًا، فإذا اغتسل غفر الله له بقدر ما مر من الماء على شعره وقال النبي ﷺ: (من تمتع مرة أمن من سخط الجبار، ومن تمتع مرتين حشر مع الأبرار، ومن تمتع ثلاث مرات زاحمني في الجنان)) (من لا يحضره الفقيه ٣/ ٣٦٦). قلت ورغبة في الثواب، فإن علماء الحوزة في النجف وجميع الحسينيات ومشاهد

المتعة نكاح سفاح قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ [المؤمنون: ٥-٧].

قال الإمام الشوكاني - رحمه الله - في تفسير الآية: (الفرج يطلق على فرج الرجل والمرأة، ومعنى حفظهم لها: أنهم ممسكون لها بالعفاف عما لا يحل لهم، وقيل والمراد هنا: الرجال خاصة دون النساء بدليل قوله: ﴿إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ للإجماع على أنه لا يحل للمرأة أن يطأها من تملكه.... والمعنى: أنهم لفروجهم حافظون في جميع الأحوال إلا في حال تزوجهم أو تسريهم وجملة

الأئمة يتمتعون بكثرة...... فإنهم يتمتعون بكثرة وكل يوم رغبة في نيل هذا الثواب ومزاحمة النبي صلوات الله عليه في الجنان. وروى السيد فتح الله الكاشاني في تفسير منهج الصادقين عن النبي أنه قال ﷺ: (من تمتع مرة كانت درجته كدرجة الحسين، ومن تمتع مرتين فدرجته كدرجة الحسن، ومن تمتع ثلاث مرات فدرجته كدرجة علي بن أبي طالب، ومن تمتع أربع مرات فدرجته كدرجتي)........ولا يشترط أن تكون المتمتع بها بالغة راشدة، بل قالوا: يمكن التمتع بمن في العاشرة من العمر، ولهذا روى الكليني في الفروع (٥/ ٤٦٣)، والطوسي في التهذيب (٧/ ٢٥٥) أنه قيل لأبي عبدالله: (الجارية الصغيرة يتمتع بها الرجل ؟ فقال: نعم إلا أن تكون صبية تخدع قيل: وما الحد الذي إذا بلغته لم تخدع ؟ قال عشر سنين).- ومما قاله ردًّا عل تلك الروايات المكذوبة - إن المتعة كانت مباحة في العصر الجاهلي، ولما جاء الإسلام أبقى عليها مدة، ثم حرمت يوم خيبر، لكن المتعارف عليه عند الشيعة، عند جماهير فقهائنا، أن عمر بن الخطاب هو الذي حرمها، وهذا ما يرويه بعض فقهائنا.

والصواب في المسألة أنها حرمت يوم خيبر قال أمير المؤمنين: « حرم رسول الله ﷺ يوم خيبر لحوم الحمر الأهلية ونكاح المتعة »....... إن الصواب هو ترك المتعة، لأنها حرام كما ثبت نقله عن أمير المؤمنين، وأما الأخبار التي نسبت إلى الأئمة؛ فلا شك أن نسبتها إليهم غير صحيحة، بل هي أخبار مفتراة عليهم... وبذلك يتبين أن الأخبار التي تحث على التمتع ما قال الأئمة منها حرفًا واحدًا، بل افتراها وتقولها عليهم أناس زنادقة، أرادوا الطعن بأهل البيت الكرام والإساءة إليهم، وإلا بما تفسر إباحتهم التمتع بالهاشمية وتكفيرهم لمن لم يتمتع ؟ مع أن الأئمة لم ينقل عن واحد منهم نقلًا ثابتًا أنه تمتع مرة أو قال بحلِّية المتعة، أيكونون قد دانوا بغير دين الإسلام ؟ فإذا توضح لنا ندرك أن الذين وضعوا تلك الأخبار هم قوم زنادقة أرادوا الطعن بأهل البيت والأئمة، لأن العمل بتلك الأخبار فيه تكفير للأمة.....) إلى آخر كلامه فليراجع فإنه مهم جدًّا.

﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ﴾ في محل جر عطفًا على أزواجهم، وما مصدرية، والمراد بذلك الإماء.... ومعنى العادون: المجاوزون إلى ما لا يحل لهم فسمى سبحانه من نكح ما لا يحل عاديًا، ووراء هنا بمعنى سوى... **وقد دلت هذه الآية على تحريم نكاح المتعة**).

و(اعلم أن النكاح الذي جاءت به الشريعة هو النكاح الذي يعقده الأولياء للنساء وقد بالغ الشارع في ذلك حتى حكم بأن النكاح الواقع بغير ولي باطل وكرر ثلاثًا(٣٩)، ثم النكاح الذي جاءت به الشريعة هو النكاح الذي أوجب الشارع فيه إشهاد الشهود كما ثبت ذلك بالأحاديث، ثم النكاح الذي شرعه الشارع هو النكاح الذي يحصل به التوريث، ويثبت به النسب، ويترتب عليه الطلاق والعدة. **وإذا عرفت هذا فالمتعة ليست بنكاح شرعي وإنما هي رخصة للمسافر مع الضرورة ولا خلاف في هذا ثم لا خلاف في ثبوت الحديث المتضمن للنهي عنها إلى يوم القيامة وليس بعد هذا شيء**، ولا تصلح معارضته بشيء مما زعموه وما ذكروه من أنه استمتع بعض الصحابة بعد موته ﷺ فليس هذا ببِدْع فقد يخفى الحكم على بعض الصحابة ولهذا صرح عمر ﷺ بالنهي عن ذلك وأسنده إلى نهيه ﷺ لـمّا بلغه أن بعض الصحابة تمتع(٤٠).

---

(٣٩) من حديث أبي موسى الأشعري ﷺ رواه الترمذي في كتاب النكاح باب ما جاء لا نكاح إلا بولي ح (١١٠١)، وأبو داود في كتاب النكاح باب في الولي ح (٢٠٨٥)، وابن ماجه كتاب النكاح باب لا نكاح إلا بولي ح (١٨٨١) بلفظ (لا نكاح إلا بولي) وهو صحيح انظر الإرواء رقم (١٨٣٩) قال الترمذي: وفي الباب عن عائشة وابن عباس وأبي هريرة وعمران بن حصين وأنس. وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: قال رسول الله: «أيما امرأة نكحت بغير إذن مواليها فنكاحها باطل» ثلاث مرات...... الحديث) رواه أبوداود كتاب النكاح باب في الولي ح (٢٠٨٣)، والترمذي في كتاب النكاح باب ما جاء لا نكاح إلا بولي ح (١١٠٢)، وابن ماجه في كتاب النكاح باب لا نكاح إلا بولي ح (١٨٧٩). وهو صحيح انظر الأرواء رقم (١٨٤٠).

(٤٠) قال عمر: إن الله كان يحل لرسوله ما شاء بما شاء، وإن القرآن قد نزل منازله، فأتموا الحج والعمرة لله، كما أمركم الله. وأبتوا نكاح النساء. إن أُوتى برجل نكح امرأة إلى أجل إلا رجمته بالحجارة. رواه مسلم في كتاب الحج باب في المتعة بالحج والعمرة ح (١٢١٧).

فالحجة إنما هي في الثابت عن رسول الله ﷺ لا فيما فعله فرد من أفراد الصحابة. وأما المراوغة بأن التحليل قطعيٌّ والتحريم ظنيٌّ فذلك مدفوع بأن استمرار ذلك القطعيِّ ظنيٌّ بلا خلاف والنسخ إنما هو للاستمرار لا لنفس ما قد وقع فإنه لا يقول عاقل بأنه يَنسخ ما قد فرغ من فعله.

ثم أجمع المسلمون على التحريم ولم يبق على الجواز إلا الرافضة وليسوا ممن يُحتاج إلى دفع أقوالهم ولا هم ممن يقدح في الإجماع فإنهم في غالب ما هم عليه مخالفون للكتاب والسُّنَّة ولجميع المسلمين. قال ابن المنذر: جاء عن الأوائل الرخصة فيها – يعني المتعة – ولا أعلم أحدًا اليوم يجيزها إلا الرافضة. وقال القاضي عياض: أجمع العلماء على تحريمها إلا الروافض. وقال ابن بطال: وأجمعوا الآن على أنه متى وقع – يعني المتعة- أُبطل سواء كان قبل الدخول أو بعده. وقال الخطابي: تحريم المتعة كالإجماع إلا عن بعض الشيعة. السيل الجرار (٢/٢٦٦-٢٦٩).

(وقد ثبت من حديث الربيع بن سبرة عن أبيه: أن النبي ﷺ نَهَى عن المتعة في حجة الوداع إلى يوم القيامة [٤١]. وهذا نَهْيٌ مُؤبَّد وقع في آخر موطن من المواطن التي سافر فيها رسول الله ﷺ، ويعقبه موتُه بعد أربعة أشهر، فوجب المصير إليه، ولا يعارضه ما روي عن بعض الصحابة أنهم ثبتوا على المتعة في حياته ﷺ وبعد موته إلى آخر أيام عمر، كما زعمه صاحب «**ضوء النهار**»، فإنَّ من عَلِمَ النسخ المؤبد حجة على من لم يعلم، واستمرار من استمرَّ عليه، إنما كان؛ لعدم علمه بالناسخ، وأما ما صار يهوّل به جماعة من المتأخرين، كالجلال والمقبلي وغيرهما، من أن تحليل المتعة قطعيٌّ، وحديث تحريمها على التأبيد ظنيٌّ، والظنيُّ

---

(٤١) عن الربيع بن سبرة الجهني أن أباه حدثه أنه كان مع رسول الله ﷺ فقال: «يا أيها الناس إني قد كنت أذنت لكم في الاستمتاع من النساء وإن الله قد حرم ذلك إلى يوم القيامة فمن كان عنده منهن شيء فليخل سبيله ولا تأخذوا مما آتيتموهن شيئًا». مسلم في كتاب النكاح باب نكاح المتعة وبيان أنه أبيح ثم نسخ، ثم أبيح ثم نسخ، واستقر تحريمه إلى يوم القيامة ح(١٤٠٦) وفي رواية عنه أن رسول الله ﷺ نهى يوم الفتح عن متعة النساء.

لا ينسخ القطعيّ، حتى قال المقبلي: إن الجمهور لم يجدوا جوابًا على هذا. فيقال: إن كان كون التحليل قطعيًا لكونه منصوصًا عليه في الكتاب العزيز، فذلك وإن كان قطعيّ المتن فليس بقطعي الدلالة؛ لأمرين أحدهما: أنه يمكن حمله على الاستمتاع بالنكاح الصحيح.

الثاني: أنه عموم وهو ظني الدلالة. على أنه قد روى الترمذي عن ابن عباس، أنه قال: إنما كانت المتعة حتى نزلت هذه الآية ﴿إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ﴾ [المؤمنون ٦].

قال ابن عباس: فكل فرج سواهما حرام. وهذا يدل على أن التحريم بالقرآن، فيكون ما هو قطعي المتن ناسخًا لما هو قطعي المتن؛ وإن كان التحليل قطعيًا لكونه قد وقع الإجماع من الجميع عليه في أول الأمر، فيقال: ووقع الإجماع أيضًا على التحريم في الجملة عند الجميع، وإنما الخلاف في التأبيد، هل وقع أم لا ؟ وكون هذا التأبيد ظنيًّا لا يستلزم ظنية التحريم الذي وقع النسخ به، فالحاصل أن الناسخ للتحليل المجمع عليه هو التحريم المجمع عليه، المقيد بقيد ظني وهو التأبيد، فالناسخ والمنسوخ قطعيان، هذا على تسليم أن ناسخ القطعي لا يكون إلا قطعيًّا كما قرره جمهور أهل الأصول، وإن كنت لا أوافقهم على ذلك). وبل الغمام (٢/ ٢٣-٢٥).

وقال: في تفسير قوله تعالى: ﴿ فَمَا ٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِهِۦ مِنۡهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةٗۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ فِيمَا تَرَٰضَيۡتُم بِهِۦ مِنۢ بَعۡدِ ٱلۡفَرِيضَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء ٢٤].

(وقد اختلف أهل العلم في معنى الآية: فقال الحسن، ومجاهد، وغيرهما: المعنى فما انتفعتم، وتلذذتم بالجماع من النساء بالنكاح الشرعي ﴿فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ أي: مهورهنّ. وقال الجمهور: إن المراد بهذه الآية: نكاح المتعة الذي كان في صدر الإسلام، ويؤيد ذلك قراءة أُبيّ بن كعب، وابن عباس، وسعيد بن جبير: " فَمَا استمتعتم بِهِ مِنْهُنَّ إلى أَجَلٍ مُّسَمًّى فآتوهن أجورهن " ثم نهى عنها النبي ﷺ، كما صحّ ذلك من حديث عليّ قال: نهى النبي ﷺ، عن نكاح

المتعة، وعن لحوم الحمر الأهلية يوم خيبر.، وهو في «**الصحيحين**» وغيرهما، وفي «**صحيح مسلم**» من حديث سبرة بن معبد الجهني، عن النبي ﷺ: أنه قال يوم فتح مكة: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي كُنْتُ أَذِنْتُ لَكُمْ فِي الاسْتِمْتَاعِ مِنَ النِّسَاءِ، والله قَدْ حَرَّمَ ذَلِكَ إلى يوم القِيَامَةِ، فَمَنْ كَانَ عِنْدَهُ مِنْهُنَّ شَيء، فَلْيُخَلِّ سَبِيلَهَا، ولا تَأْخُذُوا مِمَا آتَيتُمُوهُنّ شَيْئًا**» وفي لفظ لمسلم أن ذلك كان في حجة الوداع، فهذا هو الناسخ. وقال سعيد بن جبير: نسختها آيات الميراث إذ المتعة لا ميراث فيها. وقالت عائشة، والقاسم بن محمد: تحريمها، ونسخها في القرآن، وذلك قوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ**﴾ [المؤمنون: ٥، ٦].

وليست المنكوحة بالمتعة من أزواجهم، ولا مما ملكت أيمانهم، فإن من شأن الزوجة أن ترث، وتورث، وليست المستمتع بها كذلك....**وقد قال بجوازها - أي المتعة - جماعة من الروافض ولا اعتبار بأقوالهم)** .

وذكر - رحمه الله - نقولًا كثيرة عن أهل العلم في بيان بطلان مذهب الرافضة في هذه المسألة وذكر الحجج التي تمسك بها الرافضة ثم بين - رحمه الله - أن الذي يوجب المصير إلى التحريم الأحاديث الصريحة في ذلك حيث قال - رحمه الله -: (أوجب المصير إليه حديث سبرة الصحيح المصرح بالتحريم المؤبد وعلى كل حال فنحن مُتَعَبِّدون بما بلغنا عن الشارع وقد صح لنا عنه التحريم المؤبد) النيل (م٣ / ج٦/ ١٣٨).

وقد ثبت عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ نهى عن متعة النساء يوم خيبر وعن أكل لحوم الحمر الإنسية) رواه البخاري ح (٥١١٥)، ومسلم ح (١٤٠٧).

وثبت عنه أيضًا أنه سمع ابن عباس رضي الله عنهما يلين في متعة النساء فقال: (مهلًا يابن عباس فإن رسول الله ﷺ نهى عنها يوم خيبر وعن لحوم الحمر الإنسية). مسلم (١٤٠٧).

٢) الجمع بين الصلوات المفروضة من غير عذر شرعي(٤٢).

---

(٤٢) إليك أخي القارئ بيان بعض الأحكام الشرعية التي يخالف فيها الرافضة الكتاب والسنة، قال شيخ الإسلام: (الرافضة يوجد فيهم من المسائل ما لا يقوله مسلم يعرف دين الإسلام، منها ما يتفقون عليه، ومنها ما يقوله بعضهم: مثل ترك الجمعة والجماعة، فيعطلون المساجد التي أمر الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه عن الجمعة والجماعات، ويعمِّرون المشاهد التي حرَّم الله ورسوله بناءها، ويجعلونها بمنزلة دور الأوثان، ومنهم من يجعل زيارتها كالحج، كما صنف المفيد كتابًا سمّاه مناسك حج المشاهد، وفيه من الكذب والشرك ما هو من جنس كذب النصارى وشركهم، ومنها تأخير صلاة المغرب، مضاهاة لليهود، ومنها تحريم ذبائح أهل الكتاب، وتحريم نوع من السمك، وتحريم بعضهم لحم الجمل، واشتراط بعضهم في الطلاق الشهود على الطلاق، وإيجابهم أخذ خمس مكاسب المسلمين، وجعلهم الميراث كله للبنت دون العم وغيره من العصبة، والجمع الدائم بين الصلاتين، ومثل صوم بعضهم بالعدد لا بالهلال، يصومون قبل الهلال ويفطرون بعده، ومثل ذلك من الأحكام التي يعلم علمًا يقينيًّا أنها خلاف دين المسلمين، الذي بعث الله به رسوله ﷺ وأنزل به كتابه) منهاج السنة (٣/ ٤١٨-٤٢٠).

و(مثل تأخيرهم صلاة المغرب حتى يطلع الكوكب مضاهاة لليهود، وقد تواترت النصوص عن النبي ﷺ بتعجيل المغرب. ومثل صومهم قبل الناس بيومين، مضاهاة لمبتدعة أهل الكتاب الذين عدلوا عن الصوم بالهلال إلى الاجتماع، وجعلوا الصوم بالحساب،... ومثل تحريمهم بعض أنواع السمك، مضاهاة لليهود في تحريم الطيبات ومثل معاونة الكفار على قتال المسلمين، وترغيب الكفار في قتال المسلمين. وهذا لا يُعرف لأحد من فرق الأمة. ومثل تنجيس المائعات التي يباشرها أهل السنة، وهذا من جنس دين السامرة وهو رافضة اليهود، هم في اليهود كالرافضة في المسلمين، والرافضة تشابههم من وجوه كثيرة، - ثم عقد مقارنة بيَّن فيها وجه التشابه بين الرافضة والسامرة -....والرافضة تجعل الصلوات الخمس ثلاث صلوات، فيصلون دائمًا الظهر والعصر جميعًا، والمغرب والعشاء جميعًا، وهذا لم يذهب إليه غيرهم من فرق الأمة وهو يشبه دين اليهود؛ فإن الصلوات عندهم ثلاث..... والرافضة لا تصلي جمعة ولا جماعة، لا خلف أصحابهم ولا غير أصحابهم، ولا يصلون إلا خلف المعصوم، ولا معصوم عندهم. وهذا لا يوجد في سائر الفرق أكثر مما يوجد في الرافضة. فسائر أهل البدع سواهم، لا يصلون الجمعة والجماعة إلا خلف أصحابهم، كما هو دين الخوارج والمعتزلة وغيرهم، وأما أنهم لا يصلون ذلك بحال، فهذا ليس إلا للرافضة. ومن ذلك أنهم لا يؤمِّنون في الصلاة - هم أو بعضهم - وهذا ليس لأحد من فرق الأمة، بل هو دين اليهود؛ فإن اليهود حسدوا المؤمنين على التأمين. وقد حكى طائفة عن بعضهم أنه يحرِّم لحم الإبل، وكان ذلك لركوب عائشة على الجمل. وهذا من أظهر الكفر؛ وهو من جنس دين اليهود.... ومفاريد الرافضة التي تدل على غاية الجهل

قال – رحمه الله –: (لقد ابتلي زمننا هذا من بين الأزمنة وديارنا هذه من بين ديار الأرض بقوم جهلوا الشرع، وشاركوا في بعض فروع الفقه، فوسعوا دائرة الأوقات وسوغوا للعامة أن يصلوا في غير أوقات الصلاة، **فظنوا أن فعل الصلاة في غير أوقاتها شعبة من شعب التشيع وخصلة من خصال المحبة لأهل البيت فضلوا وأضلوا**، وأهل البيت – رحمهم الله – براء من هذه المقالة، مصونون عن القول بشيء منها، ولقد صارت الجماعات الآن تقام في جوامع صنعاء للعصر بعد الفراغ من صلاة الظهر، وللعشاء في وقت المغرب، وصار غالب العوام لا يصلي الظهر والعصر إلا عند اصفرار الشمس، فيا لله وللمسلمين من هذه الفواقر في

والضلال كثيرة لم نقصد ذكرها هنا) منهاج السنة (٥/ ١٧٣-١٧٧) وقال: (لا نعلم طائفة أعظم تعصبًا في الباطل من الرافضة، حتى أنهم دون سائر الطوائف عُرف منهم شهادة الزور لموافقهم على مخالفهم، وليس في التعصب أعظم من الكذب، وحتى أنهم في التعصب جعلوا للبنت جميع الميراث، ليقولوا: إن فاطمة – رضي الله عنها – ورثت رسول الله ﷺ دون عمه العباس ﷺ، وحتى أن فيهم من حرّم لحم الجمل لأن عائشة قاتلت على جمل، فخالفوا كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وإجماع الصحابة والقرابة لأمر لا يناسب ذلك، فإن ذلك الجمل الذي ركبته عائشة – رضي الله عنها – مات، ولو فرض أنه حيّ فركوب الكفار على الجمال لا يوجب تحريمها، وما زال الكفار يركبون جمالًا ويغنمها المسلمون منهم، ولحمها حلال لهم، فأي شيء في ركوب عائشة للجمل مما يوجب تحريم لحمه ؟ وغاية ما يفرضون أن بعض من يجعلونه كافرًا ركب جملًا، مع أنهم كذابون مفترون فيما يرمون به أم المؤمنين – رضي الله عنها –). منهاج السنة (٤/ ١٣٧-١٣٨).

وقال فيما يتعلق بالخُمس: (وأما ما يقوله الرافضة من أن خُمس مكاسب المسلمين يؤخذ منهم ويُصرف إلى من يرونه هو نائب الإمام المعصوم أو إلى غيره، فهذا قول لم يقله قط أحد من الصحابة لا عليّ ولا غيره، ولا أحد من التابعين لهم بإحسان، ولا أحد من القرابة: لا بني هاشم ولا غيرهم، وكل من نقل هذا عن علي أو علماء أهل بيته، كالحسن والحسين وعلي بن الحسين وأبي جعفر الباقر وجعفر بن محمد، فقد كذب عليهم. فإن هذا خلاف المتواتر من سيرة علي ﷺ، فإنه قد تولى الخلافة أربع سنين وبعض أخرى، ولم يأخذ من المسلمين من أموالهم شيئًا... وكذلك من المعلوم بالضرورة أن النبي ﷺ لم يخمس أموال المسلمين، ولا طالب أحدًا من المسلمين بخمس ماله..). منهاج السنة (٦/ ١٠٥-١٠٦) وانظر مقارنة أخرى بين الرافضة وبين اليهود منهاج السنة (١/ ٤٢-٢٧).

الدين، وسيأتيك الكلام في الجمع الذي جعله هؤلاء ذريعة إلى هذه المفاسد السارية إلى ترك الصلوات التي صرح الشارع بأنه ليس بين العبد وبين الكفر إلا تركها) السيل الجرار (١/ ٤١١) وانظر (١/ ٤٢٧-٤٢٨).

(ولقد أفرط من سوغ الجمع للمشتغل بالمباح وجعله عذرًا، فإذا كان مجرد الاشتغال بالمباحات يُعدُّ من الأعذار المسوغة لترك الصلاة في وقتها المضروب لها، الذي لا يجوز تأخيرها عنه إلا للمضطرين، فَمن ذاك يصدق عليه أنه غير معذور، فإن الإنسان لا ينفك عند عدم الاشتغال بالواجب والمندوب والحرام والمكروه من كونه مشتغلًا بالمباح، لأن كل فعل أو ترك خارج عن تلك الأقسام الأربعة يدخل في قسم المباح؛ فالرجل المتكي على أريكته حال سماع الأذان وحضور وقت الصلاة مشغول بمباح، فيكون هذا المباح عذرًا في تأخير الصلاة، فقبح الله هذا العذر وأبعد صاحبه، يالله العجب! أن يقول رسول الله لابن أم مكتوم، وهو رجل أعمى، وقد سأله هل يجد له عذرًا عن إتيان المسجد لبُعد منـزله وعدم حضور قائده في بعض الأوقات: «**هَلْ تَسْمَعُ النِّدَاءَ ؟ فقال: نعم، قال:** «**لا أجد لك رخصة**»[٤٣]. وقد جمع بين العمى وعدم القائد وبُعد المنـزل، مع أنه لم يسأله أن يسوغ له الجمع، إنما سأله أن يأذن له بالصلاة في منـزله على التوقيت. ثم يكون مجرد الاشتغال بالمباحات عذرًا عن أفضل العبادات وأعظم الواجبات، وأحد أركان الإسلام !!.... والحاصل أن مثل هذه التوسعات

---

(٤٣) رواه مسلم كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب يجب إتيان المسجد على من سمع النداء ح (٦٥٣) ولفظه (عن أبي هريرة قال: أتى النبي ﷺ رجل أعمى فقال: يا رسول الله إنه ليس لي قائد يقودني إلى المسجد فسأل رسول الله ﷺ أن يرخص له فيصلي في بيته فرخص له فلما ولى دعاه فقال: «هل تسمع النداء بالصلاة» قال: نعم قال: «فأجب» وأما اللفظ الذي ذكره الشوكاني فهو عند أبي داود كتاب الصلاة / باب في التشديد في ترك الجماعة ح (٥٥٢) وابن ماجه كتاب المساجد والجماعة باب التغليظ في التخلف عن الجماعة ح (٧٩٢) وهو بمعناه عند النسائي كتاب الإمامة باب المحافظة على الصلوات حيث ينادى بهن ح (٨٥٠) وهو في صحيح أبي داود رقم (٥١٦).

معدودة من التقصير بشأن هذه العبادة العظيمة. **وأطمُّ من هذا من صار يعتقد أن الجمع من السنن التي لا يزيغ عنها إلا من لا حظ له في التشيع**، ومن كان بهذه المنـزلة لا يستحق المخاطبة، وهم وإن كانوا كثيري العدد فلا عبرة بمسائل العلم، والدين إلا بأهل العلم، والدين، وكما **اعتقد هؤلاء النَّوكى أن الجمع بين الصلاتين ركن من أركان التشيع، اعتقدوا أن الركن الثاني: ترك الجمعة، والركن الثالث: ترك كتب حديث رسول الله ﷺ[٤٤]، والركن الرابع: عداوة السلف.**
وأقول شعرًا:

تَشَيُّعُ الأقوامِ في عَصرِنـــا	*مُنحصر في أربع من البدع*
عداوة السُّنة والثلب للـــ	*أسلافِ والجَمْعِ وتركُ الجُمَع*

وبل الغمام (١/ ٢٣٦-٢٣٨).

٣) قولهم بجواز الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها في نكاح واحد.

ومن انحراف هؤلاء الرافضة عن كتب السنة أنهم قالوا بهذه المقالة المخالفة لصريح السنة وهي مسألة الجمع بين المرأة وخالتها وعمتها قال - رحمه الله - مبينًا تحريم ذلك: (أما الجمع بين الأختين فبنص الكتاب العزيز وأما الجمع بين المرأة وعمتها والمرأة وخالتها فبالسنة الصحيحة الثابتة في «**الصحيحين**» وغيرهما[٤٥]، المروية من طريق جماعة من الصحابة، وقد أبعد من رام دفع هذا الحكم الثابت بهذه السنة الصحيحة بمجرد الخيالات المختلة والعلل المعتلة، وقد حكى بعض أهل الإجماع على التحريم، **ومثل الروافض والخوارج من فرق الضلال ليسوا ممن ينبغي أن يشتغل بشأنهم ولا بتدوين مقالاتهم الباطلة ولا يقدح**

---

(٤٤) وانظر في فضل أهل الحديث، وعظيم خدمتهم للشريعة. وبل الغمام (١/ ٢٣٩-٢٤٠).

(٤٥) روى الإمام البخاري في كتاب النكاح باب لا تنكح المرأة على عمتها حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: « لا يُجمع بين المرأة وعمتها ولا بين المرأة وخالتها » ح (٥١٠٩). وكذا رواه مسلم كتاب النكاح باب تحريم الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها في النكاح ح (١٤٠٨).

خلافهم في إجماع الأمة الإسلامية ولكن التعصب يتشعب شعبًا كثيرة قد يقع الواقع فيها بل في أشدها ضررًا وأعظمها خطرًا وهو لا يدري كما أوضحت ذلك في كتابي الذي سميته: «**أدب الطلب ومنتهى الأرب**» واعلم أن الله سبحانه قد انزل في كتابه العزيز فيما يحل ويحرم من المناكح الكثير الطيب ثم إنَّ النبي ﷺ بيَّن للناس ما نزل إليهم وبالغ في البيان والإيضاح) السيل الجرار (٢/ ٢٥٠-٢٥٢).

٤) الرافضة وإتيان النساء في الأدبار.

(وقد ذكر ابن القيم لذلك مفاسد دينية ودنيوية فليراجع، وكفى مناديًا على خساسته أنه لا يرضى أحد من أن ينسب إليه ولا إلى إمامه تجويز ذلك **إلا ما كان من الرافضة** مع أنه مكروه عندهم وأوجبوا للزوجة فيه عشرة دنانير عوض النطفة، وهذه المسألة هي إحدى مسائلهم التي شذوا بها، وقد حكى الإمام المهدي في البحر عن العترة[٤٦] جميعًا وأكثر الفقهاء أنه حرام) نيل الأوطار (م٣/ ج٦/ ٢٠٢).

٥) الرافضة وقولهم بالمسح على الرجلين في الوضوء.

قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ﴾.

قوله: ﴿وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ﴾ قرأ نافع بنصب الأرجل، وهي قراءة الحسن البصري والأعمش، وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وحمزة بالجر، **وقراءة النصب تدل على أنه يجب غسل الرجلين؛ لأنها معطوفة على الوجه، وإلى هذا ذهب جمهور العلماء**. وقراءة الجر تدل على أنه يجوز الاقتصار على مسح الرجلين؛ لأنها معطوفة على الرأس، وإليه ذهب ابن جرير الطبري..... **قال ابن العربي:**

---

(٤٦) قال ابن تيمية: (العترة هم بنو هاشم كلهم: ولد العباس، وولد عليّ، وولد الحارث بن عبد المطلب، وسائر بني أبي طالب وغيرهم، وعليّ وحده ليس هو العترة، وسيد العترة هو رسول الله ﷺ) منهاج السنة (٧/ ٣٩٥).

اتفقت الأمة على وجوب غسلهما وما علمت من رد ذلك إلا الطبري من فقهاء المسلمين والرافضة من غيرهم وتعلق الطبري بقراءة الجر..... ولكنه قد ثبت في السنة المطهرة بالأحاديث الصحيحة من فعله ﷺ وقوله غسل الرجلين فقط وثبت عنه أنه قال: «**ويل للأعقاب من النار**»[٤٧] وهو في «**الصحيحين**» وغيرهما، فأفاد وجوب غسل الرجلين وأنه لا يجزئ مسحهما؛ لأن شأن المسح أن يصيب ما أصاب ويخطي ما أخطأ فلو كان مجزئًا لما قال: «**ويل للأعقاب من النار**». وقد ثبت عنه ﷺ أنه قال بعد أن توضأ وغسل رجليه: «**هذا وضوء لا يقبل الله الصلاة إلا به**»[٤٨]. وقد ثبت في صحيح مسلم وغيره أن رجلًا توضأ فترك على قدمه مثل موضع الظفر فقال له «**ارجع فأحسن وضوءك**»[٤٩] فتح القدير (٢/ ٢٦).

وعن عمرو بن عبسة قال: قلت يا رسول الله: حدثني عن الوضوء قال: «**مَا مِنْكُم مِنْ رَجُلٍ يَقْرَبُ وُضُوءهُ، فَيَتَمَضْمَضُ وَيَسْتَنْشِقُ فَيَنْتَثِرُ إِلَّا خَرَّتْ خَطَايَا فِيهِ وَخَيَاشِيمِهِ مَعَ المَاءِ، ثُمَّ إِذَا غَسَلَ وَجْهَهُ كَمَا أَمَرَه الله إِلَّا خَرَّتْ خَطَايَا وَجْهِهِ مِنْ أَطْرَافِ لِحْيَتِهِ مَعَ المَاءِ، ثُمَّ يَغْسِلُ يديه إِلَى المِرْفَقَينِ إِلَّا خَرَّتْ خَطَايَا يَدَيهِ مِنْ أَنَامِلِهِ مَعَ المَاءِ، ثُمَّ يَمْسَحُ بِرَأْسِهِ إِلَّا خَرَّتْ خَطَايَا رَأْسِهِ مِنْ أَطْرَافِ شَعْرِهِ مَعَ المَاءِ، ثُمَّ يَغْسِلُ قَدَمَيهِ إِلَى الكَعْبَينِ إِلَّا خَرَّتْ خَطَايَا رِجْلَيهِ مِنْ أَنَامِلِهِ مَعَ المَاءِ**». أخرجه

---

(٤٧) رواه البخاري من حديث عبدالله بن عمرو في كتاب الوضوء باب غسل الرجلين ولا يمسح القدمين ح(١٦٣) ومسلم في كتاب الطهارة باب وجوب غسل الرجلين بكمالهما ح (٢٤١) ورواه البخاري من حديث أبي هريرة كتاب الوضوء باب غسل الأعقاب ح (١٦٥) ومسلم في كتاب الطهارة باب وجوب غسل الرجلين بكمالهما ح (٢٤٢).

(٤٨) من حديث ابن عمر رواه ابن ماجه كتاب الطهارة وسننها باب ما جاء في الوضوء مرة ومرتين وثلاثة ح (٤١٩) ولفظه: (توضأ رسول الله واحدة واحدة فقال.......) ومن حديث أُبي بن كعب ح (٤٢٠) بنحو اللفظ الأول، والحديث الأول ضعيف جدًا والثاني ضعيف كما ذكر العلامة الألباني في ضعيف ابن ماجه رقم (٩٣،٩٢) واللفظ الذي ذكره الإمام الشوكاني حسنه الشيخ الألباني بشواهده انظر الصحيحة (٢٦١) والإرواء (٨٥).

(٤٩) من حديث عمر بن الخطاب رواه مسلم كتاب الطهارة باب وجوب استيعاب جميع أجزاء محل الطهارة ح (٢٤٣)

مسلم ورواه أحمد وقال فيه: (ثم يمسح رأسه كما أمر الله ثم يغسل قدميه إلى الكعبين كما أمره الله) [٥٠].

قال الشوكاني - رحمه الله -: **وفي حديث الباب وما بعده رد لمذهب الإمامية في وجوب مسح الرجلين**. نيل الأوطار (م١/ ج١/ ١٤٧).

(وقالت الإمامية: **الواجب مسحهما** ...... واحتج من لم يوجب غسل الرجلين بقراءة الجر في قوله: ﴿وَأَرْجُلَكُمْ﴾ وهو عطف على قوله: ﴿بِرُءُوسِكُمْ﴾ قالوا: وهي قراءة صحيحة سبعية مستفيضة، والقول بالعطف على غسل الوجوه وإنما قرئ بالجر للجوار وقد حكم بجوازه جماعة من أئمة الإعراب كسيبويه والأخفش لا شك أنه قليل نادر مخالف للظاهر لا يجوز حمل المتنازع فيه عليه.

قلنا: أوجب الحمل عليه مداومته ﷺ على غسل الرجلين وعدم ثبوت المسح عنه من وجه صحيح وتوعده على المسح بقوله: « وَيْلٌ لِلأَعْقَابِ مِنَ النَّارِ » ولأمره بالغسل كما ثبت في حديث جابر عند الدارقطني بلفظ: أمرنا رسول الله ﷺ إذا توضأنا للصلاة أن نغسل أرجلنا[٥١] ولثبوت ذلك من قوله ﷺ كما في حديث عمرو بن عبسة وأبي هريرة وقد سلف ذكر طرف من ذلك في باب غسل المسترسل من اللحية. ولقوله ﷺ بعد أن توضأ وضوءًا غسل فيه قدميه: «**فَمَنْ زَادَ عَلَى هَذَا أَوْ نَقَصَ فَقَدْ أَسَاءَ وَظَلَمَ**»[٥٢] أخرجه أبو داود والنسائي وابن ماجه

(٥٠) رواه مسلم كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب إسلام عمرو بن عبسة ح (٨٣٢) ولفظ أحمد في «صحيح الجامع» رقم (٥٨٠٤).

(٥١) سنن الدارقطني باب ما روي في فضل الوضوء واستيعاب جميع القدم في الوضوء بالماء ح (٣٧٧).

(٥٢) من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رواه أبوداود كتاب الطهارة باب الوضوء ثلاثًا ثلاثًا ح (١٣٥)، والنسائي كتاب الطهارة باب الاعتدال في الوضوء ح (١٤٠)، وابن ماجه كتاب الطهارة وسننها باب ما جاء في القصد في الوضوء وكراهة التعدي فيه ح (٤٢٢)وهو في الصحيحة (٢٩٨٠) وصحيح أبي داود رقم(١٢٣) قال الألباني: حسن صحيح، دون قوله: " أو نقص " فإنه شاذ.

وابن خزيمة من طرق صحيحة وصححه ابن خزيمة. ولا شك أن المسح بالنسبة إلى الغسل نقص وبقوله ﷺ للأعرابي «تَوَضَّأْ كَمَا أَمَرَكَ الله»[٥٣] ثم ذكر له صفة الوضوء وفيها غسل الرجلين، وبإجماع الصحابة على الغسل فكانت هذه الأمور موجبة لحمل تلك القراءة على ذلك الوجه النادر.........**وأما الموجبون للمسح وهم الإمامية فلم يأتوا مع مخالفتهم للكتاب والسنة المتواترة قولًا وفعلًا بحجة نيرة** وجعلوا قراءة النصب عطفًا على محل قوله: ﴿بِرُءُوسِكُمْ﴾ ومنهم من يجعل الباء الداخلة على الرءوس زائدة، والأصل: امسحوا رءوسكم وأرجلكم وما أدري بماذا يجيبون عن الأحاديث المتواترة. نيل الأوطار (م١/ج١/١٦٨-١٦٩).

(**وأما وجوب غسل الرجلين مع الكعبين، فوجهه ما ثبت عنه ﷺ في جميع الأحاديث الواردة في حكاية وضوئه، فأنها جميعها مصرحة بالغسل وليس في شيء منها أنه مسح إلا في روايات لا يقوم بمثلها الحجة** - وذكر بعض الأحاديث السالفة الذكر الدالة على وجوب غسل الرجلين ثم قال – وهي تفيد أن قراءة الجر إما منسوخة أو محمولة على أن الجر بالجوار وقد ذهب إلى هذا الجمهور......وقالت الإمامية: الواجب مسحها...... **ولم يحتج من قال بوجوب المسح إلا بقراءة الجر، وهي لا تدل على أن المسح متعين؛ لأن القراءة الأخرى ثابتة بلا خلاف، بل غاية ما تدل عليه هذه القراءة هو التخيير، لو لم يرد عن النبي ﷺ ما يوجب الاقتصار على الغسل**) الدراري المضية (٤٢-٤٣) و (..... **والرسول ﷺ قد بين للأمة أن المفروض عليهم هو غسل الرجلين لا مسحها، فتواترت الأحاديث عن الصحابة في حكاية وضوئه ﷺ، وكلها مُصرِّحة بالغسل، ولم يأت في شيء منها المسح إلا في مسح الخفين... فإن كانت الآية مجملة**

---

(٥٣) من حديث رفاعة بن رافع رواه أبو داود كتاب الصلاة باب صلاة من لا يقيم صلبه في الركوع والسجود ح (٨٥٨)، والترمذي في كتاب مواقيت الصلاة باب ما جاء في وصف الصلاة ح (٣٠٢) وقد صححه الألباني في صحيح الترمذي، وهو بمعناه في صحيح أبي داود رقم (٧٦٤).

في الرجلين باعتبار احتمالها للغسل والمسح، فالواجب الغسل؛ بما وقع منه ﷺ من البيان المستمر جميع عمره، وإن كان ذلك لا يوجب الإجمال، فقد ورد في السنة الأمر بالغسل ورودًا ظاهرًا - ثم ساق الأدلة الدالة على الغسل من السنة -) وبل الغمام (١/ ١١٥-١٢١).

والرافضة مع خلافهم للنصوص المصرحة بوجوب غسل الرجلين يخالفون مخالفة أخرى في مراد الله بالكعبين في قوله سبحانه: ﴿وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ﴾.

قال الإمام الشوكاني: قوله: ﴿إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ﴾ **هما العظمان النابتان بين مفصل الساق والقدم باتفاق العلماء ما عدا الإمامية**[٥٤] ومحمد بن الحسن. قال النووي: ولا يصح عنه. نيل الأوطار (١/ ١/ ١٢٤).

٦) الرافضة وإنكار المسح على الخفين.

قال - رحمه الله -: (وأما المسح على الخفين فهو ثابت بالأحاديث المتواترة.) فتح القدير تفسير آية المائدة ٦ .

عن جرير ﷺ: «**أنه بال ثم توضأ ومسح على خفيه فقيل له: تفعل هكذا قال: نعم رأيت رسول الله ﷺ بال ثم توضأ ومسح على خفيه**». قال إبراهيم: فكان يعجبهم هذا الحديث لأن إسلام جرير كان بعد نزول المائدة.متفق عليه [٥٥].

ورواه أبو داود وزاد: فقال جرير لما سُئل هل كان ذلك قبل المائدة أو بعدها: ما أسلمت إلا بعد المائدة. وكذلك رواه الترمذي من طريق شهر بن

---

(٥٤) قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (وما تقوله الإمامية من أن الفرض مسح الرجلين إلى الكعبين اللذين هما مجتمع الساق والقدم عند معقد الشِّراك، أمر لا يدل عليه القرآن بوجه من الوجوه، ولا فيه عن النبي ﷺ حديث يُعرف، ولا هو معروف عن سلف الأمة، بل هم مخالفون للقرآن والسنة المتواترة، ولإجماع السابقين الأولين والتابعين لهم بإحسان) منهاج السنة (٤/ ١٧٧)

(٥٥) رواه البخاري كتاب الصلاة باب الصلاة في الخفاف ح (٣٨٧)، ومسلم كتاب الطهارة باب المسح على الخفين ح (٢٧٢)

حوشب قال: فقلت له: أقبل المائدة أم بعدها؟ فقال جرير: ما أسلمت إلا بعد المائدة[٥٦]. وعند الطبراني من رواية محمد بن سيرين عن جرير أنه كان في حجة الوداع.

قال الترمذي: هذا حديث مفسر لأن بعض من أنكر المسح على الخفين تأول مسح النبي ﷺ على الخفين أنه كان قبل نزول آية الوضوء التي في المائدة، فيكون منسوخًا والحديث يدل على مشروعية المسح على الخفين. وقد نقل ابن المنذر عن ابن المبارك قال: ليس في المسح على الخفين عن الصحابة اختلاف لأن كل من روى عنه منهم إنكاره فقد روى عنه إثباته[٥٧]..........

قال ابن المنذر: اختلف العلماء أيهما أفضل المسح على الخفين أو نزعهما وغسل القدمين، والذي أختاره أن المسح أفضل لأجل من طعن فيه من أهل البدع من الخوارج والروافض قال: وإحياء ما طعن فيه المخالفون من السنن أفضل من تركه انتهى.

قال النووي في شرح مسلم: وقد روى المسح على الخفين خلائق لا يحصون من الصحابة. قال الحسن: حدثني سبعون من أصحاب رسول الله ﷺ أن رسول الله ﷺ كان يمسح على الخفين أخرجه عنه ابن أبي شيبة قال الحافظ في الفتح: وقد صرح جمع من الحفاظ بأن المسح على الخفين متواتر وجمع بعضهم رواته فجاوزوا الثمانين منهم العشرة.

وقال الإمام أحمد: فيه أربعون حديثا عن الصحابة مرفوعة، وقال ابن أبي حاتم: فيه عن أحد وأربعين. وقال ابن عبد البر في الاستذكار: روى عن النبي ﷺ المسح على الخفين نحو أربعين من الصحابة، وذكر أبو القاسم ابن منده أسماء من

---

(٥٦) أبو داود كتاب الطهارة باب المسح على الخفين ح (١٥٤) الترمذي كتاب الطهارة باب المسح على الخفين ح (٩٤) وهو في صحيح أبي داود رقم (١٤٠)، وصحيح الترمذي.

(٥٧) وانظر في تحقيق الروايات الواردة عن الصحابة في هذه المسألة كتاب أحكام المسح على الحائل من خف وعمامة وجبيرة للشيخ أبي عمر دبيان الدبيان - حفظه الله.

رواه في تذكرته فكانوا ثمانين صحابيا. وذكر الترمذي والبيهقي في سننهما منهم جماعة وقد نسب القول بمسح الخفين إلى جميع الصحابة كما تقدم عن ابن المبارك.

وما روي عن عائشة وابن عباس، وأبي هريرة من إنكار المسح فقال ابن عبد البر: لا يثبت. قال أحمد: لا يصح حديث أبي هريرة في إنكار المسح وهو باطل. وقد روى الدارقطني عن عائشة: القول بالمسح وما أخرجه ابن أبي شيبة عن علي أنه قال: سبق الكتاب الخفين فهو منقطع

وقد روى عنه مسلم والنسائي: القول به بعد موت النبي ﷺ(٥٨) وما روي عن عائشة أنها قالت: لأن أقطع رجلي أحب إلي من أن أمسح عليهما ففيه محمد بن مهاجر قال ابن حبان: كان يضع الحديث.

وأما القصة التي ساقها الأمير الحسين في الشفاء وفيها المراجعة الطويلة بين علي وعمر واستشهاد علي الاثنين وعشرين من الصحابة فشهدوا بأن المسح كان قبل المائدة فقال ابن بهران: لم أر هذه القصة في شيء من كتب الحديث ويدل لعدم صحتها عند أئمتنا أن الإمام المهدي نسب القول بمسح الخفين في البحر إلى عليٍّ عليه السلام.

(٥٨) روى الإمام مسلم كتاب الطهارة باب التوقيت في المسح على الخفين ح (٢٧٦)، من حديث شريح بن هاني قال: أتيت عائشة أسألها عن المسح على الخفين فقالت عليك بابن أبي طالب فسله فإنه كان يسافر مع رسول الله ﷺ فسألناه فقال: جعل رسول الله ﷺ ثلاثة ولياليهن للمسافر ويومًا وليلة للمقيم.

شبهة المخالفين والرد عليها

قال الشوكاني: وذهبت العترة جميعًا[٥٩] والإمامية والخوارج وأبو بكر بن داود الظاهري إلى أنه لا يجزئ المسح عن غسل الرجلين واستدلوا بآية المائدة وبقوله ﷺ لمن علمه: «**واغسل رجلك**»[٦٠] ولم يذكر المسح وقوله بعد غسلهما: «**لا يقبل الله الصلاة من دونه**» وقوله: «**ويل للأعقاب من النار**» قالوا: والأخبار بمسح الخفين منسوخة بالمائدة. وأجيب عن ذلك أما الآية فقد ثبت عنه ﷺ المسح بعدها كما في حديث جرير المذكور في الباب، وأما حديث «**واغسل رجلك**» فغاية ما فيه الأمر بالغسل وليس فيه ما يشعر بالقصر ولو سلم وجود ما يدل على ذلك لكان مُخَصَّصًا بأحاديث المسح المتواترة، وأما حديث «**لا يقبل الله الصلاة بدونه**» فلا ينتهض للاحتجاج به فكيف يصلح لمعارضة الأحاديث المتواترة مع أننا لم نجده بهذا اللفظ من وجه يعتد به؟ وأما حديث «**ويل للأعقاب من النار**» فهو وعيد لمن مسح رجليه ولم يغسلهما ولم يرد في مسح الخفين.

فإن قلت: هو عام فلا يقصر على السبب قلت: لا نسلم شموله لمن مسح على الخفين فإنه يدع رجله كلها ولا يدع العقب فقط، فأحاديث المسح على الخفين مخصِّصة للماسح من ذلك الوعيد. وأما دعوى النسخ فالجواب أن الآية عامة مطلقًا باعتبار حالتي لبس الخف وعدمه فتكون أحاديث الخفين مخصصة أو مقيدة فلا نسخ. وقد تقرر في الأصول رجحان القول ببناء العام على الخاص مطلقًا. وأما من يذهب إلى أن العام المتأخر ناسخ فلا يتم له ذلك إلا بعد تصحيح

---

(٥٩) نسبة هذا القول إلى العترة جميعًا منقوض أولًا بأن المسح على الخفين ثابت عن إمام العترة بل سيد الخلق أجمعين ﷺ ويكفي ذلك في التدليل لهذه المسألة لمن أنار الله بصيرته بالحق وإذا ثبت الدليل فلا عبرة بقول أحد، ثم إن المسح على الخفين ثابت عن سيد من سادات العترة وهو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وقد سبق في التعليق السابق أنه من القائلين بالمسح على الخفين.

(٦٠) لم أجده فالله أعلم.

تأخر الآية وعدم وقوع المسح بعدها وحديث جرير نص من مواضع النـزاع، والقدح في جرير بأنه فارق عليًا ممنوع فإنه لم يفارقه وإنما احتبس عنه بعد إرساله إلى معاوية لأعذار. على أنه قد نقل الإمام الحافظ محمد بن إبراهيم الوزير الإجماع على قبول رواية فاسق التأويل في عواصمه وقواصمه من عشر طرق ونقل الإجماع أيضا من طرق أكابر أئمة الآل وأتباعهم على قبول رواية الصحابة قبل الفتنة وبعدها فالاسترواح إلى الخلوص عن أحاديث المسح بالقدح في ذلك الصحابي الجليل بذلك الأمر مما لم يقل به أحد من العترة وأتباعهم وسائر علماء الإسلام.

.... واعلم أن في المقام مانعًا من دعوى النسخ لم يتنبه له أحد فيما علمت وهو أن الوضوء ثابت قبل نزول المائدة بالاتفاق فإن كان المسح على الخفين ثابتًا قبل نزولها فورودها بتقرير أحد الأمرين أعني الغسل مع عدم التعرض للآخر وهو المسح لا يوجب نسخ المسح على الخفين لا سيما إذا صح ما قاله البعض من أن قراءة الجر في قوله في الآية: ﴿وَأَرْجُلَكُمْ﴾ مراد بها مسح الخفين وأما إذا كان المسح غير ثابت قبل نزولها فلا نسخ بالقطع نعم يمكن أن يقال على التقدير الأول أن الأمر بالغسل نهي عن ضده والمسح على الخفين من أضداد الغسل المأمور به لكن كون الأمر بالشيء نهيًا عن ضده محل نزاع، واختلاف وكذلك كون المسح على الخفين ضدا للغسل وما كان بهذه المثابة حقيق بأن لا يعول عليه لا سيما في إبطال مثل هذه السنة التي سطعت أنوار شموسها في سماء الشريعة المطهرة والعقبة الكئود في هذه المسألة نسبة القول بعدم إجزاء المسح على الخفين إلى جميع العترة المطهرة كما فعله الإمام المهدي في البحر، ولكنه يهون الخطب بأن إمامهم، وسيدهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب من القائلين بالمسح على الخفين، وأيضا هو إجماع ظني وقد صرح جماعة من الأئمة منهم الإمام يحيى بن حمزة بأنها تجوز مخالفته. وأيضا فالحجة إجماع جميعهم وقد تفرقوا في البسيطة وسكنوا الأقاليم المتباعدة وتمذهب كل واحد منهم بمذهب أهل بلده

فمعرفة إجماعهم في جانب التعذر. وأيضا لا يخفى على المنصف ما ورد على إجماع الأمة من الإيرادات التي لا يكاد ينتهض معها للحجية بعد تسليم إمكانه ووقوعه. وانتفاء حجية الأعم يستلزم انتفاء حجية الأخص. نيل الأوطار (١/ ١/ ١٧٦-١٨٧).

وقال - رحمه الله -: (وأما إن للمتوضئ أن يمسح على خفيه فوجهه ما ثبت تواترًا عن النبي ﷺ من فعله وقوله،........ وقد ثبت في الصحيح من حديث جرير أنه ﷺ مسح على الخفين وإسلام جرير كان بعد نزول المائدة لأن آية المائدة نزلت في غزوة المريسيع وقد روى المغيرة عن النبي ﷺ المسح على الخفين[٦١] وأنه فعل ذلك في غزوة تبوك، وتبوك متأخرة على المريسيع بالاتفاق. وقد ذكر البزار أن حديث المغيرة هذا رواه عنه ستون رجلًا ،وبالجملة فمشروعية المسح على الخفين أظهر من أن نطول الكلام عليها ولكنه لما كثر الخلاف فيها وطال النـزاع اشتغل الناس بها حتى جعلها بعض أهل العلم من مسائل الاعتقاد) الدراري المضية (٤٣، ٤٤).

٧) صلاة المغرب عند الرافضة.

(وعن عقبة بن عامر ﷺ: أن النبي ﷺقال: «**لا تزال أمتي بخير - أو على الفطرة - ما لم يؤخروا المغرب حتى تشتبك النجوم**» رواه أحمد وأبو داود[٦٢]........

والحديث يدل على استحباب المبادرة بصلاة المغرب وكراهة تأخيرها إلى

---

(٦١) حديث المغيرة رواه البخاري كتاب المغازي باب ٨١ ح (٤٤٢١)، ومسلم كتاب الصلاة باب تقديم الجماعة من يصلي بهم إذا تأخر الإمام ولم يخافوا مفسدة بالتقدم.

(٦٢) رواه أحمد في المسند من حديث أبي أيوب الأنصاري ﷺ ح (٢٣٥٨٢) و(٢٣٥٣٤)، ومن حديث عقبة بن عامر الجهني ﷺ ح (١٧٣٢٩)، وهو في سنن أبي داود كتاب الصلاة باب وقت المغرب ح (٤١٨)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود رقم (٤٠٣)، من حديث أبي أيوب أنه قال لعقبة بن عامر أما سمعت رسول الله ﷺ يقول.....).

اشتباك النجوم **وقد عكست الروافض القضية فجعلت تأخير صلاة المغرب إلى اشتباك النجوم مستحبًا والحديث يرده.**

قال النووي في شرح مسلم: إن تعجيل المغرب عقيب غروب الشمس مجمع عليه قال: وقد حكي عن الشيعة فيه شيء لا التفات إليه ولا أصل له، وأما الأحاديث الواردة في تأخير المغرب إلى قرب سقوط الشفق فكانت لبيان جواز التأخير وقد سبق إيضاح ذلك؛ لأنها كانت جوابًا للسائل عن الوقت، وأحاديث التعجيل المذكورة في هذا الباب وغيره إخبار عن عادة رسول الله ﷺ المتكررة التي واظب عليها إلا لعذر فالاعتماد عليها) نيل الأوطار (١م/ ج٢/ ٣).

(والعجب من استدلال الجلال للرافضة في قولهم بتأخير صلاة المغرب حتى تشتبك النجوم لحديث «**لَا حَتَّى يَطْلُعَ الشَّاهِدُ**»[٦٣] والشاهد النجم، ثم تكميل هذا الاحتجاج الساقط بقوله: ولام النجم للاستغراق، فيا لله العجب! من وقوع هذا المحقِّق في مثل هذه المضايق التي يتحاشى كلُّ عارف أن يقع في مثلها. وذهب أن قول: «**والشاهد النجم**» ليس بمدرج وأنه من كلام النبوة فكيف يحمل على الاستغراق ؟ فيكون مدلولُه أن تطلع نجوم السماء كلها حتى لا يبقى نجمٌ، وهكذا لو قال قائل لآخر: لا أكرمك حتى يأتي الرجل وهو غير مريد لرجل بعينه كان مدلوله- على ما زعم الجلال - امتناع الإكرام حتى يأتي كل رجل في الدنيا. فأي فهم يسبق إلى مثل هذا أو أي علم يدل عليه ويستفاد منه وقد بالغ النبي ﷺ في تعجيل صلاة المغرب حتى صلوها في يومي التعلم في وقت واحد عند غروب الشمس» «**وكانوا يفرغون منها بعد رسول الله ﷺمع طول القراءة وإن الرجل ليبصر مواقع نبله**» كما دلت على ذلك الأحاديث الصحيحة

(٦٣) عن أبي بصرة الغفاري قال: صلى بنا النبي صلاة العصر بالمخمَّص فقال إن هذه الصلاة عرضت على من كان قبلكم فضيعوها فمن حافظ عليها كان له أجره مرتين ولا صلاة بعدها حتى يطلع الشاهد والشاهد النجم) رواه مسلم كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب الأوقات التي نهي عن الصلاة فيها ح (٨٣٠).

وقال: « **لَا تَزَالُ أُمَّتِي بِخَيرٍ أَو عَلَى الفِطْرَةِ مَا لَمْ يُؤَخِّرُوا المَغْرِبَ حَتَّى تَشْتَبِكَ النُّجُومُ** » وهو حديث صحيح أخرجه أحمد، وأبو داود، والحاكم في المستدرك ورجال إسناده ثقات، وابن إسحق قد صرح بالتحديث فيه. وأخرج ابن ماجه والحاكم وابن خزيمة في صحيحه هذا الحديث من حديث العباس ابن عبد المطلب بلفظ « **لَا تَزَالُ أُمَّتِي عَلَى الفِطْرَةِ مَا لَمْ يُؤَخِّرُوا المَغْرِبَ حَتَّى تَشْتَبِكَ النُّجُومُ**»(٦٤).

ثم أعجب من هذا أن الجلال - رحمه الله - استدل على استحباب تأخير الصلاة للمغرب بما ورد من أحاديث تأخيره إذا حضر الطعام، فيا لله العجب أي دليل في هذا!؟ فإن العلة التي صرح الشارع بتأخيرها لها: حضور الطعام، ولم يكن ذلك خاصًا بالمغرب بل ورد في جميع الصلوات كما في الحديث الثابت في الصحيح بلفظ: «**لَا صَلَاةَ بِحَضْرَةِ طَعَامٍ**»(٦٥)وحاشا مثله أن يوقعه حب الروافض في مثل هذا التعسف الذي لا يخفى على من له أدنى عرفان، ومن الروافض حتى يَتبرَّع بمذهبهم الباطل بما هو من الباطل ؟ وما كلامهم في هذه المسألة بأول عناد عاندوا به الشريعة فإنهم يخالفون كل السنن ويدافعون كل حق) السيل الجرار (١/ ٤٢٠-٤٢٢).

٨) ترك بعض سنن الصلاة هو معيار التشيع في ديارنا اليمنية.

قال - رحمه الله -: (وبالجملة فالمصنفون في الفروع في هذه الديار جعلوا رواتب الفرائض ركعتين بعد الظهر وركعتين بعد المغرب وركعتين قبل الفجر ولا راتبة عندهم سوى هذه، **ولا موجب إلا عدم الإشراف على كتب السنة وهجرها بالمرة وجعلها من كتب الخصوم، وليسوا بخصوم لأحد من أهل**

---

(٦٤) رواه ابن ماجه في كتاب الصلاة باب صلاة المغرب ح (٦٨٩)، وهو في صحيح الجامع رقم (٧٢٨٥).

(٦٥) رواه مسلم كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب كراهة الصلاة بحضرة الطعام الذي يريد أكله في الحال وكراهة الصلاة مع مدافعة الأخبثين ح (٥٦٠) من حديث أم المؤمنين عائشة.

الإسلام بل هم الجامعون لسنة رسول الله ﷺ فإن كانوا خصومًا بهذا العمل فالويل لمن كانوا خصومه) السيل الجرار (١/ ٤١٤).

وقال - رحمه الله - بعد ذكره الأبيات سالفة الذكر

تَشَيُّعُ الأقوامِ فـي عصرنـا ... منحصر في أربع من البدع

عـداوة السُّنـة والثلـب للـ ... أسلاف والجَمْع وترك الجُمَع[٦٦]

(وأما معيار التشيع في ديارنا هذه عند جماعة من الزيدية لا عند جميعهم فيزيدون على هذه الأربع خامسة وهي التظهر بترك بعض من سنن الصلاة كالرفع والضم[٦٧] فإن أهل الطبقة التي ذكرنا لك أنها أصل الشر إذا رأوا من يفعل الرفع والضم **ونحوهما كالتوجه في الصلاة بعد التكبيرة والتورّك في التشهد الأخير والدعاء في الصلاة بغير ما قد عرفوه**، عادوه عداوة أشد من عداوتهم لليهود والنصارى، وظنوا أنه على شريعة أخرى وعلى دين غير دين الإسلام، وأوقعوا في أذهان العوام أنه ناصبي، فانتقلوا من فعله لهذه السنن أو أحدها إلى النصب الذي هو بغض عليّ وحكموا عليه حكمًا جازمًا، فانظر هذا الصنيع الشنيع الذي هو شبيه بلعب الصبيان.

ومما أحكيه لك: إني أدركت في أوائل أيام طلبي رجلًا يقال له الفقيه صالح النهمي، وقد اشتهر في الناس بالعلم والزهد وطلب علوم الاجتهاد طلبًا

---

(٦٦) قال الشجني - رحمه الله - تلميذ الإمام الشوكاني معلقًا على هذين البيتين: أشار بهذا إلى حصر بدع لجماعة من عوام الروافض وربما زلق بعض العارفين من الشيعة فيقع في مثل ما وقع فيه الجهال...) التقصار ص (٢٣٠).

(٦٧) قال الإمام الشوكاني - رحمه الله - في حديث: (صليت مع النبي ﷺ، ومع أبي بكر وعمر، فلم يكونوا يرفعون أيديهم إلا عند افتتاح الصلاة) رواه الحاكم عن ابن مسعود مرفوعًا، وهو موضوع...... قال النووي في الخلاصة: اتفقوا على تضعيف هذا الحديث. انتهى، وقد عارضه أحاديث متواترة عن نحو عشرين صحابيًا، والمثبت مقدم على النافي، على فرض صلاحية هذا الحديث للاعتبار، فكيف وهو كما ترى ؟. الفوائد المجموعة (٤٦).

قويًا فأدركها إدراكًا جيدًا، فرفع يديه في بعض الصلوات، ورآه يفعل ذلك بعض المدرسين في علم الفقه المشهورين بالتحقيق فيه والإتقان له، فقال: اليوم ارتد الفقيه صالح. فانظر هذه الكلمة من مثل هذا مع شهرته في الناس واجتماع كثير من طلبة علم الفروع عليه في جامع صنعاء، وشيبه الناصع وثيابه الحسنة، كيف موقعها في قلوب العامة وما تراهم يعتقدون في الفاعل لذلك بعد هذا، فأبعد الله هذا عالمًا وذهب به علمًا، وإن كان لا عالم ولا علم، فإن من لا يعقل الحجة ولا يفهم إلا مجرد الرأي لا الرواية ليس من العلم في شيء، ولا يستحق الدخول في باب من أبوابه، ولا ينبغي وصفه بشيء من صفاته.

فيا هذا لا حياك الله أيكون فعل سنة الرفع التي اجتمع على روايتها عن رسول الله ﷺ العشرة المبشرة بالجنة ومعهم زيادة على أربعين صحابيًا، ردة وكفرًا وخروجًا عن الملة الإسلامية؟! أتدري ما صنعت بنفسك يا جاهل ؟! عمدت إلى سنة من السنن الثابتة ثبوتًا متواترًا فتركتها، ولم تقنع لمجرد إنكار ثبوتها بل جاوزت ذلك إلى أن جعلتها ردة، فجنيت على صاحب الشريعة أولاً، ثم على كل مسلم يفعل هذه السنة ثانيًا، ثم على نفسك ثالثًا، فخبت وخسرت وخبطت خبطًا ليس من شأن من هو مثلك من أسراء التقليد وأتباع التعصب وكفرت عالمًا من علماء المسلمين، يفعل سنة من سنن سيد المرسلين، فمالك وهذا وأنت تعترف على نفسك أنك لا تعرف الحق ولا تعقل الصواب في مسائل الطهارة والتخلي والوضوء والصلاة، فكيف قمت هاهنا مقام تكفير المسلمين والحكم عليهم بصراحة الردة، جازمًا بذلك متحدثًا به مطمئنًا إليه؟ فما أوجب إنكار هذا المنكر على أئمة المسلمين وأولي الأمر منهم، فإن التنكيل بهذا المتكلم بمثل هذا الكلام بالحبس وسائر أنواع التعزير التي تردعه وتردع أمثاله من أهل التعصب عن انتهاك أعراض المسلمين والتلاعب بعلماء الدين من أعظم ما يتقرب به

المتقربون، وأفضل ما يفعله من ولاه الله من أمر عباده شيئًا، فإن غالب ما يصدر من هؤلاء المتعصبة من تمزيق أعراض علماء الدين المتمسكين بالسنن الصحيحة الثابتة في هذه الشريعة هو راجع إلى الطعن على الشريعة والرد لما جاءت به، وتقليب السنن بدعًا، والبدع سننًا، والأخذ على أيدي هؤلاء حتى يدعوا ما ليس من شأنهم، ويقلعوا عن غوايتهم، ويقصروا عن ضلالتهم، واجب على كل مسلم، وإذا لم تتناول أدلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مثل هذا لم تتناول غيره.) أدب الطلب (١٣٧- ١٣٩).

وذكر – رحمه الله – ما أثبتته السنة الصحيحة عن رسول الله ﷺ من رفع الأيدي عند افتتاح الصلاة، وعند الركوع وعند الاعتدال منه وعند القيام من التشهد الأوسط، وضم اليمنى على اليسرى حال القيام. ثم قال: (ولم يعارض هذه السنن معارض، ولا قدح أحد من أهل العلم بالحديث في شيء منها، ومن الغرائب أنها صارت في هذه الديار وهذه الأعصار عند العامة ومن يشابههم، فمن يظن أنه قد ارتفع عن طبقتهم من أعظم المنكرات، **حتى أن المتمسك بها يصير في اعتقاد كثير في عداد الخارجين عن الدين المناصبين لأهل البيت المطهرين**، فترى الأخ يعادي أخاه، والوالد يفارق ولده إذا رآه يفعل واحدة منها، وكأنه صار متمسكًا بدين آخر ومنتقلًا إلى شريعة غير الشريعة التي كان عليها، ولو رآه يزني أو يشرب الخمر ويقتل النفس أو يعُقّ أحد أبويه أو يشهد الزور أو يحلف الفجور؛ لم يجر بينه وبينه من العداوة ما يجري بينه وبينه بسبب التمسك بهذه السنن أو بعضها، لا جرم هذه علامات آخر الزمان، ودلائل حضور القيامة وقرب الساعة، والله المستعان. وأعجب من فعل العامة الجهلة وأغرب سكوت علماء الدين وأئمة المسلمين عن الإنكار على من جعل المعروف منكرًا والمنكر معروفًا، وتلاعب بالدين وبسنة سيد المرسلين). وبل الغمام (١/ ٢٩٠-٢٩١).

٩) الرافضة وقولهم بعدم صحة السجود على غير ما لم يكن أصله من الأرض[٦٨].

(وفي الباب عن أنس بن مالك عند البخاري ومسلم والنسائي والترمذي وصححه وابن ماجه بلفظ كان يقول ﷺ لأخ لي صغير يا عمير ما فعل النغير، قال: ونضح بساطًا لنا فصلى عليه[٦٩]..... قوله بساط بكسر الباء جمعه بسط بضمها وتسكين السين وضمها وهو ما يبسط أي يفرش..... **ومنعت الإمامية صحة السجود على ما لم يكن أصله من الأرض**). نيل الأوطار (م١/ ج٢/ ١٢٧) و(**أما الإمامية وإن كانوا ليسوا بأهل للكلام معهم فمنعوا من صحة الصلاة على ما لم يكن أصله من الأرض**). السيل الجرار (١/ ٣٨٤).

---

(٦٨) قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (والرافضة يمنعون من السجود على غير الأرض) منهاج السنة (٤/ ١٥١)، (يرى الشيعة عدم جواز السجود على ما ليس من الأرض كالجلود والأصواف ويجيزونه عليها وعلى نباتها غير المأكول والملبوس عادة، عدا الكتان والقطن ففيه خلاف. وهم كذلك يرون أفضلية السجود على التربة الحسينية، ولذا يضعون في مساجدهم قطعًا من هذه التربة معدة للسجود عليها، يضعونها تحت الجبهة، كما يحمل الكثيرون مثل هذه القطع) مع الشيعة الاثنى عشرية في الأصول والفروع (٤/ ١٢٥-١٢٨) ومن غلو الرافضة في التربة الحسينية بل في تربة كربلاء بشكل عام ما قاله إمامهم محمد آل كاشف الغطاء في كتابه (الأرض والتربة الحسينية) ومما ذكره هذا البيت:

ومن حديث كربلا لكربلا بان علو الرتبة

وقال: اتفق علماء الإمامية وتضافرت الأخبار بحرمة أكل الطين إلا من تربة قبر الحسين عليه السلام، بآداب مخصوصة وبمقدار معين، ونسب إلى الإمام الصادق أنه قال: السجود على طين قبر الحسين ينور الأرضين السبع، ومن كانت معه سبحه من طين قبر الحسين كُتب مسبحًا وإن لم يُسبح) انظر مع الشيعة (٤/ ٩٤-٩٦).

(٦٩) رواه البخاري في كتاب الأدب باب الكنية للصبي وقبل أن يولد للرجل ح (٦٢٠٣)، ومسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب جواز الجماعة في النافلة والصلاة على حصير وخمرة وثوب وغيرها من الطاهرات ح (٦٥٨- ٦٥٩).

١٠) تأخير الرافضة للإفطار.

(عن سهل بن سعد أن النبي ﷺ قال: «**لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر**» متفق عليه[٧٠] وعن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «**يقول الله عز وجل إن أحب عبادي إليَّ أعجلهم فطرًا**». رواه أحمد والترمذي[٧١]..... أيضًا في تأخيره تشبه باليهود فإنهم يفطرون عند ظهور النجوم وقد كان الشارع يأمر بمخالفتهم في أفعالهم وأقوالهم، واتفق العلماء على أن محل ذلك إذا تحقق غروب الشمس بالرؤية أو بإخبار عدلين أو عدل. وقد صرح الحديث القدسي بأن معجل الإفطار أحب عباد الله إليه **فلا يرغب عن الاتصاف بهذه الصفة إلا من كان حظه من الدين قليلًا كما تفعله الرافضة**) نيل الأوطار (م٢/ ج٤/ ٢٢٠).

---

(٧٠) رواه البخاري في كتاب الصوم باب تعجيل الإفطار ح (١٩٥٧)، ومسلم في كتاب الصيام باب فضل السحور وتأكيد استحبابه واستحباب تأخيره وتعجيل الفطر ح (١٠٩٨)

(٧١) رواه الترمذي في كتاب الصوم باب ما جاء في تعجيل الإفطار ح(٧٠٠)، وهو في ضعيف الجامع رقم (٤٠٤١)

بـاب

في بيان فضل الصحابة[٧٢] وموقف الرافضة منهم ودفاع الشوكاني عنهم

ألف الإمام الشوكاني كتابًا مستقلًا في بيان فضل الصحابة الكرام - رضي الله عنهم – قال في مقدمته: (يا مالك يوم الدين، إياك نعبد وإياك نستعين لا أحصي ثناءً عليك، أنت كما أثنيت على نفسك، وأسألك أن تصلي وتسلم على رسولك الذي اصطفيته من بريتك، وختمت به رسلك، وجعلت له السعادة الكبرى على ولد آدم على العموم، وخصصته بالشفاعة العظمى في يوم الجمع الأكبر، وموقف الفصل الأعظم، وعلى آله الأجلة، وصحبه نجوم الملة، وبعد: فإنه لما كان للصحب الكرام، والآل العظام، من المزايا ما تكلُّ دونه الأقلام، على العموم والخصوص، من الظواهر والنصوص، أحببت إيراد طرف منها لإيقاظ من كان غافلًا عنها، وإن كان ذلك من إيضاح الواضح وتبيين الجلي، كما قيل:

وصِفَاتُ ضَوْءِ الشَّمْسِ تَذْهَبُ باطِلَا

لكن الأمر كما قيل:

لعـلّ لـهُ عـذرًا وأنـتَ تلـومُ

وقد جعلت ذلك منحصرًا في خمسة أبواب:

الأول: في المناقب العامة لهم جميعًا، أو لطائفة كثيرة منهم، كالأنصار، وأهل بدر، وأهل بيعة الشجرة.

---

(٧٢) قال الإمام الشوكاني رحمه الله في بيان معنى الصحابي (ذهب الجمهور إلى أنه من لقي النبي ﷺ مؤمنًا به ولو ساعة سواء روى عنه أم لا، وقيل هو من طالت صحبته وروى عنه فلا يستحق اسم الصحبة إلا من يجمع بينهما، وقيل هو من ثبت له أحدهما إما طول الصحبة أو الرواية والحق ما ذهب إليه الجمهور) إرشاد الفحول (١٢٩)

الثاني: في مناقب العشرة المبشرة بالجنة، مما يعمهم أو يخصُّ كل واحد منهم، أو يخص بعضًا منهم دون بعض، أو يشتمل على جماعة منهم ومن غيرهم.

الثالث: في مناقب أهل البيت عمومًا وخصوصًا، ذكورهم وإناثهم.

الرابع: في مناقب كل فرد من غير العشرة من الصحابة عمومًا.

الخامس: في مناقب التابعين وسائر الأمة على الخصوص والعموم.

وقد سميت هذا المختصر «**در السحابة في مناقب القرابة والصحابة**». والله المسئول أن ينفع به من شاء من عباده الصالحين، ويجعله لي ذخيرة خير، بحوله وطوله). در السحابة ص (١٧، ١٨).

و(للصحابة، النصيب الوافر من طاعة الله سبحانه ومن التقرب إليه بما يحبه، ولهذا صاروا خير القرون كما ثبت في الأحاديث الصحيحة المروية من وجوه كثيرة، وثبت عنه ﷺ في الصحيح من طرق كثيرة أن النبي ﷺ قال: «**لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبًا ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفه**»[٧٣]، فانظر إلى هذه المزية العظيمة، والخصيصة الكبيرة التي لم تبلغ من غيرهم إنفاق مثل الجبل الكبير من الذهب نصف المُدِّ الذي ينفقه الواحد منهم - فرضي الله عنهم وأرضاهم.

فهم أفضل أولياء الله سبحانه وأكرمهم عليه، وأعلاهم منـزلة عنده، وهم الذين عملوا بكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ. فمن جاء بعدهم ممن يقال له: إنه من الأولياء، لا يكون وليًا لله إلا إذا اتبع رسول الله ﷺ واهتدى بهديه واقتدى به في أقواله وأفعاله) قطر الولي (٢٥٤، ٢٥٥) الصحابة ﷺ (هم خير القرون وأسرع الناس إلى موجبات الأجور) النيل (م٢/ ج٣/ ٢٣٨).

(ومن لم يسعه ما وسع هؤلاء الذين هم أهل القرون الثلاثة الفاضلة على

---

(٧٣) من حديث أبي سعيد الخدري في كتاب فضائل الصحابة باب قول النبي لو كنت متخذًا خليلًا ح (٣٦٧٣)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة باب تحريم سب الصحابة ح (٤٥٤١).

ما بعدها فلا وسَّع الله عليه) السيل الجرار المقدمة ص (١٠٥) وإرشاد الفحول(٤٤٨).

وأما الامتثال للشريعة فـ(الصحابة الذين هم خير القرون، وهم أتقى لله من أن يكونوا مظنة لعدم امتثال ما قد نزل تحريمه عليهم من جهة الله سبحانه، بل مثل هذه المظنة حاصلة فيمن بعدهم من الفسقة المتمردين على محارم الله سبحانه) السيل الجرار (٣/ ٧٩٧).

(ومن الحق ما كان عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين من الهدي القويم، والخُلُق المبارك فيما يتعلق بأمر معاشهم ومعادهم، وتعاملهم، وإن كان غالب ذلك هو في الكتاب والسنة، فإنهم مُتخلِّقون بهما، متقيِّدون بما فيهما) النشر لفوائد سورة العصر ضمن الفتح الرباني (ص١٣٥٧).

ومن فضل أصحاب النبي ﷺ كمال زهدهم وعظيم ورعهم فإن الورع المحمود هو (الذي يُعدُّ الوقوف عنده زهدًا واتِّقاءً للشبهة ليس هو ترك جميع المباحات، لأنها من الحلال المطلق، بل ترك ما كان منها مدخلًا للحرام، ومَدْرَجًا للآثام..) الفتح الرباني (٢٠٧٥، ٢٠٧٦).

وقد (قال بعض السلف: إن الورع ترك مالا بأس به حذرًا مما به البأس. وقد كان السلف الصالح يأخذون من ذلك بأوفر نصيب....وبالجملة فالسلف قد كان لهم في الورع مسالك يعجز عن سلوكها الخلف) الفتح الرباني (٢٠٧١، ٢٠٧٢).

قال – رحمه الله –: (يكفي المتقي المتحري لدينه أن يؤمن بما جاءت به الشريعة إجمالًا من دون تكلُّفٍ لقائل، ولا تعسُّف لقال وقيل، وقد كان هذا المسلك القويم هو مسلك السلف الصالح من الصحابة والتابعين) الفتح الرباني ص(٢٠٨٨).

(نعم أصول الدين الذي هو عمدةُ المتقين ما في كتاب الله تعالى الذي لا

يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وما في السنة المطهرة، فإن وجدت فيهما ما يكون مختلفًا في الظاهر فليسعك ما وسع خير القرون، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، وهو الإيمان بما ورد كما ورد، ورد علم المتشابه إلى علام الغيوب، ومن لم يسعه ما وسعهم فلا وسَّعَ الله عليه.) الفتح الرباني ص (٢٠٩٠-٢٠٩١) والصحابة في هديهم (هم المرجع بعد الكتاب والسنة) الفتح الرباني (٢١٣٥).

وللصحابة من المزايا (البالغة إلى حد يقصر عنه الوصف حتى صار مثل جبل أحد من متأخري الصحابة لا يَعدِلُ المُدَّ من متقدميهم ولا نَصيفه، وصح أنهم خير القرون فكيف يلحق بهم غيرهم) الفتح الرباني ص(٢١٧٤).

(فإن قلت: ما الطريقة المنجية إذًا؟ قلت: طريقة خير القرون، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم. وهي العمل بِمحكم الكتاب والسنة، والوقوف عند مُتشابهها كما أمرك الله، من دون محاماةٍ على مذهب، فيكون مذهبك الإسلام جملة، وسلفك السلف الصالح ومُحاماتك على الكتاب والسنة. فإن كنت لهذه النصيحة أهلًا، فَعضَّ عليها بالنواجذ، فإني قد قطعت شطرًا من عمري في تحقيق الدقائق وتدقيق الحقائق، ولم أقف على منهل، فتارة أخوض معارك علم المعقول، وحينًا أُمارس دقائق فحول أئمة الأصول، وآونة أرتب البراهين وأُركب القوانين، وبعد هذا كله تراجع اختياري إلى استحسان ما إليه أرشدك، أرشدني الله وإياك) وبل الغمام (١/ ١٩٩)

وإليك بعض الآيات في بيان فضلهم ومكانتهم مع بيان تفسيرها للإمام الشوكاني. قال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا﴾ [الفتح: ٢٩].

قال الشوكاني - رحمه الله -: (﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ قيل: هم أصحاب الحديبية، والأولى الحمل على العموم..... ﴿يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ﴾ أي: يعجب هذا الزرع زارعه لقوّته وحسن منظره، وهذا مثل ضربه الله سبحانه لأصحاب النبيّ ﷺ، وأنهم يكونون في الابتداء قليلًا، ثم يزدادون ويكثرون ويقوون كالزرع، فإنه يكون في الابتداء ضعيفًا، ثم يقوى حالًا بعد حال حتى يغلظ ساقه. قال قتادة: مثل أصحاب محمد ﷺ في الإنجيل، أنه سيخرج من قوم ينبتون نبات الزرع يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ثم ذكر سبحانه علة تكثيره لأصحاب نبيه ﷺ وتقويته لهم فقال: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾ أي: كثرهم وقوّاهم، ليكونوا غيظًا للكافرين، واللام متعلقة بمحذوف، أي: فعل ذلك ليغيظ(٧٤) ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ أي: وعد سبحانه هؤلاء الذين مع محمد ﷺ أن يغفر ذنوبهم، ويجزل أجرهم بإدخالهم الجنة التي هي أكبر نعمة وأعظم منّة اهـ.

وقال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ قال الإمام الشوكاني: (كان قيل: هي التامة، أي: وجدتم، وخلقتم خير أمة، ومثله ما أنشده سيبويه:

وَجِيرانٍ لَنا كانُوا كِرام...

ومنه قوله تعالى: ﴿قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ [مريم: ٢٩] وقوله: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ﴾ [الأعراف: ٨٦].... وقيل: معناه: كنتم في اللوح المحفوظ، وقيل: كنتم منذ آمنتم. وفيه دليل على أن هذه الأمة الإسلامية خير الأمم على الإطلاق، وأن هذه الخيرية مشتركة ما بين

---

(٧٤) قال القرطبي في تفسير الآية: فقال مالك: من أصبح من الناس في قلبه غيظ على أحد من أصحاب رسول الله ﷺ فقد أصابته هذه الآية، ذكره الخطيب أبو بكر. قلت: لقد أحسن مالك في مقالته وأصاب في تأويله. فمن نقص واحدًا منهم أو طعن عليه في روايته فقد رد على الله رب العالمين، وأبطل شرائع المسلمين. تفسير القرطبي (١٦/ ٢٧٩) ط دار الفكر.

أول هذه الأمة، وآخرها بالنسبة إلى غيرها من الأمم، وإن كانت متفاضلة في ذات بينها. كما ورد في فضل الصحابة على غيرهم).

وقال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

قال الشوكاني - رحمه الله -: (وفي الآية تفضيل السابقين الأوّلين من المهاجرين والأنصار، وهم الذين صلوا القبلتين في قول سعيد بن المسيب وطائفة، أو الذين شهدوا بيعة الرضوان. وهي بيعة الحديبية في قول الشعبي، أو أهل بدر في قول محمد بن كعب، وعطاء بن يسار، **ولا مانع من حمل الآية على هذه الأصناف كلها**، قال أبو منصور البغدادي: أصحابنا مجمعون على أن أفضلهم الخلفاء الأربعة، ثم الستة الباقون، ثم البدريون؛ ثم أصحاب أحد، ثم أهل بيعة الرضوان بالحديبية...... ومعنى ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ﴾: **الذين اتبعوا السابقين الأوّلين من المهاجرين والأنصار، وهم المتأخرون عنهم من الصحابة فمن بعدهم إلى يوم القيامة**، وليس المراد بهم التابعين اصطلاحًا، وهم كل من أدرك الصحابة ولم يدرك النبي ﷺ، بل هم من جملة من يدخل تحت الآية، فتكون «من» في قوله: ﴿مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ﴾ على هذا للتبعيض، وقيل: إنها للبيان، فيتناول المدح جميع الصحابة، ويكون المراد بالتابعين: من بعدهم من الأمة إلى يوم القيامة. وقوله: ﴿بِإِحْسَٰنٍ﴾ قيد للتابعين: **أي والذين اتبعوهم متلبسين بإحسان في الأفعال والأقوال اقتداء منهم بالسابقين الأوّلين** اهـ.

وقال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [الحديد: ١٠].

في الكلام حذف، والتقدير: لا يستوي من أنفق من قبل الفتح وقاتل ومن

أنفق من بعد الفتح وقاتل، فحذف لظهوره،.... ولدلالة ما سيأتي عليه، وإنما كانت النفقة والقتال قبل الفتح أفضل من النفقة والقتال بعد الفتح؛ لأن حاجة الناس كانت إذ ذاك أكثر، وهم أقلّ وأضعف، وتقديم الإنفاق على القتال للإيذان بفضيلة الإنفاق لما كانوا عليه من الحاجة، فإنهم كانوا يجودون بأنفسهم، ولا يجدون ما يجودون به من الأموال. والجود بالنفس أقصى غاية الجود... ﴿أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا﴾ أي: أرفع منـزلة وأعلى رتبة من الذين أنفقوا أموالهم في سبيل الله من بعد الفتح، وقاتلوا مع رسول الله ﷺ، قال عطاء: درجات الجنة تتفاضل، فالذين أنفقوا من قبل الفتح في أفضلها. قال الزجاج: لأن المتقدّمين نالهم من المشقة أكثر مما نال من بعدهم، وكانت بصائرهم أيضًا أنفذ. وقد أرشد ﷺ إلى هذه الفضيلة بقوله فيما صحّ عنه: «**لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبًا ما بلغ مُدّ أحدهم ولا نصيفه**» وهذا خطاب منه ﷺ للمتأخرين وصحبه، كما يرشد إلى ذلك السبب الذي ورد فيه هذا الحديث ﴿وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ﴾ أي: وكل واحد من الفريقين وعد الله المثوبة الحسنى، وهي الجنة مع تفاوت درجاتهم فيها. اهـ (فهذه المنقبة العظيمة كانت بين المتقدمين من الصحابة، والمتأخرين، فكيف بمن بعد الصحابة من الأمة). در السحابة (٣٩).

وقال الله سبحانه وتعالى ﴿فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [الفتح: ٢٦].

قال الإمام الشوكاني: (﴿وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾ أي: **وكان المؤمنون أحقّ بهذه الكلمة من الكفار والمستأهلين لها دونهم؛ لأن الله سبحانه أهلهم لدينه، وصحبة رسوله ﷺ**.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ

حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ٨ ـ ١٠].

قال الإمام الشوكاني: (والمراد بـ﴿ٱلْمُهَٰجِرِينَ﴾: الذين هاجروا إلى رسول الله ﷺ رغبة في الدين ونصرة له. قال قتادة: هؤلاء المهاجرون هم الذين تركوا الديار، والأموال، والأهلين، ومعنى ﴿أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ﴾: أن كفار مكة أخرجوهم منها، واضطروهم إلى الخروج، وكانوا مائة رجل ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا﴾ أي: يطلبون منه أن يتفضل عليهم بالرزق في الدنيا، وبالرضوان في الآخرة ﴿وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾ بالجهاد للكفار، وهذه الجملة معطوفة على ﴿يَبْتَغُونَ﴾،... والإشارة بقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ إليهم من حيث اتصافهم بتلك الصفات، وهو مبتدأ، وخبره: ﴿هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ **أي: الكاملون في الصدق الراسخون فيه. ثم لما فرغ من مدح المهاجرين ومدح الأنصار** فقال: ﴿تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ المراد بالدار: المدينة، وهي دار الهجرة، ومعنى تبوّئهم الدار والإيمان: أنهم اتخذوها مباءة، أي: تمكنوا منهما تمكنًا شديدًا، والتبوّأ في الأصل إنما يكون للمكان، ولكنه جعل الإيمان مثله لتمكنهم فيه تنزيلًا للحال منزلة المحل، وقيل: إن الإيمان منصوب بفعل غير الفعل المذكور، والتقدير: واعتقدوا الإيمان، أو وأخلصوا الإيمان كذا قال أبو علي الفارسي. ويجوز أن يكون على حذف مضاف، أي: تبوءوا الدار وموضع الإيمان، ويجوز أن يكون تبوّءوا مضمنًا لمعنى لزموا، والتقدير: لزموا الدار والإيمان، ومعنى ﴿مِن قَبْلِهِمْ﴾: من قبل هجرة المهاجرين، فلا بدّ من تقدير مضاف، لأن الأنصار إنما آمنوا بعد إيمان المهاجرين، والموصول مبتدأ، وخبره: ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾ وذلك لأنهم أحسنوا إلى المهاجرين، وأشركوهم في أموالهم ومساكنهم ﴿وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً﴾ أي: لا يجد الأنصار في صدورهم حسدًا، وغيظًا، وحزازة ﴿مِّمَّآ أُوتُواْ﴾ أي: مما

أوتي المهاجرون دونهم من الفيء، بل طابت أنفسهم بذلك. وفي الكلام مضاف محذوف، أي: لا يجدون في صدورهم مسّ حاجة، أو أثر حاجة، وكلّ ما يجده الإنسان في صدره مما يحتاج إليه فهو حاجة.......... ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ الإيثار: تقديم الغير على النفس في حظوظ الدنيا رغبة في حظوظ الآخرة، يقال: آثرته بكذا، أي: خصصته به، والمعنى: ويقدّمون المهاجرين على أنفسهم في حظوظ الدنيا ﴿وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ أي: حاجة وفقر، والخصاصة مأخوذة من خصاص البيت، وهي الفُرُج التي تكون فيه...... وقيل: إن الخصاصة مأخوذة من الاختصاص، وهو الانفراد بالأمر، فالخصاصة الانفراد بالحاجة، ومنه قول الشاعر:

إنَّ الربيع إذا يكون خصاصةً ... عَاشَ السَّقِيمُ بِهِ وَأَثْرَى المقترُّ

ثم لما فرغ سبحانه من الثناء على المهاجرين والأنصار، ذكر ما ينبغي أن يقوله من جاء بعدهم، فقال: ﴿وَالَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ وهم التابعون لهم بإحسان إلى يوم القيامة، وقيل: هم الذين هاجروا بعد ما قوي الإسلام، والظاهر شمول الآية لمن جاء بعد السابقين من الصحابة المتأخر إسلامهم في عصر النبوّة، ومن تبعهم من المسلمين بعد عصر النبوّة إلى يوم القيامة؛ لأنه يصدق على الكلّ أنهم جاءوا بعد المهاجرين الأوّلين والأنصار...... ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ﴾....... والمراد بالأخوّة هنا: أخوة الدّين، أمرهم الله أن يستغفروا لأنفسهم، ولمن تقدّمهم من المهاجرين والأنصار ﴿وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ أي: غشًا وبغضًا وحسدًا. **أمرهم الله سبحانه بعد الاستغفار للمهاجرين والأنصار أن يطلبوا من الله سبحانه أن ينزع من قلوبهم الغلّ للذين آمنوا على الإطلاق، فيدخل في ذلك الصحابة دخولًا أوّليًا لكونهم أشرف المؤمنين، ولكون السياق فيهم[٧٥]، فمن لم يستغفر للصحابة على**

(٧٥) قال البغوي رحمه الله: من كان في قلبه غِلّ على أحد من الصحابة ولم يترحم على جميعهم فإنه

العموم، ويطلب رضوان الله لهم، فقد خالف ما أمره الله به في هذه الآية، فإن وجد في قلبه غلًا لهم، فقد أصابه نزغ من الشيطان، وحلّ به نصيب وافر من عصيان الله بعداوة أوليائه، وخير أمة نبيه ﷺ، وانفتح له باب من الخذلان يفد به على نار جهنم إن لم يتدارك نفسه باللجأ إلى الله سبحانه، والاستغاثة به، بأن ينـزع عن قلبه ما طرقه من الغلّ لخير القرون، وأشرف هذه الأمة، فإن جاوز ما يجده من الغلّ إلى شتم أحد منهم، فقد انقاد للشيطان بزمام، ووقع في غضب الله وسخطه، وهذا الداء العضال إنما يصاب به من ابتلي بمعلم من الرافضة، أو صاحب من أعداء خير الأمة الذين تلاعب بهم الشيطان، وزين لهم الأكاذيب المختلفة، والأقاصيص المفتراة، والخرافات الموضوعة، وصرفهم عن كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه، وعن سنة رسول الله ﷺ، المنقولة إلينا بروايات الأئمة الأكابر في كل عصر من العصور، فاشتروا الضلالة بالهدى، واستبدلوا الخسران العظيم بالربح الوافر، ومازال الشيطان الرجيم ينقلهم من منـزلة إلى منـزلة، ومن رتبة إلى رتبة حتى صاروا أعداء كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وخير أمته وصالحي عباده وسائر المؤمنين، وأهملوا فرائض الله وهجروا شعائر الدين، وسعوا في كيد الإسلام وأهله كل السعي، ورموا الدين وأهله بكلّ حجر ومدر، والله من ورائهم محيط). اهـ

و(اعلم أن للصحابة لا سيما أكابرهم الجامعين بين الجهاد بين يدي رسول الله ﷺ، والعلم بما جاء به، وأسعدهم الله سبحانه من مشاهدة النبوة وصحبة رسول الله ﷺ في السراء والضراء، وبذلهم أنفسهم وأموالهم في الجهاد في سبيل الله سبحانه حتى صاروا خير القرون بالأحاديث الصحيحة، فهم خير الخيرة، لأن هذه الأمة هي كما أكرمهم الله به بقوله: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ

ليس ممن عناه الله بهذه الآية؛ لأن الله تعالى رتب المؤمنين على ثلاثة منازل: المهاجرين والأنصار والتابعين الموصوفين بما ذكر، فمن لم يكن من التابعين بهذه الصفة كان خارجًا من أقسام المؤمنين. تفسير البغوي (٥/ ٦١) ط دار إحياء التراث العربي.

لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وكانوا الشهداء على العباد كما في القرآن العظيم فهم خير العباد جميعًا، وخير الأمم سابقهم ولاحقهم، وأولهم وآخرهم. وهؤلاء الصحابة ﷺ هم خير قرونهم، وأفضل طوائفهم إلى يوم القيامة، فتقرر بهذا أن الصحابة ﷺ خير العالم بأسره من أوله إلى آخره، لا يفضلهم أحد إلا الأنبياء والملائكة، ولهذا لم يعدل مثل أحد ذهبًا مد أحدهم ولا نصيفه.

فإذا لم يكونوا رأس الأولياء، وصفوة الأتقياء، فليس لله أولياء، ولا أتقياء، ولا بررة، ولا أصفياء. وقد نطق القرآن الكريم بأن الله قد رضي عن أهل بيعة الشجرة وهم جمهور الصحابة إذ ذاك.

وثبت عنه ﷺ ثبوتًا متواترًا أن الله سبحانه اطلع على أهل بدر فقال «اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم»(٧٦). وشهد النبي ﷺ لجماعة منهم بأنهم من أهل الجنة. فقوله ﷺ في هذا الحديث: «من عادى لي وليًا»(٧٧) يصدق عليهم صدقًا أوليًا، ويتناولهم بفحوى الخطاب. فانظر أرشدك الله إلى ما صارت الرافضة أقماهم الله تصنعه بهؤلاء الذين هم رءوس الأولياء ورؤساء الأتقياء، وقدوة المؤمنين، وأسوة المسلمين، وخير عباد الله أجمعين من الطعن واللعن والثلب والسب والشتم والثلم، وانظر إلى أي مبلغ بلغ الشيطان الرجيم بهؤلاء المغرورين المجترئين على هذه الأعراض المصونة المحترمة ؟!! فيالله العجب من هذه العقول الرقيقة، والأفهام الشنيعة، والأذهان المختلة، والإدراكات المعتلة؛ فإن هذا التلاعب الذي تلاعب بهم الشيطان يفهمه أقصر الناس عقلًا، وأبعدهم فطانة، وأجمدهم فهما، وأقصرهم في العلم باعًا وأقلهم اطلاعًا.

فإن الشيطان لعنه الله سوّل لهم بأن هؤلاء الصحابة ﷺ الذين هم المزايا

---

(٧٦) من حديث علي رواه البخاري كتاب الجهاد والسير باب الجاسوس ح (٣٧٠٠)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة باب فضائل أهل بدر وقصة حاطب بن أبي بلتعة ح (٢٩٩٤)

(٧٧) من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله تعالى قال: « من عادى لي وليًا فقد آذنته بالحرب.... » رواه البخاري في كتاب الرقاق باب التواضع ح (٦٥٠٢)

التي لا يحيط بها حصر، ولا يحصيها حد ولا عد، أحقاء بما يهتكون من أعراضهم الشريفة، ويجحدون من مناقبهم المنيفة، حتى كأنهم لم يكونوا هم الذين أقاموا أعمدة الإسلام بسيوفهم، وشادوا قصور الدين برماحهم، واستباحوا الممالك الكسروية، وأطفئوا الملة النصرانية والمجوسية، وقطعوا حبائل الشرك من الطوائف المشركة من العرب وغيرهم، وأوصلوا دين الإسلام إلى أطراف المعمور من شرق الأرض وغربها، ويمينها وشمالها، فاتسعت رقعة الإسلام وطبقت الأرض شرائع الإيمان، وانقطعت علائق الكفر وانقصمت حباله، وانفصمت أوصاله، ودان بدين الله الأسود والأحمر، والوثني والملي.

فهل رأيت أو سمعت بأضعف من هؤلاء تمييزًا، وأكثر منهم جهلًا، وأزيف منهم رأيًا!؟ ياالله العجب!! يعادون خير عباد الله وأنفعهم للدين، الذي بعث به رسول الله ﷺ، وهم لم يعاصروهم، ولا عاصروا من أدركهم، ولا أذنبوا إليهم بذنب، ولا ظلموهم في مال ولا دم ولا عرض، بل قد صاروا بين أطباق الثرى وفي رحمة واسع الرحمة منذ مئين السنين.

وما أحسن ما قاله بعض أمراء عصرنا، وقد رام كثير من أهل الرفض أن يفتنوه ويوقعوه في الرفض: ((مالي ولقوم بيني وبينهم زيادة على اثنتي عشرة مائة من السنين)). وهذا القائل لم يكن من أهل العلم بل هو عبد صيره مالكه أميرًا، وهداه عقله إلى هذه الحجة العقلية التي يعرفها بالفطرة كل من له نصيب من عقل؛ فإن عداوة من لم يظلم المعادي في مال ولا دم ولا عرض، ولا كان معاصرًا له حتى ينافسه فيما هو فيه، يعلم كل عاقل أنه لا يعود على العاقل بفائدة، هذا على فرض أنه لا يعود بضرر في الدين فكيف وهو من أعظم الذنوب التي لا ينجي فاعلها إلا عفو الغريم المجني عليه بظلمه في عرضه ؟!!.

انظر عافاك الله، ما ورد في غيبة المسلم من الوعيد الشديد مع أنها ذكر الغائب بما فيه كما صح عن رسول الله ﷺ في بيانها لما سأله السائل عن ذلك ثم سأله عن ذكره بما ليس فيه جعل ذلك من البهتان، كما هو ثابت في الصحيح، ولم

يرخص فيه بوجه من الوجوه.

... فإذا كان هذا حرامًا بيِّنًا، وذنبًا عظيمًا في غيبة فرد من أفراد المسلمين الأحياء الموجودين، فكيف غيبة الأموات التي صح عن رسول الله ﷺ النهي عنها بقوله: «**لا تسبوا الأموات فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا**»[٧٨] ؟

فكيف إذا كان هؤلاء المسبوبين الممزقة أعراضهم المهتوكة حرماتهم هم خير الخليقة، وخير العالم كما قدمنا تحقيقه ؟!!

فيا هذا المتجرئ على هذه الكبيرة المتقحم على هذه العظيمة، إن كان الحامل لك عليها والموقع لك في وبالها هو تأميلك الظفر بأمر دنيوي وعرض عاجل، فاعلم أنك لن تنال منه طائلًا ولا تفوز منه بنقير ولا قطمير.

فقد جربنا وجرب غيرنا من أهل العصور الماضية، أن من طلب الدنيا بهذا السبب الذي فتح بابه الشيطان الرجيم، وشيوخ الملاحدة من الباطنية والقرامطة والإسماعيلية تنكدت عليه أحواله وضاقت عليه معايشه، وعاندته مطالبه وظهر عليه كآبة المنظر، وقماءة الهيئة ورثاثة الحال، حتى يعرف غالب من رآه أنه رافضي، وما علمنا أن رافضيًّا أفلح في ديارنا هذه قط.

وإن كان الحامل لك على ذلك الدين فقد كذبت على نفسك، وكذبك شيطانك وهو كذوب؛ فإن دين الله هو كتابه وسنة رسوله فانظر هل ترى فيها إلا الإخبار لنا بالرضى عن الصحابة؟ وأنهم أشداء على الكفار، وأن الله يغيظ بهم الكفار، وأنه لا يلحق بهم غيرهم، ولا يماثلهم سواهم ؟!!.

وهم الذين أنفقوا من قبل الفتح وقاتلوا، وأنفقوا بعده كما حكاه القرآن الكريم، وهم الذين جاهدوا في الله حق جهاده، وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيله.

وهم الذين قاموا بفرائض الدين، ونشرها في المسلمين، وهم الذين وردت

---

(٧٨) من حديث عائشة رواه البخاري في كتاب الجنائز باب ما ينهى من سب الأموات ح (١٣٩٣).

لهم في السنة المطهرة المناقب العظيمة، والفضائل الجسيمة عمومًا وخصوصًا، ومن شك في هذا نظر دواوين الإسلام؛ وفيما يلتحق بها من المسندات والمستدركات والمعاجم، ونحوها فإنه سيجد هنالك ما يشفي علله ويروي غِلله ويرده عن غوايته، ويفتح له أبواب هدايته.

هذا إذا كان يعرف أن الشريعة الإسلامية هي الكتاب والسنة، وأنه لا شريعة بين أظهرنا من الله ورسوله إلا ذلك.

فإن كان لا يدري بهذا ويزعم أن له سلفًا في المعصية العظيمة والخصلة الذميمة، فقد غره الشيطان بمخذول مثله، ومفتون مثل فتنته، وقد نزه الله عز وجل علماء الإسلام سابقهم ولاحقهم ومجتهدهم ومقلدهم عن الوقوع في هذه البلية الحالقة للدين المخرجة لمن ارتكبها من سبيل المؤمنين إلى طريق الملحدين.

فإن زعم أنه قد قال من هذا الضلال المبين قائل من أهل البيت المطهرين، فقد افترى عليهم الكذب المبين، والباطل الصراح فإنهم مجمعون سابقهم ولاحقهم عل تعظيم جانب الصحابة الأكرمين، ومن لم يعلم بذلك فلينظر في هذه الرسالة التي ألفتها في الأيام القديمة التي سميتها «**إرشاد الغبي إلى مذهب أهل البيت في صحب النبي**». فإني نقلت فيها نحو أربعة عشر إجماعًا عنهم من طرق مروية عن أكابرهم وعن المتابعين لهم المتمسكن بمذهبهم.

فيأيها المغرور بمن اقتديت، وعلى من اهتدت، وبأي حبل تمسكت وفي أي طريق سلكت يالك الويل والثبور، كيف أذهبت دينك في أمر يخالف كتاب الله سبحانه، وسنة رسوله ﷺ، ويخالف جميع المسلمين منذ قام الدين إلى هذه الغاية؟! وكيف رضيت لنفسك بأن تكون خصمًا لله سبحانه ولرسوله ﷺ، ولسننه ولصحابته ولجميع المسلمين ؟!! أين يتاه بك، وإلى أي هوة رمي بك؟ أما تخرج نفسك من هذه الظلمات المتراكمة إلى أنوار هذا الدين الذي جاءنا به الصادق المصدق عن رب العالمين، وأجمع عليه المسلمون أجمعون، ولم يخالف فيه مخالف

يعتد به في إجماع المسلمين، اللهم إلا أن يكون رافضيًّا خبيثًا، أو باطنيًّا ملحدًا، أو قرمطيًّا جاحدًا أو زنديقًا معاندًا.

وهاهنا دقيقة نرشدك إليها إن بقي لك طريق إلى الرشاد وفهم إلى ما إليه العقلاء تنقاد. اعلم أن بقايا المجوس، وطوائف الشرك والإلحاد لما ظهرت الشريعة الإسلامية وقهرتهم الدولة الإيمانية والملة المحمدية، ولم يجدوا سبيلًا إلى دفعها بالسيف والسنان، ولا بالحجة والبرهان، ستروا ما هم فيه من الإلحاد والزندقة بحيلة تقبلها الأذهان، وتذعن لها العقول، فانتموا إلى البيت المطهرين، وأظهروا محبتهم وموالاتهم، كذبًا وافتراءً وهم في الباطن أعظم أعدائهم، وأكبر المخالفين لهم. ثم كذبوا على أكابرهم الجامعين بين العلم والدين، المشهورين بالصلاح والرشد، فقالوا: قال الإمام فلان كذا، وقال الإمام فلان كذا، وجذبوا جماعة من العامة الذين لا يفهمون ولا يعقلون، فتدرجوا معهم بدعوات معروفة، وسياسات شيطانية، وما زالوا ينقلونهم من رتبة إلى رتبة، ومن درجة إلى درجة حتى أخرجوهم إلى الكفر البواح، والزندقة المحضة، والإلحاد الصُّرَاح.

فعند ذلك ظهرت لهم دول منها: دولة اليمن التي قام بها علي بن الفضل الملحد الكافر كفرًا أقبح من كفر اليهود والنصارى والمشركين، ونعق بالإلحاد على منابر المسلمين في غالب الديار اليمنية، وصيرها كفرية إلحادية باطنية.

وكذلك منصور بن حسن الخارج معه من عند رأس الملحدة: ميمون القداح فملك بعض الديار اليمنية، واستوطن الحصن العظيم في مغارب اليمن، وهو حصن مَسْوَر ونشر الدعوة الباطنية بالسيف كما نشرها علي بن الفضل، ولكنه كان في إظهار الكفر والإلحاد دون علي بن الفضل، ثم بقيت بعده بقايا يتناوبون هذه الدعوة الملعونة، يقال لهم: الدعاة، ومنهم الملك الكبير علي بن محمد الصُّليحي القائم بملك غالب الديار اليمنية، وبقيت الدولة فيهم حينًا من الدهر، ولكنَّ الله حافظ دينه وناصر شريعته.

فإنه كان في جهات اليمن الجبالية، دولة لأولاد الإمام الهادي يحيى بن الحسين - رحمه الله -، فصاولوهم، وجاولوهم، وقاتلوهم في معركة بعد معركة، وموطن بعد موطن حتى كفوهم عن كثير من البلاد، وبقي للإسلام رسم، وللدين اسم، ولولا أن الله حفظ دينه بذلك لصارت اليمن بأسرها قرمطية باطنية. ثم جاءت بعد حين من الدهر دولة الإمام الأعظم صلاح الدين محمد بن علي وولده المنصور علي بن صلاح فقلقلتهم وزلزلتهم، وأخرجتهم من معاقلهم وشردتهم في أقطار الأرض، وسفكت دمائهم في كثير من المواطن. ولم يبق منهم بعد ذلك إلا بقايا حقيرة قليلة ذليلة تحت أذيال التقية وفي حجاب التستر، والتظهر بدين الإسلام إلى هذه الغاية.

والرجاء في الله عز وجل، أن يستأصل بقيتهم، ويذهبهم بسيوف الإسلام وعزائم الإيمان، وما ذلك على الله بعزيز.

هذا ما وقع من هذه الدعوة الملعونة في الديار اليمنية. وأما في غيرها، فأرسل ميمون القداح رجلًا أصله من اليمن يقال له: أبو عبدالله الداعي إلى بلاد المغرب فبث الدعوة هنالك، وتلقاها رجال من أهل المغرب من قبيلة كُتَامة وغيرهم من البربر فظهرت هناك دولة قوية.

ولم يتم لهم ذلك إلا بإدخال أنفسهم في النسب الشريف العلوي الفاطمي، ثم طالت ذيول هذه الدولة المؤسسة على الإلحاد، واستولت على مصر ثم الشام ثم الحرمين، في كثير من الأوقات. وغلبوا خلفاء بني العباس على كثير من بلادهم حتى أبادتهم الدولة الصلاحية دولة صلاح الدين بن أيوب.

فكان من عجب الاتفاق أن القائم بمصاولتهم ومحو دولتهم في اليمن الإمام صلاح الدين وولده، والقائم بمحو دولتهم في مصر السلطان صلاح الدين بن أيوب.

وظهرت من هذه الدعوة الإلحادية دولة القرامطة: أبو طاهر القرمطي،

وأبو سعيد القرمطي، ونحوهم ووقع منهم في الإسلام وأهله سفك الدماء، وهتك الحُرم، وقتل حُجَّاج بيت الله مرة بعد مرة، ما هو معلوم لمن يعرف التاريخ، وأحوال العالم.

وأفضى شرهم على دخول الحرم المكي، والمسجد الحرام، وقتلوا الحجاج في المسجد الحرام حتى مَلَأَوْهُ بالقتلى، وَمَلَأوا بئر زمزم، وصعد شيطانهم القرمطي على البيت الحرام وقال:

وَلَوْ كَانَ هَذَا البَيتُ لله ربنَا لَصبَّ عَلينَا النَّار مِنْ فَوْقِنا صَبًا

لأنَّا حَجَجنَا حُجَّةً جَاهِليَة محللةً لم تَبقَ شَرْقًا ولا غَرْبــًا

وقال مخاطبًا للحجاج: يا حمير أنتم تقولون: من دخله كان آمنًا، ثم قلع الحجر الأسود وحمله معه إلى هجر. فانظر ما وصلت إليه هذه الدعوة الملعونة؟!

ثم أطفاء الله شرهم، وأخذتهم في آخر المدة جيوش التتر الخارجين على الإسلام، فكان من ذلك المحنة منحة أذهب الله هذه الطائفة الخبيثة، ثم عاد الإسلام كما كان. ودخل في الإسلام ملوك التتر، وكانت العاقبة للدين، ودفع الله عن الإسلام جميع المارقين منه والخارجين عليه ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ﴾ [آل عمران: ٥٤]. ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ﴾ [البقرة: ٩].

وإنما قصصنا عليك ما قصصناه أيها الرافضي المعادي لصحابة رسول الله ﷺ ولسنته، ولدين الإسلام، لتعلم أنه لا سلف لك إلا هؤلاء القرامطة الباطنية، والإسماعيلية الذين بلغوا في الإلحاد وفي كياد الإسلام، ما لم يبلغ إليه أحد من طوائف الكفر.

فإذا عرفت أنك على ضلال مبين، وغرور عظيم، وأن سلفك الذين اقتديت بهم وتبعت أثرهم هم البالغون في الكفر إلى هذه المبالغ التي لم يطمع فيها الشيطان، فربما تنتبه من هذه الرقدة، وتستيقظ من هذه الغفلة، وترجع إلى

الإسلام وتمشي على هديه القويم، وصراطه المستقيم.

فإن أبيت إلا العناد، والخروج من طريق الرشاد إلى طريق الإلحاد، فعلى نفسها براقش تجني ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩]، ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوٓا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٧].، واختر لنفسك ما يحلو.أهـ قطر الولي (٢٩٢-٣٠٥).

(فقبح الله أهل البدع، وقلل عددهم، وأراح منهم؛ فإنهم أضر على الشريعة من كل شيء، قد شغلوا أنفسهم بمسائل معروفة هي رأس مذهبهم وأساسه، وتركوا ما عدا ذلك وعابوه وعادوا أهله.

انظر الرافضة فإنك تجد أكثر ما لديهم وأعظم ما يشتغلون به ويكتبونه ويحفظونه مثالب الصحابة ﷺ المكذوبة عليهم، ليتوصلوا بذلك إلى غاية ما لديهم من السّب والثلب لهم، صانهم الله وكبت مبغضيهم. ثم يعتبرون الناس جميعًا بهذه المسألة، فمن وافقهم فيها فهو المسلم حقًا المحق وإن فعل ما فعل، ومن خالفهم في هذه المسألة فهو المبطل المبتدع وإن كان على جانب من الورع وحظ من التقوى لا يقادر قدرها، وقد يضمون إلى هذه المسألة التظهر بجمع الصلوات. وترك الجُمع كما قلته في أبيات.

تَشَيُّعُ الأَقْوامِ في عَصْرِنَا ... مُنْحَصِرٍ في أربع من البدع

عَدَاوَةُ السُّنةِ والثَّلْبِ لِلـ ... أَسلَافِ والجَمْعُ وَتَرْكُ الجمعِ

أدب الطلب ومنتهى الأرب(١٣٦-١٣٧).

(ومن أعظم ما ينبغي التواصي به حفظ اللسان من الغيبة والنميمة والسخرية والتنابز بالألقاب، فإن هذه أمور نهى عنها الكتاب العزيز ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ

﴿تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ [٧٩] [الحجرات: ١٢] ﴿هَمَّازٍ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ﴾ [القلم: ١١] ﴿وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾ [الحجرات: ١١] إلخ ﴿وَيۡلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ [الهمزة: ١] ﴿لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٌ مِّن قَوۡمٍ﴾ [الحجرات: ١١] ﴿وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِ﴾ وفي السنة المطهرة من النهي عن هذه الأمور، والنَّعي على فاعلها، والذم له ما يزجر من له شيء إيمان بعضه فضلًا عن كله. وإنما يَكُبُّ الناس على مناخرهم في جهنم حصائد ألسنتهم كما ثبت ذلك عنه ﷺومثل ذلك الكذب بل هو أقبح من كل ذنب، وأشنع من كل معصية. وقد ذم الله مرتكبه بما هو معروف، ونفى عن فاعله الإيمان فقال: ﴿إِنَّمَا يَفۡتَرِي ٱلۡكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ١٠٥] الآية.

وورد في السنة المطهرة من ذم الكذب، والتنفير عنه ما هو معروف لك. وورد من ذمه من كلام الحكماء، ومواعظ الفصحاء ما يتعظ به كل ذي عقل، ويُزْجرُ به كل من له فهم لما ينشأ عن هذه الخصلة السيئة القبيحة من مفاسد الدين والدنيا. والحاصل أن قبحه مما اتفقت عليه الشرائع، وتطابقت على ذمِّه كتب الله المنـزَّلة على أنبيائه، واتحدت كلمة رسل الله - سبحانه - على قبحه وقبح فاعله) النشر لفوائد سورة العصر ضمن الفتح الرباني ص(١٣٥٣-١٣٥٥).

(فالعاقل المراعي لحفظ دينه، إذا لم يعمل بما ورد في الصحابة الراشدين من نصوص القرآن والسنة القاضية بأنهم أفضل من غيرهم من جميع الوجوه، وأن

---

(٧٩) قال رحمه الله: (فلم يكتف سبحانه بأكل لحم الأخ حتى ذكر أنه ميت، وفي ذلك من التكريه والتنفير ما يزجر كل ذي عقل) الفتح الرباني ص (٥٤٣٣) وقال رحمه الله: (فهذا نهي قرآني مع إيراد مثل لذلك يزيده شدةً وتغليظًا، ويوقع في النفوس الكراهة له والاستقذار لما فيه ما لا يُقادر قدرُهُ؛ فإن أكل لحم الإنسان من أعظم ما يُستقذره بنو آدم جِبِلَّةً وطبعًا، ولو كان كافرًا أو عدوًا مكافحًا فكيف إذا كان أخًا في النسب أو في الدين ؟! فإن الكراهة تتضاعف بذلك، ويزداد الاستقذار فكيف إذا كان ميتًا ؟! فإن لحم ما يستطاب ويحلُّ أكله يصير مستقذرًا بالموت، لا يشتهيه الطبع، ولا تقبله النفس، وبهذا يُعرف ما في هذه الآية من المبالغة في تحريم الغيبة، بعد النهي الصريح عن ذلك). الفتح الرباني ص (٥٥٦٨).

بين طبقتهم وطبقة من بعدهم من الأمة كما بين السماء والأرض فأقل الأحوال أن ينـزلهم منـزلة سائر المسلمين. وقد ثبت عنه ﷺ في الصحيح أن قتال المسلم كفر، وسبابه كفر[٨٠] وثبت عنه في الصحيحين أن «**لعن المسلم كقتله**»[٨١] وثبت عنه ﷺ في صحيح مسلم أنه: لا يكون اللعَّانون شُفعاء ولا شُهداء يوم القيامة[٨٢].

وفي سنن أبي داود أنه ﷺ قال: «**إن العبد إذا لعن شيئًا؛ صعدت اللعنة إلى السماء، فتغلق أبوابها دونها، ثم تهبط إلى الأرض فتغلق أبوابها دونها ثم تأخذ يمينًا وشمالًا، فإذا لم تجد مساغًا؛ رجعت إلى الذي لُعن، فإن كان أهلًا لذلك، وإلا رجعت على قائلها**»[٨٣].

وفي مسند أحمد وصحيح البخاري وسنن النسائي: أن النبي ﷺ قال: «**لا تسبوا الأموات؛ فأنهم أفضوا إلى ما قدموا**». وفي حديث آخر رواه أحمد والنسائي: «**لا تسبوا أمواتنا، فتؤذوا أحياءنا**»[٨٤]. وفي صحيح مسلم وسنن أبي داود والترمذي والنسائي: أن رسول الله ﷺ قال: «**أتدرون ما الغيبة؟ قالوا: الله**

---

(٨٠) من حديث عبدالله بن مسعود رواه البخاري كتاب الإيمان باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر ح (٤٨)، ومسلم كتاب الإيمان باب بيان قول النبي ﷺ سباب المسلم فسوق وقتاله كفر ح (٦٤) ولفظه (سباب المسلم فسوق وقتاله كفر).

(٨١) من حديث ثابت بن الضحاك بلفظ (لعن المؤمن كقتله)، رواه البخاري في كتاب الأدب باب ما ينهى من السباب واللعن ح (٦٠٤٧)، ومسلم كتاب الإيمان باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه ح (١١٠).

(٨٢) من حديث أبي الدرداء، رواه مسلم كتاب البر والصلة والآداب باب النهي عن لعن الدواب وغيرها ح (٢٥٩٨).

(٨٣) من حديث أبي الدرداء، رواه أبو داود في كتاب الأدب باب في اللعن ح (٤٩٠٥)، وهو في صحيح أبي داود رقم (٤٠٩٩)، والصحيحة رقم (١٢٦٩).

(٨٤) من حديث ابن عباس رواه النسائي في كتاب القسامة باب القود في اللطمة ح (٤٧٧٥) وهو في الضعيفة رقم (٢٣١٥)، ومن حديث المغيرة بن شعبة بلفظ (لا تسبوا الأموات فتؤذوا الأحياء) رواه الترمذي في كتاب البر والصلة باب ما جاء في الشتم ح (١٩٨٢) وهو في صحيح الجامع رقم (٧٣١٢).

ورسوله أعلم. قال: ذكرك أخاك بما يكره. قال أرأيت إن كان في أخي ما أقول ؟ قال إن كان في أخيك ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بَهتَّه»(٨٥).
قال الترمذي حديث حسن صحيح.

وفي سنن أبي داود والترمذي أن عائشة ذكرت صفية، فقالت: «إنها قصيرة فقال ﷺ: كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته»(٨٦).

وفي سنن أبي داود: أن النبي ﷺ قال: «لما عُرج بي مررت على أقوام لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم، فقلت: من هؤلاء يا جبريل ؟! فقال هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم»(٨٧). والأحاديث في هذا الباب كثيرة، وهي متناولة للأموات تناولًا أوليًا، وبعضها نص على الأموات). اهـ تنبه الغبي ضمن الفتح الرباني ص٨٩٦-٨٧٠ وما بعدها.

وقال - رحمه الله -: (واعلم أن من أقبح أنواع الظلم ما يرجع إلى الأعراض من غيبة، أو نميمة، أو شتم أو قذف...... ومن الظلم في الأعراض الشتم واللعن، وذكر - رحمه الله - بعض الأحاديث السالفة الذكر وأحاديث غيرها ومنها الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم من حديث أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: «المُسْتَبَّان ما قالا فعلى البادي منهما ما لم يتعد المظلوم» (٨٨).
والحديث الذي رواه الإمام أحمد: عن جرموز الهجيمي أنه قال: قلت: يا رسول الله أوصني، قال: «أوصيك لا تلعن»(٨٩).

والحديث الذي أخرجه مسلم عن عمران بن حصين قال: بينما رسول ﷺ

---

(٨٥) من حديث أبي هريرة رواه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب باب تحريم الغيبة ح (٢٥٨٩).
(٨٦) من حديث عائشة رواه أبو داود في كتاب الأدب باب في الغيبة ح (٤٨٧٥)، ورواه الترمذي في كتاب صفة القيامة والرقائق والورع ح (٢٥٠٢) وهو في صحيح سنن أبي داود رقم (٤٠٨٠).
(٨٧) من حديث أنس بن مالك رواه أبو داود في كتاب الأدب باب في الغيبة ح (٤٨٧٨) وهو في الصحيحة رقم (٥٣٣).
(٨٨) من حديث أبي هريرة رواه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب باب النهي عن السباب ح (٢٥٨٧).
(٨٩) رواه أحمد بلفظ «أوصيك أن لا تكون لعانًا» ح (٢٠٦٧٨) وهو في الصحيحة رقم (١٧٢٩).

في بعض أسفاره وامرأة من الأنصار على ناقة فضجرت منها فلعنتها فسمع ذلك رسول الله ﷺ فقال: «**خذوا ما عليها فإنها ملعونة**». قال عمران فكأني أراها الآن تمشي في الناس ما يعرض لها أحد[٩٠]. وذكر كذلك حديث زيد بن خالد الجهني قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تسبوا الديك فإنه يوقظ للصلاة**» رواه أبو داود[٩١]........

ثم قال: (فهذه الأحاديث قد اشتملت على أن السب والغيبة واللعن من أشد المحرمات وأنه حرام على فاعله ولو كان الذي وقع اللعن عليه من غير بني آدم بل ولو كان من أصغر الحيوانات جرما كالبرغوث مع ما يحصل منه من الأذى والضرر.

فانظر - أرشدك الله - ما حال من يسب أو يغتاب أو يلعن مسلمًا من المسلمين؟ وماذا يكون عليه من العقوبة؟ فكيف بمن يفعل ذلك بخيار عباد الله من المؤمنين؟ بل كيف من يسب أو يغتاب أو يلعن خيرة الخيرة من العالم الإنساني وهم الصحابة مع كونهم خير القرون كما وردت بذلك السنة المتواترة؟ فأبعد الله الروافض عمدوا إلى من يعدل مُدُّ أحدهم أو نصيفه أكثر من جبل أحد من إنفاق غيرهم كما في الحديث الصحيح من قوله ﷺ «فإنه لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبًا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه».

وورد في الكتاب والسنة من مناقبهم وفضائلهم التي امتازوا بها، ولم يشاركهم فيها غيرهم ما لا يفي به إلا مؤلف بسيط. مع ورود الأحاديث الصحيحة في النهي عن سبهم على الخصوص، بل ثبت في الصحيح النهي عن سب الأموات على العموم، وهم خير الأموات كما كانوا خير الأحياء لا جرم، فإنه لم يعادهم ويتعرض لأعراضهم المصونة إلا أخبث الطوائف المنتسبة إلى

---

(٩٠) رواه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب باب النهي عن لعن الدواب وغيرها ح (٢٥٩٥).

(٩١) رواه أبوداود في كتاب الأدب باب ما جاء في الديك والبهائم ح (٥١٠١)، وهو في صحيح سنن أبي داود رقم (٤٢٥٤).

الإسلام وشر من على وجه الأرض من أهل هذه الملة وأقل أهلها عقولًا، وأحقر أهل الإسلام علومًا، وأضعفهم حُلومًا بل أصل دعوتهم لكياد الدين ومخالفة شريعة المسلمين، يعرف ذلك من يعرفه ويجهله من يجهله..........) الفتح الرباني ص (٥٤٢٩- ٥٤٤٠).

(...... وإن يومًا يفر المرء من أبيه ويشِحُّ بما معه من الحسنات على أحبابه وذويه؛ لحقيقٌ بأن يحافظ فيه على الحسنات ولا يدعها يوم القيامة نهبًا بين أقوام قد صاروا بين أطباق الثرى قبل أن يخرج هذا إلى العالم بدهور، وهو غير محمود على ذلك ولا مأجور، فهذا ما لا يفعله بنفسه العاقل،.... فإنه قد عُلم بالضرورة الدينية أن مظلمة العِرض كمظلمة المال والدم، ومجرّد التفاوت في مقدار المظلمة لا يوجب عدم إنصاف ذلك الشيء المتفاوت أو بعضه بكونه مظلمة، فكل واحد من هذه الثلاث مظلمة لآدمي، وكل مظلمة لآدمي لا تسقط إلا بعفوه، وما لم يعف عنه باق على فاعله يوافي عرصات القيامة.

فقل لي كيف يرجو مَن ظلم ميتًا بثلب عرضه أن يعفو عنه ؟ ومن ذاك الذي يعفو في هذا الموقف وهو أحوج ما كان إلى ما يقيه عن النار وإذا التبس عليك هذا فانظر ما تجده من الطباع البشرية في هذه الدار، فإنه لو أُلقي الواحد من هذا النوع الإنساني إلى نار من نيران هذه الدنيا وأمكنه أن يتقيها بأبيه أو بأمه أو بابنه أو بحبيبه لفعل، فكيف بنار الآخرة التي ليست نار هذه الدنيا بالنسبة إليها شيئا؟!

ومن هذه الحيثية قال بعض من نظر بعين الحقيقة: لو كنت مغتابًا أحدًا لاغتبت أبي وأمي لأنهما أحق بحسناتي التي تؤخذ مني قسرًا، وما أحسن هذا الكلام!! ولا ريب أن أشد أنواع الغيبة وأضرها وأشرها وأكثرها بلاءً وعقابًا ما بلغ منها إلى حد التكفير واللعن، فإنه قد صح أن تكفير المؤمن كفر ولعنه راجع على فاعله، وسبابه فسقٌ وهذه عقوبة من جهة الله سبحانه، وأما من وقع له التكفير واللعن والسب فمظلمته باقية على ظهر المكفِّر واللاعن والسباب، فانظر

كيف صار المُكفِّر كافرًا واللاعن ملعونًا والسبابُ فاسقًا، ولم يكن ذلك حد عقوبته بل غريمه ينتظر بعرصات المحشر ليأخذ من حسناته أو يضع عليه من سيئاته بمقدار تلك المظلمة ومع ذلك فلا بد من شيء غير ذلك، وهو العقوبة على مخالفة النهي؛ لأن الله قد نهى في كتابه وعلى لسان رسوله عن الغيبة بجميع أقسامها، ومخالف النهي فاعل محرّم، وفاعل المحرَّم معاقب عليه). البدر الطالع (٥٩٢، ٥٩٣).

(وانظر إلى أي مبلغ بلغ الشيطان الرجيم بهؤلاء المغرورين المجترئين على هذه الأعراض المصونة المحترمة المكرّمة، فيا لله العجب!! من هذه العقول الرقيقة، والأفهام الشنيعة، والأذهان المختلة، والإدراكات المعتلة، فإن هذا التلاعب الذي تلاعب الشيطان، يفهمه أقصر الناس عقلًا، وأبعدهم فطانة، وأجمدهم فهمًا، وأقصرهم في العلم باعًا، وأقلهم اطلاعًا، فإن الشيطان لعنه الله سوّل لهم بأن هؤلاء الصحابة ﭫ، الذين لهم المزايا التي لا يحيط بها حصر، ولا يحصيها حدّ، ولا عدّ، أحقاء بما يهتكون من أعرضهم الشريفة، ويجحدون من مناقبهم المنيفة، حتى كأنهم لم يكونوا هم الذين أقاموا أعمدة الإسلام بسيوفهم، وأوصلوا دين الإسلام إلى أطراف المعمور، من شرق الأرض إلى غربها، ويمينها إلى شمالها، فاتسعت رقعة الإسلام، وطبّقت الأرض شرائع الإيمان، وانقطعت علائق الكفر، وانقصمت حباله. يالله العجب!! يعادون خير عباد الله، وأنفعهم للدين الذي بعث به رسول الله ﷺ، وهم لم يعاصروهم، ولا عاصروا من أدركهم، ولا أذنبوا إليهم بذنب، ولا ظلموهم في مال، ولا دم، ولا عرض، بل قد صاروا تحت أطباق الثرى، وإلي رحمة واسع الرحمة منذ مئات من السنين) قطر الولي على حديث الولي: (٢٩٤).

فصـل

في الجمع بين الأحاديث التي فيها أن الصحابة أفضل الناس وما ظاهره التعارض معها

عن عمران بن حصين عن النبي ﷺ قال: «خير أمتي قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم - قال عمران: فلا أدري أذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثة - ثم إن من بعدهم قومًا يشهدون ولا يُستشهدون، ويخونون ولا يُؤتمنون، وينذرون ولا يوفون ويظهر فيهم السمن.» متفق عليه.

قال - رحمه الله -: (وفيه دليل على أن الصحابة أفضل الأمة، والتابعين أفضل من الذين بعدهم، وتابعي التابعين أفضل ممن بعدهم. وثم أحاديث معارضة في الظاهر لهذا الحديث وسيأتي الكلام على ذلك إن شاء الله في باب ذكر من حلف قبل أن يستحلف، وهو آخر أبواب الكتاب) نيل الأوطار (م٤/ ج٨/ ٢٩٧).

و(عن ابن عمر ﷺ قال: «خطبنا عمر ﷺ بالجابية فقال: يأيها الناس إني قمت فيكم كقيام رسول الله ﷺ فينا فقال: أوصيكم بأصحابي ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، ثم يفشو الكذب حتى يحلف الرجل ولا يستحلف، ويشهد الشاهد ولا يستشهد، ألا لا يخلون رجل بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان، عليكم بالجماعة، وإياكم والفرقة؛ فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد. من أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة. من سرته حسنته وساءته سيئته فذلك المؤمن.» رواه أحمد والترمذي [٩٢].

---

(٩٢) من حديث عبدالله بن عمر، رواه الترمذي في كتاب الفتن باب ما جاء في لزوم الجماعة ح (٢١٦٥) وهو في صحيح الجامع رقم (٢٥٤٦) ورواه ابن ماجه مختصرًا من حديث جابر بن سمرة قال: « خطبنا عمر بالجابية فقال: إن رسول الله ﷺقام فينا مثل مقامي فيكم فقال:

وفي الحديث التوصية بخير القرون، وهم الصحابة ﷺ ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، وقد وعدنا أن نذكر هاهنا طرقًا من الكلام على ما ورد من معارضة الأحاديث القاضية بأفضلية الصحابة فنقول: قد تقدم في باب من أعلم صاحب الحق بشهادة له عنده وذم من أدى شهادة من غير مسألة حديث عمران ابن حصين وحديث أبي هريرة أن: «**خير القرون قرنه ﷺ**» **وفي ذلك دليل على أنهم الخيار من هذه الأمة وأنه لا أكثر خيرًا منهم.**

وقد ذهب الجمهور إلى أن ذلك باعتبار كل فرد فرد، وقال ابن عبد البر: إن التفضيل إنما هو بالنسبة إلى مجموع الصحابة، ﷺ فإنهم أفضل ممن بعدهم لا كل فرد منهم. وقد أخرج الترمذي بإسناد قوي من حديث أنس مرفوعًا: «**مثل أمتي مثل المطر لا يُدرى أوله خير أم آخره**»[٩٣]. وأخرجه أبو يعلى في مسنده بإسناد ضعيف، وصححه ابن حبان من حديث عمار. وأخرج ابن أبي شيبة من حديث عبد الرحمن بن جبير بن نفير بإسناد حسن قال: قال رسول الله ﷺ: «**ليدركن المسيح أقواما إنهم لمثلكم أو خير ثلاثًا ولن يخزي الله أمة أنا أولها والمسيح آخرها**»[٩٤] ولكنه مرسل لأن عبد الرحمن تابعي. وأخرج الطيالسي بإسناد ضعيف عن عمرو رفعه: «**أفضل الخلق إيمانا قوم في أصلاب الرجال يؤمنون بي ولا يروني**». وأخرج أحمد والدارمي والطبراني بإسناد حسن من حديث أبي جمعة قال: **قال أبو عبيدة**: يا رسول الله: أحد خير منا أسلمنا معك وجاهدنا معك؟ قال: «**قوم يكونون من بعدكم يؤمنون بي ولم يروني**»[٩٥] وقد

احفظوني في أصحابي ثم الذين يلونهم.... » ح (٢٣٦٣) وهو في الصحيحة رقم (١١١٦).

(٩٣) رواه الترمذي في كتاب الأمثال باب مثل الصلوات الخمس ح (٢٨٦٩)، وهو في الصحيحة رقم (٢٢٨٦) وفي صحيح الجامع رقم (٥٨٥٤).

(٩٤) رواه ابن أبي شيبة في كتاب فضل الجهاد ح (١٩٥٧٢)، وهو في ضعيف الجامع رقم (٤٨٧٥).

(٩٥) رواه أحمد في المسند ح (١٦٩٧٦، ١٦٩٧٧) من حديث أبي جمعة حبيب بن سباع ﷺ قال قال أبو عبيدة ﷺ: يا رسول الله أحد خير منا أسلمنا معك وجاهدنا معك؟ فقال ﷺ...... » وصححه الألباني في «المشكاة» رقم (٦٢٨٢).

صححه الحاكم. وأخرج مسلم من حديث أبي هريرة رفعه «**بدا الإسلام غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ فطوبى للغرباء**»[٩٦].

وأخرج أبو داود والترمذي من حديث ثعلبة رفعه «**تأتي أيام للعامل فيهن أجر خمسين قيل: منهم أو منا يا رسول الله؟ قال: بل منكم**»[٩٧].

وجمع الجمهور بأن الصحبة لها فضيلة ومزية لا يوازيها شيء من الأعمال، فلمن صحب النبي ﷺ فضيلة الصحبة، وإن قصر في الأعمال. وفضيلة من بعد الصحابة باعتبار كثرة الأعمال المستلزمة لكثرة الأجور.

فحاصل هذا الجمع أن التنصيص على فضيلة الصحابة ﷺ باعتبار فضيلة الصحبة، وأما باعتبار أعمال الخير فهم كغيرهم، قد يوجد فيمن بعدهم من هو أكثر أعمالًا منهم أو من بعضهم، فيكون أجره باعتبار ذلك أكثر، فكان أفضل من هذه الحيثية. وقد يُوجد فيمن بعدهم ممن هو أقل عملًا منهم، أو من بعضهم، فيكون مفضولًا من هذه الحيثية.

ويشكل على هذا الجمع ما ثبت في الأحاديث الصحيحة في الصحابة ﷺ بلفظ: «**لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه**»؛ فإن هذا التفضيل باعتبار خصوص أجور الأعمال لا باعتبار فضيلة الصحبة. ويشكل عليه أيضا حديث ثعلبة المذكور فإنه قال: «**للعامل فيهن أجر خمسين رجلا**» ثم بيّن أن الخمسين من الصحابة، وهذا صريح في أن التفضيل باعتبار الأعمال، فاقتضى الأول أفضلية الصحابة ﷺ في الأعمال إلى حد يفضل نصف مدهم مثل

---

(٩٦) رواه مسلم في كتاب الإيمان باب بيان أن الإسلام بدأ غريبًا... ح (١٤٥).

(٩٧) رواه أبوداود في كتاب الملاحم باب الأمر والنهي ح (٤٣٤١) ورواه الترمذي في كتاب تفسير القرآن باب ومن سورة المائدة ح (٣٠٥٨)، وابن ماجه في كتاب الفتن باب (يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم) ح (٤٠١٤)، وهو في ضعيف أبي داود ح (٩٣٤) وفي الضعيفة رقم (١٠٢٥)، وجملة (إن من ورائكم أيام الصبر، للمتمسك فيهن يومئذ بما أنتم عليه أجر خمسين منكم قالوا: يا نبي الله أو منهم ؟ قال: بل منكم) صححها الشيخ في الصحيحة لشواهدها، الصحيحة (٤٩٤).

أحد ذهبًا.

واقتضى الثاني تفضيل من بعدهم إلى حد يكون أجر العامل أجر خمسين رجلًا من الصحابة ﷺ وفي بعض ألفاظ حديث ثعلبة: «**فإن من ورائكم أيامًا، الصبر فيهن كالقَبِضْ على الجمر، أجر العامل فيهن أجر خمسين رجلًا فقال بعض الصحابة: منَّا يا رسول الله أو منهم؟ فقال: بل منكم**»[٩٨] فتقرر بما ذكرناه عدم صحة ما جمع به الجمهور.

وقال النووي في حديث «**أمتي كالمطر**»: إنه يشتبه على الذين يرون عيسى ويدركون زمانه وما فيه من الخير، أي الزمانين أفضل؟ قال: وهذا الاشتباه مندفع بصريح قوله ﷺ: «**خير القرون قرني**»، ولا يخفى ما في هذا من التعسف الظاهر والذي أوقعه فيه عدم ذكر فاعل يُدرى فحمله على هذا وغفل عن التشبيه بالمطر المفيد لوقوع التردد في الخيرية من كل أحد.

والذي يستفاد من مجموع الأحاديث أن للصحابة مزية لا يشاركهم فيها من بعدهم، وهي صحبته ﷺ ومشاهدته والجهاد بين يديه، وإنفاذ أوامره ونواهيه.

ولمن بعده مزية لا يشاركه الصحابة فيها، وهي إيمانهم بالغيب في زمان لا يرون فيه الذات الشريفة التي جمعت من المحاسن ما يقود بزمام كل مشاهد إلى الإيمان، إلا من حقت عليه الشقاوة.

وأما باعتبار الأعمال فأعمال الصحابة ﷺ فاضلة مطلقًا من غير تقييد لحالة مخصوصة كما يدل عليه «لو أنفق أحدكم مثل أحد» الحديث. إلا أن هذه المزية للسابقين منهم، فإن النبي ﷺ خاطب بهذه المقالة جماعة من الصحابة ﷺ الذين تأخر إسلامهم، كما يشعر بذلك السبب وفيه قصة مذكورة في كتب الحديث، فالذين قال لهم النبي ﷺ: «**لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا**» هم جماعة من الصحابة ﷺ الذين

---

(٩٨) سبق حال حديث ثعلبة ويغني عنه حديث أنس بن مالك بلفظ ٠ (يأتي على الناس زمان الصابر فيهم على دينه كالقابض على الجمر).رواه الترمذي في كتاب الفتن باب ٧٣ ح (٢٢٦٠) حسنه الشيخ بشواهده وهو في الصحيحة رقم (٩٥٧).

تأخرت صحبتهم، فكان بين منـزلة أول الصحابة وآخرهم أن إنفاق مثل أحد ذهبًا من متأخيرهم لا يبلغ مثل إنفاق نصف مد من متقدميهم.

وأما أعمال من بعد الصحابة فلم يرد ما يدل على كونها أفضل على الإطلاق إنما ورد ذلك مقيدًا بأيام الفتنة، وغربة الدين، حتى كان أجر الواحد يعدل أجر خمسين رجلًا من الصحابة ﷺ، فيكون هذا مخصصًا لعموم ما ورد في أعمال الصحابة ﷺ، فأعمال الصحابة ﷺ فاضلة وأعمال من بعدهم مفضولة، إلا في مثل تلك الحالة، ومثل حالة من أدرك المسيح إن صح ذلك المرسل، وبانضمام أفضلية الأعمال إلى مزية الصحبة يكونون خير القرون ويكون قوله: لا يدري خير أوله أم أخره باعتبار أن في المتأخرين من يكون بتلك المثابة من كون أجر خمسين هذا باعتبار أجور الأعمال، وأما باعتبار غيرها فلكل طائفة مزية كما تقدم ذكره؛ لكن مزية الصحابة ﷺ فاضلة مطلقة باعتبار مجموع القرن لحديث «**خير القرون قرني**»، فإذا اعتبرت كل قرن قرن ووازنت بين مجموع القرن الأول مثلا ثم الثاني ثم كذلك إلى انقراض العالم فالصحابة ﷺ خير القرون، ولا ينافي هذا تفضيل الواحد من أهل قرن أو الجماعة على الواحد أو الجماعة من أهل قرن آخر.

فإن قلت ظاهر الحديث المتقدم أن أباعبيدة قال: يا رسول الله أحد خير منا أسلمنا معك وجاهدنا معك؟ فقال: «**قوم يكونون من بعدكم يؤمنون بي ولا يروني**» يقتضي تفضيل مجموع قرن هؤلاء على مجموع قرن الصحابة ﷺ، قلت: ليس في هذا الحديث؛ ما يفيد تفضيل المجموع على المجموع، وإن سُلِّم ذلك وجب المصير إلى الترجيح لتعذر الجمع ولا شك أن حديث «**خَيْرُ الْقُرُونِ قَرْنِي**» أرجح من هذا الحديث بمسافات لو لم يكن إلا كونه في الصحيحين، وكونه ثابتًا من طرق، وكونه متلقي بالقبول، فظهر بهذا وجه الفرق بين المزيتين من غير نظر إلى الأعمال كما ظهر وجه الجمع باعتبار الأعمال على ما تقدم تقريره فلم يبق هاهنا إشكال والله أعلم) نيل الأوطار (م٤/ ج٨/ ٣١٢-٣١٥).

فصـل

في المنهج العلمي الذي يتعامل به أئمة الحديث مع مرويات الفضائل

من المعلوم لكل عاقل منصف مطلع على تراث أهل الحديث أنهم يتعاملون مع الروايات المروية في الفضائل وغيرها تعاملًا تضبطه القواعد الدقيقة في الحكم على الرواية وعلى أساس هذه القواعد يكون حكمهم على الحديث بالقبول أو الرد مع الورع التام والدراية الشاملة والدراسة المستفيضة[٩٩]، وأما ما

(٩٩) قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (من المعلوم لكل من له خبرة أن أهل الحديث أعظم الناس بحثًا عن أقوال النبي ﷺ، وطلبًا لعلمها، وأرغب الناس في اتّباعها، وأبعد الناس عن اتّباع هوىً يخالفها، فلو ثبت عندهم أن النبي ﷺ قال لعليّ هذا، لم يكن أحد من الناس أَوْلى منهم باتّباع قوله، فإنهم يتّبعون قوله إيمانًا به، ومحبة لمتابعته، لا لغرض لهم في الشخص الممدوح. ولهذا يذكرون ما ذكره النبي ﷺ من فضائل عليّ، كما يذكرون ما قاله من فضائل عثمان، كما يذكرون ما ذكره من فضائل الأنصار، كما يذكرون ما ذكره من فضائل المهاجرين، وفضائل بني إسماعيل وبني فارس، ويذكرون فضائل بني هاشم، ويذكرون ما ذكره من فضائل طلحة والزبير، كما يذكرون ما ذكره من فضائل سعد بن أبي وقاص وأسامة بن زيد وما ذكره من فضائل الحسن والحسين، ويذكرون ما ذكره من فضائل عائشة كما يذكرون ما ذكره من فضائل فاطمة وخديجة، فهم في أهل الإسلام كأهل الإسلام في أهل الملل: يدينون بكل رسول وكل كتاب، لا يفرقون بين أحد من رسل الله، ولم يكونوا من الذين فرَّقوا دينهم وكانوا شيعًا) منهاج السنة (٤/ ٢٨٧-٢٨٨).

وأما الرافضة فهم يتبعون أهواءهم؛ (لأنهم ابتدعوا بدعًا خلطوها بما جاءت به الرسل، وفرَّقوا دينهم وكانوا شيعًا، فصار في كل فريق منهم حق وباطل، وهم يكذِّبون بالحق الذي مع الفريق الآخر، ويُصدِّقون بالباطل الذي معهم. وهذا حال أهل البدع كلهم؛ فإن معهم حقًا وباطلًا، فهم فرَّقوا دينهم وكانوا شيعًا، كل فريق يكذّب بما مع الآخر من الحق، ويُصدّق بما معه من الباطل، كالخوارج والشيعة فهؤلاء يُكذّبون بما ثبت من فضائل أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ﷺ، ويُصدِّقون بما رُوي في فضائل أبي بكر وعمر – رضي الله عنهما –، ويُصدّقون بما ابتدعوه من تكفيره وتكفير من يتولاه ويحبه. وهؤلاء يُصدّقون بما روي في فضائل عليّ بن أبي طالب ﷺ،

ويُكذّبون بما رُوي في فضائل أبي بكر وعمر - رضي الله عنهما -، ويُصدّقون بما ابتدعوه من التكفير والطعن في أبي بكر وعمر وعثمان. ودين الإسلام وسط بين الأطراف المتجاذبة...... وكذلك أهل السنة في الإسلام متوسطون في جميع الأمور فهم في عليّ وسط بين الخوارج والروافض...) منهاج السنة (٥/ ١٦٨-١٧٢) وقد تميز أهل السنة - عن غيرهم من أهل البدع كالرافضة - بالبحث عن أحوال المتون - في الفضائل وغيرها - صحة وضعفًا بالنظر إلى رجال الإسناد والقواعد الحديثية المقررة عند أهل الفن؛ لأنه بثبوت الحديث تثبت الفضيلة وبضعف الحديث لا تثبت تلك الفضيلة فـ (الإسناد من خصائص هذه الأمة، و هو من خصائص الإسلام، ثم هو في الإسلام من خصائص أهل السنة. والرافضة من أقل الناس عناية، إذ كانوا لا يُصدّقون إلا بما يوافق أهواءهم، و علامة كذبهم أنه يخالف هواهم. و لهذا قال عبد الرحمن بن مهدي: أهل العلم يكتبون ما لهم و ما عليهم، وأهل الأهواء لا يكتبون إلا ما لهم........، فكل من له أدنى علم و إنصاف؛ يعلم أن المنقولات فيها صدق و كذب، و أن الناس كذبوا في المثالب و المناقب، كما كذبوا في غير ذلك، و كذبوا فيما يوافقه و يخالفه. و نحن نعلم أنهم كذبوا في كثير مما رووه في فضائل أبى بكر وعمر وعثمان، كما كذبوا في كثير مما رووه في فضائل عليّ، و ليس في أهل الأهواء أكثر كذبًا من الرافضة بخلاف غيرهم..... و أما أهل العلم و الدين فلا يصدقون بالنقل و يكذبون به بمجرد موافقة ما يعتقدون) منهاج السنة (٧/ ٣٧-٤٢) (ثم الرافضي يدّعي في شيء أنه من فضائل عليّ، و قد لا يكون كذلك ثم يدّعي أن تلك الفضيلة ليست لغيره، و قد تكون من الفضائل المشتركة؛ فإن فضائل عليّ الثابتة عامتها مشتركة بينه و بين غيره، بخلاف فضائل أبي بكر و عمر، فإن عامتها خصائص لم يُشَارَكا فيها. ثم يدعي أن تلك الفضيلة توجب الإمامة. و معلوم أن الفضيلة الجزئية في أمر من الأمور ليست مستلزمة للفضيلة المطلقة ولا للإمامة. ولا مختصة بالإمام بل تثبت للإمام و لغيره. و للفاضل المطلق و لغيره. فبنى هذا الرافضي أمره على هذه المقدمات الثلاث، و الثلاث باطلة. ثم يردفها بالمقدمة الرابعة، و تلك فيها نزاع، لكن نحن لا ننازعه فيها بل نسلم أنه من كان أفضل كان أحق بالإمامة، لكن الرافضي لا حجة معه على ذلك). منهاج السنة (٧/ ١٧٣).

فـ(الشيعة يجعلون الأمور المشتركة بين عليّ و غيره، التي تعمّه و غيره، مختصةً به، حتى رتّبوا عليه ما يختص به من العصمة و الإمامة و الأفضلية. و هذا كله منتف .فمن عرف سيرة الرسول، وأحوال الصحابة، ومعاني القرآن والحديث: علم أنه ليس هناك اختصاص بما يوجب أفضليته و لا إمامته بل فضائله مشتركة، و فيها من الفائدة إثبات إيمان عليّ وولايته و الرد على النواصب الذين يسبّونه أو يفسّقونه أو يكفرونه و يقولون فيه من جنس ما تقوله الرافضة في الثلاثة. ففي فضائل علي الثابتة رد على النواصب، كما أن في فضائل الثلاثة ردا على الروافض).

منهاج السنة (٧/ ٣٣٨-٣٣٩) (قال أبو الفرج بن الجوزي: فضائل عليّ الصحيحة كثيرة، غير أن الرافضة لم تقنع فوضعت له ما يضع، لا ما يرفع، وحُوشيت حاشيته من الاحتياج إلى

يقوله أهل الجهل والتعصب والهوى أن أهل الحديث يتعاملون مع الروايات تعاملًا مبنيًّا على التعصب، وإخفاء فضائل آل البيت، فهذه المقالة الركيكة، والشبهة الساقطة، والفرية الواضحة، لا تخفى على فطن.

ومن قرأ كتب أهل الحديث عرف أن هذه فرية بلا مرية؛ ولهذا يقول الإمام الشوكاني - رحمه الله - مبينًا إنصاف أهل الحديث في التعامل مع روايات الفضائل (..... وأما أنه يُلزمهم أن يصفوا الرجل بما لا يصح عندهم نحو ما يختلقه القُصاص والغلاة فهذا لا ينبغي أن يَعدُّوا في مثالبهم، بل يتوجَّهُ جعلُه من مناقبهم. وقد زيَّفُوا فضائل مختلفة لجماعة من الصحابة، ولم يكن انتفاؤهم مختصًا لفرد دون فرد، ومن أحب الوقوف على حقيقة هذا فليطالع كتب الجرح والتعديل؛ فإنه يقف في كثير من تراجم الضعفاء على تزييف فضائل مرويَّةٍ لأبي بكر، ولعمر، ولعثمان، ولغيرهم. وكيف يسوغ للإنسان أن يظن بهم المبالغة في نشر فضائل هذا، وكتم فضائل هذا، أو تصحيح فضائل هذا، وتضعيف فضائل هذا؟ فَهُم أجل من ذاك، ولو جوّزنا فيهم مثل هذا لجوَّزناه في جميع ما جاءونا به من أحكام الصلاة، والصيام، وسائر شرائع الإسلام، والحاصل أننا نمنع ذلك، ونُنَـزِّهُ جنابهم الشريف عن خُطورِه بخواطرهم، فضلًا عن جَريه على ألسنتهم، فمن كان ناقلًا لخلاف هذا فالصحة، ومن كان مدَّعيًا فالدليل..) الفتح الرباني ص (٩٠٥-٩٠٧).

الباطل. قال: فاعلم أن الرافضة ثلاث أصناف: صنف منهم سمعوا أشياء من الحديث فوضعوا أحاديث وزادوا ونقصوا. وصنف لم يسمعوا فتراهم يكذبون على جعفر الصادق، ويقولون: قال جعفر، وقال فلان. وصنف ثالث عوامّ جهلة يقولون ما يريدون مما يسوغ في العقل ومما لا يسوغ) منهاج السنة (٧/ ٤٤٢-٤٤٣).

فصل

في عدالة الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ

قال ـ رحمه الله ـ عن الصحابة الكرام: (**أما عدالتهم ﷺ فَمُسَلَّمَةٌ عند جميع أهل السنة [١٠٠] الذين رأينا كلامهم، ولا نعلم أحدًا من الصحابة طُعن فيه من قبل عدالته، وأما الرافضة، والخوارج، وأهل البدع فلا عبرة بكلامهم، ولا يُعد خلافهم خلافًا، وإنما هو شذوذ وميل عن الصراط المستقيم.**) الفتح الرباني (ص ١٥٤).

---

(١٠٠) أهل السنة والجماعة هم الفرقة الناجية، وكان الإمام الشوكاني يقول بما دلت عليه النصوص في ذلك، ولقي بسبب ذلك ما لقي من الجهلة والمتعصبة، قال تلميذه الشجني – رحمه الله – في ترجمة السيد أحمد بن علي بن محسن بن علي بن الإمام المتوكل على الله إسماعيل بن الإمام القاسم الصنعاني: (.... ودام على الاشتغال بالطلب على شيخ الإسلام نحو عشر سنين ووقع بينه وبين معاصريه من الطلبة ما يحصل بين أمثالهم من المنافسة وظنّ أن شيخ الإسلام يؤثر ذلك الشخص عليه ويرى له حقًا فوقه فتكدر خاطره وعظم الأمر عليه وجعل يروي للمتعصبين من الجهال ما حفظه من اجتهادات شيخ الإسلام من المسائل المخالفة لما عليه المذهب المعروف وكان عنده كتاب لشيخ الإسلام استعاره منه وقد كتب فيه مسائل مما أدى إليه اجتهاده فيه من المسائل العلمية الجارية على الصحيح من الأدلة منها مسألة الفرقة الناجية وإنها من تتمسك من فرق الإسلام بما بعث به رسول الله ﷺ على وفق ما كان عليه هو وأصحابه ـ رضي الله عنهم ـ وليس كما يدعيه أهل كل مذهب أنه ما كان عليه أهل مذهبه خصوصًا بل ما وافق ما كان عليه عمل رسول الله ﷺ وأصحابه من مذهب وغيره ثم دفع دعوى كل مدع يدعي غير ذلك، فما زال المترجم له – رحمه الله – يعرض ذلك على كل من له نصيب في العلم يعرف فلم يساعده أحد منهم على تخبط القائل فعمد إلى العامة ومن بإزائهم من المتفيهقة المقصرين المتعصبين ويوهمهم بأن مثل ذلك من عظائم الأمور المستشنعة فأكثروا من أجل ذلك القال والقيل كما هي لهم عادة معروفة، وطريقة مألوفة:

فَدَعْنِى وَمَا قَالَ الْجَهُولُ فَقَوْلُه ... كَلَمْعِ سَرابٍ أَوْ طَنِينِ ذُبَابِ

ثم ترك الاشتغال بالعلم تركًا كليًا وذهب عنه رونق أهل العلم، ورام بعد أعوام أن يراجع تلك الأيام، ويعود إلى ما كان عليه من طلب العلم والاشتغال به فلم يجبه إلى ذلك شيخ الإسلام وأظهر الندم والتوجع من نفسه على ما فرط منه وعرف أنه ارتكب من عدم الأدب ما لا يليق). التقصار ص (٣٥٥-٣٥٦).

وقال ـ رحمه الله ـ بعد ذكره للصحابي الجليل المغيرة بن شعبة ـ رضي الله عنه ـ: (**والحق عندي وعند كل منصف أن الرواية عن كل من ثبتت له الصحبة مقبولة معمول بها**، فقد عدَّلهم رسول الله ﷺ بقوله «**خَيْرُ القُرُون قَرْنِي**»[١٠١] **والخلاف الواقع بينهم وإن كان المُحق فيه معلومًا بالأدلة، لكن المخالف له من جملة من شملته مزية الصحبة، واندرج تحت عموم الأدلة الناطقة بما يدفع عنهم ما وقع من الخطأ، ولا سيما ولهم تأويلات ومحامل، ويتعيّن المصير إليها، وتعظيمهم والاعتراف بعلو شأنهم، وارتفاع درجتهم عن سائر القرون، شأن كل مسلم معظم للشريعة والنبوة، والاشتغال بمثالبهم ومعائبعهم التي تلصق بهم كذبًا وبهتًا هو وشأن كل مخذول**).وبل الغمام (١/ ٦٢-٦٣).

قال: (**وجوب تقديم البحث عن عدالة الراوي إنما هو في غير الصحابة فأما فيهم فلا لأن الأصل فيهم العدالة فتقبل روايتهم من غير بحث عن أحوالهم** حكاه ابن الحاجب عن الأكثرين. قال القاضي هو قول السلف وجمهور الخلف.

---

(١٠١) من حديث عبدالله بن مسعود بلفظ « خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم فلا أدري في الثالثة أو في الرابعة.... » وفي رواية « سئل رسول الله أي الناس خير ؟ قال: قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم.. » رواه البخاري في كتاب الشهادات باب لا يشهد على شهادة جور إذا أُشهد ح (٢٦٥٢)، ورواه مسلم في كتاب فضائل الصحابة باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ح (٢٥٣٣)، وجاء من حديث عمران بن حصين بلفظ « إن خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم قال عمران: فلا أدري أقال رسول الله بعد قرنه مرتين أو ثلاثة؟.... » رواه البخاري ح (٢٦٥١) ورواه مسلم ح (٢٥٣٥) وجاء من حديث عائشة أنه قالت: سأل رجل النبي أي الناس خير قال: « القرن الذي أنا فيه ثم الثاني ثم الثالث » رواه مسلم ح (٢٥٣٦)، ومن حديث أبي هريرة بلفظ « خير أمتي القرن الذي بعثت فيهم ثم الذين يلونهم والله أعلم أذكر الثالث أم لا؟...» رواه مسلم ح (٢٥٣٤). ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية بعض نصوص القرآن والسنة الدالة على فضل الصحابة ثم قال: (وهذه الأحاديث مستفيضة بل متواترة في فضائل الصحابة، والثناء عليهم، وتفضيل قرنهم على من بعدهم من القرون، فالقدح فيهم قدح في القرآن والسنة) الفتاوى (٤/ ٤٣٠).

وقال الجويني بالإجماع[١٠٢] ووجه هذا القول ما ورد من العمومات المقتضية لتعديلهم كتابًا وسنة[١٠٣] كقوله سبحانه: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠] وقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣] أي عدولا وقوله: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الفتح: ١٨] وقوله: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠] وقوله: ﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩].وقوله: «**خَيرُ القُرُونِ قَرْنِي**» وقوله في حقهم: « **لَو أَنْفَقَ أَحَدُكُمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ ولَا نَصِيفَه**» وهما في الصحيح وقوله: «**أَصْحَابِي كَالنُّجُوم**» على مقال فيه معروف[١٠٤]. قال الجويني ولعل السبب في قبولهم من

---

(١٠٢) قال الشوكاني: قال العلامة ابن الوزير في التنقيح وأما القول بعدالة المجهول منهم فهو إجماع أهل السنة والمعتزلة والزيدية. وقال ابن عبد البر في التمهيد إنه مما لا خلاف فيه. الفتح الرباني ص (١٧٠١-١٧٠٢).

(١٠٣) وقال في موضع آخر: (وأما الدليل على ذلك فاعلم أن الله سبحانه وتعالى قد تولى تعديل الصحابة بنفسه وكذلك رسوله ﷺ وأقل الأحوال أن يُجعل حكم ذلك التعديل حكم تعديل العبيد بعضِهم بعضًا فإذا لم تثبت لهم هذه المزية أعني قَبول مجهولهم ولا يُقبل إلا من عرفناه عينًا وحالًا فأي طائل وأي ثمرة لقوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾....) القول المقبول في رد خبر المجهول من غير صحابة الرسول ضمن الفتح الرباني ص(١٧٠٢).

(١٠٤) حديث « أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم » قال الشوكاني ـ رحمه الله ـ: هذا الحديث قد روي من طرق عن جابر وابن عمر وصرَّح أئمة الجرح والتعديل بأنه لا يصح منها شيء، وأن هذا الحديث لم يثبت عن رسول الله ﷺ وقد تكلم عليه الحفاظ بما يشفي ويكفي...) الفتح الرباني (٢١٧٩) و قال (وفي إسناده جعفر بن عبد الواحد الهاشمي قال فيه الدارقطني: يضع الحديث وتكلم فيه الحفاظ بكلام طويل. الفتح الرباني ص (٤٠٩١) وقال: هذا الحديث لم يصح عن رسول الله ﷺ، كما هو معلوم عند أهل هذا الشأن، فقد اتفقوا على أنه غير ثابت) قطر الولي (٣٣٥) وقال عن معنى الحديث (معناه ظاهر واضح، وهو الاقتداء بالصحابة في العمل بالشريعة التي تلقوها عن رسول الله ﷺ، وأخذوها عنه، فمن اقتدى بواحد منهم فيما يرويه منها عن النبي ﷺ فقد اهتدى ورشد ودخل في الشريعة من

غير بحث عن أحوالهم أنهم نقلة الشريعة ولو ثبت التوقف في روايتهم لانحصرت الشريعة على عصر الرسول ﷺ ولما استرسلت على سائر الأعصار. قال الكيا الطبري: وأما ما وقع بينهم من الحروب والفتن فتلك أمور مبنية على الاجتهاد وكل مجتهد مصيب أو المصيب واحد والمخطئ معذور بل مأجور. وكما قال عمر بن عبد العزيز: تلك دماء طهر الله منها سيوفنا فلا نخضب بها ألسنتنا) إرشاد الفحول (١٢٦-١٢٧).

وذكر نحوًا مما سبق من الآيات والأحاديث ثم قال: (والأحاديث الواردة في هذا المعنى كثيرة. وورد في البعض منهم خصائص تخصه كما ورد في أهل بدر: **«إِنَّ الله اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ، فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ» على أن المطلوب من الحكم بعدالة الجميع هنا ليس هو إلا قبول الرواية من غير بحث في حال الصحابي، ومرجع القبول على ما هو الحق عندي هو صدق اللهجة والتجوُّز عن الكذب ولم يتفشَّ في خير القرون الكذبُ بل ولا في القَرن الذي يليهم ولا في الذي يليه** كما في حديث**«خَيرُ القُرُونِ قَرْنِي ثمَّ الذِينَ يَلُونَهُم ثمَّ الذِينَ يَلُونَهُم ثمَّ يَفْشُو الكَذِب» وبالجملة فالقول بعدالة الجميع أقل ما يستحقونه من المزايا التي وردت بها الأدلة الصحيحة.**

وقال - رحمه الله -: في الجواب عن قول الباقلاني أن الصحابة كغيرهم: جعلُهم كغيرهم إهمال لمزاياهم وإهدار لخصائصهم وطرح لكثير من الآيات والأحاديث الصحيحة.

وقال - رحمه الله -: في الجواب عن قول عمرو بن عبيد أنهم عدول إلى حين ظهور الفتن بينهم: تقيد ثبوت العدالة إلى وقت ظهور الفتن لا يتم إلا بعد تسليم أنهم دخلوا فيها - صانهم الله - جرأة لا على بصيرة ولا تأويل، وذلك مما

الباب الذي يدخل إليها منه. وليس المراد الاقتداء به في رأيه، فإنهم ـ رضي الله عنهم ـ لا رأى لهم يخالف ما بلغهم من الشريعة قط. قطر الولي (٣٣٦) وانظر الضعيفة رقم (٥٨، ٥٩، ٦٠، ٦١، ٤٣٨).

لا ينبغي إطلاقه على آحاد المسلمين مع الاحتمال فكيف بالواحد من الصحابة بل كيف بجميعهم؟ ثم ليت شعري ما يقول صاحب هذا القول أعني عمرو بن عبيد في البدريّين الداخلين في تلك الحروب فإن الله قد غفر لهم ما قارفوه من الذنوب؟ ولعله لا يجد عنه جوابًا، وهو مع زهده من رؤوس البدع ومن المتهمين في الدين ومما يحقق تصميمه على هذه المقالة في الصحابة أنه كان يقول: لو شهد عندي علي وطلحة والزبير على باقة بقل ما قبلت شهادتهم، فانظر هذه الجرأة العظيمة من هذا المبتدع الجاهل للشرع وأهله[١٠٥].

وقال - رحمه الله -: في الجواب عن قول المعتزلة وجماعة من الزيدية، أنهم عدول إلا من ظهر فسقه: ما قلتم من ظهور الفسق لا نسلّم به على الحقيقة، وأما بحسب الأهواء والدعاوى الفارغة والقيام في مراكز المذاهب فذلك لا يضرنا ولا ينفعكم[١٠٦]، **وأيضًا إن ذلك الموجب للفسق لا يعود إلى ما يتعلق بالرواية والحفظ فلا اعتداد به لما قدمنا لك من أنه الاعتبار بصدق اللهجة، وحفظ المروي، وعدم الدخول في بدعة من البدع توجب التهمة لذلك الراوي بالدعاء إلى مذهبه، وجميع الصحابة منـزهون عن جميع ذلك لا يخالف في هذا إلا من قد غلتْ في صدره مراجل الرفض**) الفتح الرباني (٢١٣-٢١٧)، (١٧٢٨-١٧٣٠).

---

(١٠٥) وقال - رحمه الله - في قول عمرو بن عبيد: (هذا القول في غاية الضعف لاستلزامه إهدار غالب السنة فإن المعتزلين لتلك الحروب هم طائفة يسيرة بالنسبة إلى الداخلين فيها وفيه أيضًا أن الباغي غير معين من الفريقين وهو معين بالدليل الصحيح وأيضًا التمسك بها تمسكت به طائفة يخرجها من إطلاق اسم البغي عليها على تسليم أن الباغي من الفريقين غير معين) إرشاد الفحول (١٢٨).

(١٠٦) وقال رحمه الله (ويجاب عنه: بأن تمسكهم بها تمسكوا به من الشبه يدل على أنهم لم يقدموا على ذلك جراءةً على الله وتهاونًا بدينه، وجناب الصحبة أمر عظيم فمن انتهك أعراض بعضهم فقد وقع في هوة لا ينجو منها سالمًا وقد كان في أهل الشام صحابة صالحون عرضت لهم شبه لولا عروضها لم يدخلوا في تلك الحروب ولا غمسوا فيها أيديهم وقد عُدِّلوا تعديلًا عامًّا بالكتاب والسنة فوجب علينا البقاء عليه والتأويل لما يقتضي خلافه) إرشاد الفحول (١٢٨).

(وإذا تقرر لك عدالة جميع من ثبتت له الصحبة علمت أنه إذا قال الراوي عن رجل من الصحابة ولم يسمه كان ذلك حجة ولا يضر الجهالة لثبوت عدالتهم على العموم) إرشاد الفحول (١٢٩).

قال الشوكاني: (وبهذا تعلم أن القائلين بعدالة الصحابة مطلقًا قائلون بقبول مجاهيلهم بل ذلك هو فائدة هذه المقالة....وأهل هذه المقالة هم أكثر الأمة، فمجهول الصحابة مقبول عند أكثر الأمة... إذا عرفت هذا تبين لك أن قبول مجهوليهم مذهب جميع الأمة ولم يخالف في ذلك إلا عمرو بن عبيد وأبو بكر الباقلاني...)..اهـ القول المقبول في رد خبر المجهول من غير صحابة الرسول ضمن الفتح الرباني ص (١٧٠٠-١٧٠١).

والرافضة ـ أبعدهم الله ـ بطعنهم في عدالة الصحابة - صانهم الله -، إنما غايتهم ومرادهم، ونتيجة فعلهم هدم سنة المصطفى ﷺ، حيث أنه لا يمكن لأحد أن يفهم القرآن ويعمل به - كما أراد الله عز وجل - إلا عن طريق السنة الشريفة.

و(علم السنة الذي هو قسيم كتاب الله وقائله رسول الله ﷺ وراويه عنه خير القرون ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم وكل حرف من حروفه وكلمة من كلماته يثبت بها شرع عام لجميع أهل الإسلام) فتح القدير تفسير سورة يونس آية(٩٢).

و(اعلم أن لهذه الشنعة الرافضية، والبدعة الخبيثة، ذيلًا هو أشرّ ذيل، وويلًا هو أقبح ويل، وهو أنهم لـمّا علموا أنّ الكتاب والسنة يناديان عليهم بالخسارة والبوار بأعلى صوت، عادوا السنة المطهّرة، وقدحوا فيها وفي أهلها بعد الصحابة ﷺ، وجعلوا المتمسك بها من أعداء آل البيت، ومن المخالفين للشيعة لأهل البيت، فأبطلوا السنة المطهّرة بأسرها، وتمسّكوا في مقابلها وتعوضوا عنها

بأكاذيب مفتراة[١٠٧] مشتملة على القدح المكذوب المفترى في الصحابة ﷺ، وفي

(١٠٧) قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (الرافضة غالب حججهم أشعار تليق بجهلهم وظلمهم، وحكايات مكذوبة تليق بجهلهم وكذبهم، وما يثبت أصول الدين بمثل هذه الأشعار، إلا من ليس معدودًا من أولى الأبصار) منهاج السنة (٤/ ٦٦) و(الرافضة في الأصل ليسوا أهل علم وخبرة بطريق النظر والمناظرة ومعرفة الأدلة وما يدخل فيها من المنع والمعارضة، كما أنهم من أجهل الناس بمعرفة المنقولات والأحاديث والآثار والتمييز بين صحيحها وضعيفها. وإنما عمدتهم في المنقولات على تواريخ منقطعة الإسناد، وكثير منها من وضع المعروفين بالكذب بل وبالإلحاد) منهاج السنة (١/ ٥٨) وقال: (وإذا كان كذلك فنقول: ما علم بالكتاب والسنة والنقل المتواتر، من محاسن الصحابة وفضائلهم، فلا يجوز أن يدفع بنقول بعضها منقطع، وبعضها محرّف، وبعضها لا يقدح فيها عُلم، فإن اليقين لا يزول بالشك، ونحن قد تيقّنا ما دل عليه الكتاب والسنة وإجماع السلف قبلنا، وما يصدق ذلك من المنقولات المتواترة من أدلة العقل من أن الصحابة ﷺ أفضل الخلق بعد الأنبياء فلا يقدح في هذا أمور مشكوك فيها، فكيف إذا علم بطلانها ؟!) منهاج السنة (٦/ ٣٠٥).
فـ(القوم من أكذب الناس في النقليات، ومن أجهل الناس في العقليات، يُصَدِّقون من المنقول بما يعلم العلماء بالاضطرار أنه من الأباطيل، ويُكَذِّبون بالمعلوم من الإضطرار، المتواتر أعظم تواتر في الأمة جيلًا بعد جيل، ولا يُميزون في نقلة العلم ورواة الأحاديث والأخبار، بين المعروف بالكذب أو الغلط أو الجهل بما ينقل، وبين العدل الحافظ الضابط المعروف بالعلم بالآثار. وعمدتهم في نفس الأمر على التقليد وإن ظنوا إقامته بالبرهانيات،.......... ولهذا كانوا عند عامة أهل العلم والدين من أجهل الطوائف الداخلين في المسلمين) (١/ ٨-٩)
فـ(عمدتهم في الشرعيات ما نقل لهم عن بعض أهل البيت، وذلك النقل منه ما هو صدق ومنه ما هو كذب عمدًا أو خطأ، وليسوا أهل معرفة بصحيح المنقول وضعيفه كأهل المعرفة بالحديث. ثم إذا صح النقل عن بعض هؤلاء، فإنهم بنوا وجوب قبول قول الواحد من هؤلاء على ثلاثة أصول: على أن الواحد من هؤلاء معصوم مثل عصمة الرسول ﷺ؛ وعلى أن ما يقوله أحدهم فإنما يقول نقلًا عن الرسول ﷺ، وأنهم قد علم منهم أنهم قالوا: مهما قلنا فإنما نقوله نقلًا عن الرسول، ويدعون العصمة في أهل النقل؛ والثالث أن إجماع العترة حجة، ثم يدعون أن العترة هم الاثناعشر، ويدعون أن ما نقل عن أحدهم فقد أجمعوا كلهم عليه. فهذه أصول الشرعيات عندهم وهي أصول فاسدة....... لا يعتمدون على القرآن ولا على الحديث ولا على إجماع إلا لكون المعصوم منهم، ولا على القياس وإن كان واضحًا جليًا) منهاج السنة (١/ ٦٩).
فـ(الرافضة لا يتصور قط أن مذهبهم يروج على أهل مدينة كبيرة من مدائن المسلمين، فيها

جميع الحاملين للسنة المهتدين بهديها، العاملين بها فيها، الناشرين لها في الناس، من التابعين وتابعيهم إلى هذه الغاية، وسموهم بالنصب والبغض لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ ولأولاده، فأبعد الله الرافضة وأقمأهم) قطر الولي (٣٠٥-٣٠٧).

أهل علم ودين. وإنما يروج على جُهَّال سكنوا البوادي والجبال أو على محلة في مدينة أو بلدة أو طائفة يظهرون للناس خلاف ما يبطنون لظهور كذبهم) منهاج السنة (٦/ ١٧٩).

فصل

في حكم سابِّ الصحابة

قال ـ رحمه الله ـ: (السَّابُّ للنبي مرتدٌّ، والردة من أسباب القتل. هذا على فرض أنه لم يرد في ذلك بخصوصه ما يدل على جواز القتل، فكيف وقد ورد أنه ﷺ أهدر دم من كان يسبه حتى النساء، وأرسل إلى كعب بن الأشرف، وإلى أبي رافع وغيرهم، وأمر بقتل من كان يسبه تحت أستار الكعبة من الرجال والنساء، ولا ريب أنه لا حامل يحمل الإنسان على سب رسول الله ﷺ إلا ما جاء به من الدين البيّن والشريعة الغَرَّاء، ومَنْ سبّه لهذا السبب كان رادًّا لدينه وكارهًا لهديه، وهذه هي الردة التي لا شك فيها ولا شبهة.

وقريب من هذا مَن جعل سب الصحابة شعاره ودثاره، فإنه لا مقتضى لسبهم قط، ولا حامل عليه أصلًا، إلا غشّ الدِّين في قلب فاعله، وكراهة الإسلام وأهله، فإن هؤلاء هم أهله على الحقيقة، وأقاموه بسيوفهم، وحفظوا هذه الشريعة المطهرة، ونقلوها إلينا كما هي، فرضي الله عنهم وأرضاهم، وأقمأ المشتغلين بثلبهم وتمزيق أعراضهم المصونة، وقد رأينا في التواريخ ما صار يفعله أهل مصر والشام والمغرب، من قَتْل مَنْ كان كذلك بعد مرافعته إلى حكام الشريعة المطهرة، وحكمهم بسفك دمائهم. وهذا وإن كان عندنا غير جائز، لما عرَّفناه من عصمة دم المسلم، حتى يقوم الدليل الدّالّ على جواز سفك دمه، **ولكن فيه القيام التامّ بحقوق أساطين الإسلام**). وبل الغمام (٢/ ٣٤٢-٣٤٣).

فصل

رمي الرافضة لمن لم يسب الصحابة بأنه ناصبي والرد عليهم

قال ـ رحمه الله ـ: (ربما تجاوز بعض الجهال الشيعة من أهل عصرنا سبَّ الصحابة فيحكم على من لم يسُب بأنه ناصبي!!

وهذه قضية أشدُّ من قضية السب؛ لأن ذلك الجاهل حكم على أهل بيت رسول الله ﷺ أجمع، وعلى جميع العلماء من السلف والخلف بالنصب، والناصبي كافر، فيستلزم هذا الحكمُ تكفير جميع المسلمين وليس بعد هذا الخذلان خذلان، ولا أشنع من هذه الخصلة التي تبكي لها عيون الإسلام، ويضحك لمثلها ثغر الكُفران ! وما درى هذا المخذول أن من كفر مسلمًا واحدًا؛ صار كافرًا بنصوص السنة المطهرة؛ فكيف بمن كفّر جميع المسلمين؟!.... ومن قال لرجل: يا ناصبي ! فكأنه قال له: ياكافر، ومن كفَّر مسلمًا كفركما تقدَّم وقد أحسن من قال:

عليٌّ يظُنُّون بي بُغضَهُ ... فَهلَّا سِوى الكُفْرِ ظَنُّوهُ بي

وقد أراح الله – سبحانه وتعالى – من النَّواصب– وهم الخوارج(١٠٨) ومن

---

(١٠٨) فرقة ضالة خرجت عن الطاعة وفارقت الجماعة، والخوارج كفروا عثمان وعليًّا ومعاوية ومن والاهم، وقتلوا عليَّ بن أبي طالب مستحلين لقتله، وكفروا المسلمين بفعلهم الذنوب واستحلوا دماءهم وأموالهم، وحكموا بخلودهم في نار جهنم خلود الكافرين إذا ماتوا من غير توبة، وقد أجمع الصحابة على قتالهم وقاتلهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ومن معه من الصحابة، قال شيخ الإسلام: (أول البدع ظهورًا في الإسلام وأظهرها ذمًّا في السنة والآثار بدعة الحرورية المارقة) الفتاوى(١٩/ ٧١)، وقال: (حدث في آخر خلافة علي بدعتا الخوارج والرافضة، إذ هي متعلقة بالإمامة والخلافة وتوابع ذلك من الأعمال والأحكام الشرعية) الفتاوى(١٠/ ٣٥٦). وقال الحافظ ابن حجر: (الخوارج إنما خرجوا على عليٍّ بعد قتل عمار بلا خلاف بين أهل العلم بذلك، فإن ابتداء أمر الخوارج كان عقب التحكيم) فتح الباري شرح حديث (٤٤٧)، وقال: (خرج الخوارج على عليٍّ عقب التحكيم في أول سنة ثمان وثلاثين) شرح حديث (٦٣١٨)ويقال لهم الحَرُورية قال الحافظ (الحرورية بفتح المهملة

سلك مسلكهم - فلم يبق منهم أحد؛ إلا شرذمة يسيرة بعُمان، وطائفة حقيرة بأطراف الهند؛ يقال لهم الأباضية [١٠٩]. فليحذر المتحفِّظ من إطلاق مثل هذه اللفظة على أحد من أهل الإسلام غير هؤلاء؛ فإنَّه بمجرَّد ذلك الإطلاق يَخرُج عن الإسلام، وهذا ما لا يفعله عاقل بنفسه.

مَا يَبْلُغ الأَعْدَاءُ مِنْ جَاهِلٍ مَا يَبْلُغ الجَاهِلُ مِنْ نَفْسِهِ

ومن العجائب أن سمعنا من جُهَّال عصرنا من يطلق اسم النصب على من قرأ في كتب الحديث، بل على من قرأ في سائر علوم الاجتهاد! ويطلقونه أيضًا على أئمة الحديث ! وأهل المذاهب الأربعة ! وهذه مصيبة مهلكة لدين من تساهل في ذلك، ولا يكون إلا أحد رجلين: إما جاهل لا يدري ما النصب ؟ ولا ما هو ناصبي؟ أو غير مبالٍ بهلاك دينه، ومن كان بهذه المنـزلة لا ينتفع بهذا النصح الذي أودعناه هذه الرسالة، وليس علينا إلا القيام بعهدة البيان للناس الذي أوجبه الله ورسوله علينا ليهلك من هلك عن بينة) تنبيه الغبي ضمن الفتح الرباني ص٨٧٢-٨٧٦.

وضم الراء نسبة إلى حروراء وهي القرية التي كان ابتداء خروج الخوارج على عليٍّ منها) شرح حديث (٤٧٢٨)، وانظر معتقد الخوارج وسبب خروجهم على عليٍّ نيل الأوطار (م٤،ج٧/ ١٥٨-١٦٠) باب قتال الخوارج وأهل البغي.

(١٠٩) هي فرقة من فرق الخوارج، أتباع عبدالله بن أباض قال الحافظ: (عبد الله بن أباض التميمي الأباضي: رأس الأباضية من الخوارج وهم فرقة كبيرة، وكان هو فيما قيل رجع عن بدعته، فتبرأ أصحابه منه واستمرت نسبتهم إليه ومن مقالتهم: أن من أتى كبيرة فقد جهل الله فهو كافر، لجهله بالله لا لإتيانه الكبيرة). لسان الميزان ترجمة رقم (٤٤٩٥). وقال الشيخ عبدالرزاق عفيفي: (الأباضية: هم أتباع عبد الله بن أباض التميمي، الذي خرج أيام مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية، قال: إن مخالفينا من أصل القبلة كفار غير مشركين، وأباح الحرب لا غير، وحرم قتلهم، وسبيهم غيلة، وأباح ذلك بعد إقامة الحجة، ونصب القتال. وقال: مرتكب الكبيرة موحد لا مؤمن، وكافر نعمة لا كفرًا يخرج من الملة، وأنه مخلَد في النار..). فتاوى ورسائل سماحة الشيخ عبدالرزاق عفيفي ص (٣٣٦) دار الفضيلة – دار ابن حزم.

فصل

في دفاع الشوكاني عن أبي بكر الصديق ﷺ

قال الإمام البخاري: - حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهري قال حدثني عروة بن الزبير عن عائشة أن فاطمة - عليها السلام - أرسلت إلى أبي بكر تسأله ميراثها من النبي ﷺ - فيما أفاء الله على رسوله ﷺ تطلب صدقة النبي ﷺالتي بالمدينة وفَدَك وما بقي من خمس خيبر-، فقال أبو بكر: إن رسول الله ﷺقال: «**لَا نُوَرّث؛ مَا تَرَكْنَا فَهُو صَدَقَةٌ**» إنما يأكل آل محمد من هذا المال يعني مال الله ليس لهم أن يزيدوا على المأكل وإني والله لا أغير شيئًا من صدقات النبيﷺ التي كان عليها في عهد النبي ﷺ ولأعملن فيها بما عمل فيها رسول الله ﷺ فتشهد عليٌّ ثم قال: إنا قد عرفنا يا أبا بكر فضيلتك وذكر قرابتهم من رسول الله ﷺ وحقهم فتكلم أبو بكر فقال: والذي نفسي بيده لقرابة رسول الله ﷺ أحب إليَّ أن أصل من قرابتي.كتاب المناقب باب مناقب قرابة رسول الله ومنقبة فاطمة عليها السلام بنت النبي ﷺ. ح ٣٧١١ ورواه مسلم كتاب الجهاد والسير باب قول النبي لا نورث ما تركناه فهو صدقة ح ١٧٥٩.

وروى الإمام البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**لَا يَقْتَسِمُ وَرَثَتِي دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، مَا تَرَكْتُ بَعْدَ نَفَقَةِ نِسَائِي وَمَئُونَةِ عَامِلِي، فَهُو صَدَقَةٌ**» البخاري ح(٢٧٧٦) و مسلم ح(١٧٦٠).

قال الإمام الشوكاني: قوله « **لَا نُوَرّثُ** » بالنون وهو الذي توارد عليه أهل الحديث في القديم والحديث كما قال الحافظ في الفتح، وما تركنا في موضع الرفع بالابتداء وصدقة خبره. **وقد زعم الرافضة أن لا نورث بالياء التحتانية، وصدقة بالنصب على الحال، وما تركناه في محل رفع على النيابة، والتقدير لا يورث الذي تركناه حال كونه صدقة، وهذا خلاف ما جاءت به الرواية ونقله الحفاظ، وما**

ذلك بأول تحريف من أهل تلك النحلة ويوضح بطلانه ما في حديث أبي هريرة المذكور في الباب بلفظ « فَهُوَ صَدَقَةٌ » وقوله « لَا تَقْتَسِمُ وَرَثَتِي دِينَارًا » وقوله: (أن النبي لا يورث) ومما ينادى على بطلانه أيضا أن أبا بكر أحتج بهذا الكلام على فاطمة - رضي الله عنها - فيما التمسته منه من الذي خلفه رسول الله ﷺ من الأراضي وهما من أفصح الفصحاء وأعلمهم بمدلولات الألفاظ فلو كان اللفظ كما تقرؤه الروافض لم يكن فيما أحتج به أبو بكر حجة، ولا كان جوابه مطابقًا لسؤالها..............، ونبه بقوله دينارًا بالأدنى على الأعلى وظاهر الأحاديث المذكورة في الباب أن الأنبياء لا يورثون وإن جميع ما تركوه من الأموال صدقة، ولا يعارض ذلك قوله تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾ [النمل: ١٦] فإن المراد بالوراثة المذكورة وراثة العلم لا المال كما صرح بذلك جماعة من أئمة التفسير. نيل الأوطار (م٣/ ج٢/ ص٧٧).

والرافضة يعيبون على أبي بكر قتاله مانعي الزكاة بعد وفاة رسول الله ﷺ وقد نقل الشوكاني - رحمه الله - كلامًا مهمًّا للخطابي في هذه المسألة قال الخطابي:

(وقد زعم زاعمون من الرافضة أن أبا بكر أول من سبى المسلمين، وأن القوم كانوا متأولين في منع الصدقة[١١٠]، وكانوا يزعمون أن الخطاب في قوله

(١١٠) قال - رحمه الله -: (لقد أجمع الصحابة ﷺعلى قول أبي بكر الصديق ﷺ: (والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة) فقاتل هو والصحابةﷺ المانعين من الزكاة وحدها وحكموا عليهم بالردة وسمَّوا قتالهم قتال أهل الردة) الفتح الرباني ص (١٨٣٤) وقال رحمه الله: (وقد بينا أن أهل الردة كانوا أصنافًا: منهم من ارتد عن الملة ودعا إلى نبوة مسيلمة وغيره، ومنهم من ترك الصلاة والزكاة وأنكر الشرائع كلها، وهؤلاء هم الذين سماهم الصحابة كفارًا ولذلك رأى أبو بكر سبي ذراريهم، وساعده على ذلك أكثر الصحابة واستولد علي بن أبي طالب جارية من سبي بني حنيفة فولدت له محمد بن الحنفية، ثم لم ينقض عصر الصحابة حتى أجمعوا على أن المرتد لا يسبى فأما مانعو الزكاة منهم المقيمون على أصل الدين فإنهم أهل بغي، ولم يسموا على الانفراد كفارًا، وإن كانت الردة قد أضيفت إليهم لمشاركتهم المرتدين في منع بعض ما منعوه من حقوق الدين، وذلك أن الردة اسم لغوي، فكل من انصرف عن أمر كان مقبلًا عليه فقد ارتد عنه، وقد وجد من هؤلاء القوم الانصراف عن الطاعة ومنع الحق، وانقطع

تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾ [التوبة: ١٠٣] خطاب خاص في مواجهة النبي ﷺ دون غيره وأنه مقيد بشرائط لا توجد فيمن سواه؛ وذلك أنه ليس لأحد من التطهير والتزكية والصلاة على المتصدق ما كان للنبي ﷺ، ومثل هذه الشبهة إذا وجدت كان ذلك مما يعذر فيه أمثالهم ويرفع به السيف عنهم، وزعموا أن قتالهم كان عسفًا، وهؤلاء قوم لا خلاق لهم في الدين وإنما رأس مالهم البهت والتكذيب والوقيعة في السلف) نيل الأوطار (م٢/ ج٢/ ١٢٠).

وأما عن ورع أبي بكر وزهده فقد قالت عائشة - رضي الله عنها -: لما استخلف أبو بكر الصديق قال: لقد علم قومي أن حرفتي لم تكن تعجز عن مئونة أهلي، وشغلت بالمسلمين، وسيأكل آل أبي بكر من هذا المال، وأحترف للمسلمين) رواه البخاري.

قال الشوكاني معلقًا: (وفي قصة الصديق قدوة حسنة... فانظر ما في هذا الكلام الصادر عن الصديق من الفوائد التي ينبغي لمن يعمل عملًا للمسلمين أن يقتدي بها، ويمشي على سننها فإنه قال: لقد علم قومي أنَّ حرفتي لم تكن تعجز عن مئونة أهلي فقدّم هذه المقدمة أمام المقصد الذي يريده ليعلم الصحابة أنه لا يأخذ من بيت مالهم لنفسه شيئًا يستأثر به دونهم، لكونه قد صار إمامًا لهم، ومالكًا لأمرهم بل الذي يأخذه هو أجرة عوضًا عن عمله الذي كان يعمله ليعود به على أهله وهي الحرفة التي كان يرتزق بها هو وأهله، وقد كانت تقوم بكفايته، ولا يعجز عنه حتى يحتاج إلى غيرها، وهو الآن قد صار مشتغلًا بالاحتراف للمسلمين في أمورهم العامة والخاصة، وغير مُمكَّنٍ من العمل في حرفته الأصلية فهو لا يطلب منهم إلا ما كان يحصلّه من حرفته الخاصة به، وهو الكفاية والكفاف على وجه يكون الحاصل له من بيت مال المسلمين في كل يوم ما كان

عنهم اسم الثناء والمدح وعلق بهم الاسم القبيح؛ لمشاركتهم القوم الذين كان ارتدادهم حقًا) نيل الأوطار (٢/ ٢/ ١٢٠)

يحصل له من حرفته في كل يوم، ولم يجعل لنفسه فَرقًا بين حاله وهو سُوَقَةٌ، وحاله وهو ملك، ولا بين كونه كان يدور في الأسواق كأحد المسلمين، وبين كونه صار أمير المؤمنين **فلله درُّ هذا الورع الشحيح، والصلابة الشديدة، والدين القوي.**) الفتح الرباني ص (٤٤٥٢-٤٤٥٣).

(... وهكذا بعد أيام النبوة، فإن الخلفاء الراشدين يجعلون لأنفسهم نصيبًا من بيت المال يقوم بما يحتاجون إليه لأنفسهم، ولمن يعولون، على وجه العدل، وعلى طريقة الزهد، **وهم أزهد العباد في الدنيا وفي الاشتغال بها**، كذلك من كان منهم بعد انقضاء خلافة النبوة التي يقول فيها الصادق المصدوق الخلافة بعدي ثلاثون عامًا، ثم تكون ملكًا عضوضًا فإن هذه المدة انقضت بخلافة الحسن السبط، ثم كانت من بعده ملكًا عضوضًا، وفيها أعني المدة التي بعد انقضاء مدة الخلافة القيام بحفظ بيضة الإسلام، وجهاد الكفار، وفتح ما لم يكن فتح من الأقطار) الفتح الرباني ص (٤٦٦٦-٤٦٦٧).

فصـل

في دفاعه عن عمر الفاروق ﷺ

من شدة بغض هؤلاء الرافضة للفاروق عمر ﷺ ادعاؤهم أن الصحابة ﷺ كانوا يسكتون عن إظهار الحق؛ لأن عمر ﷺ كان مَهيبًا مُنَفِّذًا لرأيه، فقال الإمام الشوكاني:

(لا ينبغي لمؤمن يؤمن بالله واليوم الآخر، ويعرف ما عظّمه الله ورسوله من حق الصحابة أن يقول بمثل هذه المقالة، أو يظن بالصحابة أنهم يكتمون ما عندهم من العلم هيبةً لعمر أو غيره، فقد كانوا يراجعونه ويدفعون كثيرًا من أقواله، ويقبلُ ذلك ولا يغضبُ ولا ينكرهُ.... ومراجعته هو وجماعة من الصحابة مدونة في كتب الحديث والسير يعرفها كل أحد) الفتح الرباني ص (٤٧٥٥).

وقال - رحمه الله -: (وليس لمنكر أن ينكر على أولياء الله ما يقع منهم من المكاشفات الصادقة الموافقة للواقع. فهذا باب قد فتحه رسول الله ﷺ، كما ثبت في الصحيحين عنه ﷺ أنه قال: « **قَدْ كَانَ فِي الأُمَمِ قَبْلَكُمْ مُحَدَّثُونَ، فَإِنْ يَكُنْ فِي أُمَّتِي أَحَدٌ مِنْهُم فَعُمَرُ مِنْهُمْ** ».[١١١] وفي لفظ في الصحيح: « **إِنَّ فِي هَذِهِ الأُمَّةِ مُحَدَّثِينَ، وَإِنَّ مِنْهُمْ عُمَرَ** »).والمحدث: الصادق الظن، المصيب الفراسة، وقد كان عمر ﷺ مع كونه مشهودًا له بأنه من المحدثين بالنص النبوي يشاور الصحابة ويشاورنه، ويراجعهم ويراجعونه، ويحتج عليهم بالكتاب والسنة، ويرجعون جميعًا إليهما، ويردون ما اختلفوا فيه إلى ما أمر الله بالرد إليه من الرد إلى الله

(١١١) من حديث أبي هريرة ﷺ رواه البخاري في كتاب فضائل الصحابة باب مناقب عمر ﷺ ح (٣٦٨٩)، رواه مسلم من حديث عائشة - رضي الله عنها - في كتاب فضائل الصحابة باب فضائل عمر ﷺ ح (٢٣٩٨).

سبحانه وإلى رسوله ﷺ، فالرد إلى الله هو الرد إلى كتابه والرد إلى رسول الله ﷺ بعد موته هو الرد إلى ما صح من سنته، فحق للولي وإن بلغ في الولاية إلى أعلى مقام وأرفع مكان أن يكون مقتديًا بالكتاب والسنة، وازنًا لأفعاله وأقواله بميزان الشريعة المطهرة، واقفًا على الحد الذي رسم فيها، غير زائغ عنها في شيء من أموره(١١٢) وقد تكون المكاشفة من رجل جعله الله - سبحانه - من المحدثين حسبما سبق تحقيق ذلك وهذه طريقة أثبتها الشرع وصح بها الدليل. والغالب أن ذلك لا يكون إلا من خلص المؤمنين، وهذا التحديث هو شيء يوقعه الله في روع من كتب له ذلك، فيلقيه إلى الناس فيكون مطابقًا للواقع، وليس من الكهانة ولا من باب النجامة والرمل ولا من باب تلقين الشياطين كما كان يقع لعمر ﷺ) قطر الولي (٢٤٩-٢٥٤).

(وكم للصحابة ﷺ، من الكرامات التي يصعب حصرها - وسنشير إلى بعضها قريبًا -، ولو لم يكن منها إلا إجابة دعاء كثير منهم. وقد عرفناك أن إجابة الدعاء هي أكبر كرامة، ومن أكرمه الله بذلك دعاء بها يشاء كيف يشاء من جليل، الأمور، وحقيرها، وكبيرها، وصغيرها، وفي كتب الحديث والسير من ذلك الكثير الطيب،...... ومن نظر إلى ما وهبه الله - سبحانه - للصحابة ﷺ لم يستبعد شيئًا مما وهبه الله - عز وجل - لأوليائه ويصعب الإحاطة بأكثر ذلك فضلًا عن كله. وقد قدمنا الإشارة إلى كراماتهم إجمالًا، ونذكر الآن بعض

---

(١١٢) قال - رحمه الله -: (وإذا عرفت أنه لا بد للولي من أن يكون مقتديًا في أقواله وأفعاله بالكتاب والسنة، وأن ذلك هو المعيار الذي يعرف به الحق من الباطل، فمن ظهر منه شيء مما يخالف هذا المعيار فهو رد عليه، ولا يجوز لأحد أن يعتقد فيه أنه ولي الله، فإن أمثال هذه الأمور تكون من أفعال الشياطين، كما نشاهده في الذين لهم أتباع من الجن، فإنه قد يظهر على يده ما يظن من لم يستحضر هذا المعيار أنه كرامة. وهو في الحقيقة مخارق شيطانية وتلبيسات إبليسية. ولهذا تراه يظهر من أهل البدع، بل من أهل الكفر وممن يترك فرائض الله سبحانه ويتلوث بمعاصيه؛ لأن الشيطان أميل إليهم للاشتراك بينه وبينهم في مخالفة ما شرعه الله سبحانه لعباده،......) قطر الولي (٢٥٢-٢٥٣).

كراماتهم على التفصيل والتعيين.

وأرسل عمر بن الخطاب ﷺ جيشًا مع رجل يسمى سارية فبينما عمر يخطب جعل يصيح على المنبر: يا سارية الجبل، فقدم رسول الجيش فسأله عمر فقال: (يا أمير المؤمنين لقينا عدونا فهزمونا، فإذا بصائح يقول: يا سارية الجبل، يا سارية الجبل، فأسندنا ظهورنا بالجبل فهزمناهم) (١١٣).

...... وانظر إلى قول عمر ﷺ: يا سارية الجبل مع كونه في المدينة يخطب في منبرها، وسارية ومن معه من المسلمين في أقاصي بلاد العجم فأطلعه الله على الحرب الذي هم فيه حتى كأنه مشاهد لهم، وأسمعهم الله صوته فنفعهم به وسلموا من معرة الكفار مع أن ذهنه في تلك الحالة كان مشغولًا بالخطابة التي هي محتاجة إلى جمع الفهم عليها، وإفراغ الذهن لها، وعدم الاشتغال بغيرها، لكون ذلك في مجمع الصحابة ﷺ، وهم أهل الفصاحة التامة والبلاغة الفائقة.

فانظر إلى ما منح الله هذا الرجل من المواهب العظيمة من كل باب: جعله خليفة للمسلمين وإمامهم ثم فتح الله له أقطار الأرض، وكانت دولته مثلًا مضروبًا لكل دولة جامعة بين كمال الحزم والورع، والعمل بالشريعة الواضحة ثم جعل له من المهابة في الصدور ما لا تبلغ إليه المهابة لعادل أو جائر، حتى قال الناس: إن درته أهيب في الصدور من سيف الحجاج الذي قتل من عباد الله ظلمًا وعدوانًا نحو مائة وعشرين ألفًا.

وكان ابن عباس ﷺ يقول: إذا عوتب على قول لم يقله في أيام عمر، أو على فتيا لم يفت بها في زمانه: كان عمر مهيبًا فهبته. ولقد صدق حين قال: إن سعادة المسلمين طويت في أكفان عمر؛ لأن معظم الفتوح الإسلامية فيها، ثم حدث بعده ما حدث من الاختلاف العظيم في آخر أيام الإمام المظلوم الشهيد عثمان بن عفان ﷺ. وما زالت بعد قتله سيوف الإسلام مختلفة، من بعضهم على بعض إلى

---

(١١٣) انظره في الصحيحة رقم (١١١٠).

هذه الغاية، وأنت إذا كنت عالمًا بأخبار الناس عارفًا بما اشتملت عليه تواريخ أهل الإسلام لم تشك في هذا، ولأجل هذه المزية العمرية قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ، لما رأى عمر في أكفانه: ما أحب أن ألقى الله بعمل رجل من الناس إلا بعمل هذا. وإنما يعرف الفضل لأهل الفضل ذوو الفضل). قطر الولي (٢٥٩، ٢٦٢، ٢٦٦-٢٦٧، ٥٣٢-٥٣٣).

وأشار - رحمه الله - إلى كلام لصاحب شفاء الأوام فيما يتعلق بزواج الفاروق عمر بن الخطاب من أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب - رضي الله عن الجميع - ثم قال: (وأما ما أجاب به عن نكاح عمر لأم كلثوم فهذيان لا طائل تحته، وحاشا علي بن أبي طالب ﷺ أن يُفتأت عليه في ابنته أو يُؤخذ بالقهر في محارمه، وحاشا عمر ﷺ أن يُردَّ من نكاح يطلبه ولا سيما وهو إذ ذاك خليفة، أو يتوعد بذلك الوعيد الذي هو من أخلاق الجبابرة، وما كان أولى كتب الهداية بأن تصان من هذه الأكاذيب التي هي من باطل الكلام وحَشْوه. قال ابن برهان: وهذا ونحوه مما لا أصل له، وإنما هو من حشو الرافضة. اهـ ولقد أفسدوا بحشوهم غير ما مسألة، ولا سيما على من لم يتعب نفسه في المعارف العلمية، فحشا الله قلوبهم نارًا، وأدال منهم، وما أقبح قوله: كان عقدًا من غير دخول. فإن هذا كلام من لا يعرف من هذا العلم شيئًا؛ فإن أم كلثوم ولدت لعمر زيدًا، وهذا أشهر من نار على علم....) وبل الغمام (١/ ٢٧-٢٨).

فصل

في دفاعه عن عثمان وعن علي - رضي الله عنهما -

قال صاحب شفاء الأوام: في عثمان ﷺ (فأجرى قتله مجرى المباح) قال الشوكاني - رحمه الله -: يأبى الله والمسلمون، ويأبى أمير المؤمنين - كرم الله وجهه - أن يكون مباحًا عنده قتل رجل من أكابر الصحابة، وقدمائهم، وعلمائهم، وقد شهد مشاهد رسول الله ﷺ، وصلّى إلى القبلتين وهاجر، وزوَّجه ابنتيه ومات وهو عنه راضٍ، وبشَّره بالجنة، وقال في جيش العُسرة: « **مَا ضَرَّ عُثْمَان مَا فَعَلَ بَعْدَ اليَوْمِ** »(١١٤) فإن المباح إنما هو قتل الكافر الحربي، ولكن المصنف - رحمه الله - كثير التَّعجرف في عبارات كتابه هذا.

وقد صح عن - أمير المؤمنين - على بن أبي طالب، أنه من جملة المدافعين عن عثمان، حتى أرسل أولاده للدَّفع عنه، ووقعت في بعضهم جراحات. ولمَّا قُتل عثمان شتم عليٌّ بعض أولاده، وضرب البعض، ولطم البعض، ولعن آخرين. فأُعيذه بالله أن يكون عنده دم مثل هذا الصحابي من المباحات).(١١٥) وبل الغمام (٢/ ٤٠٢-٤٠٣).

---

(١١٤) من حديث عبدالرحمن بن سمرة ﷺ، رواه الترمذي كتاب المناقب باب في مناقب عثمان ح (٣٧٠١)، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي.

(١١٥) وإليك بعض الآثار الثابته التي توضح موقف - أمير المؤمنين - علي بن أبي طالب ﷺ من فتنة قتل عثمان بن عفان ﷺ روى ابن أبي شيبة في المصنف بسند حسن إلى أبي قلابة الجرمي قال: جاء الحسن بن علي ﷺ إلى عثمان ﷺ فقال: أخترط سيفي، قال: لا، وأبرأ إلى الله إذًامن دمك، ولكن ثُمَّ سيفك - أي أحكمه ولا تخرجه من مكانه - وارجع إلى أبيك. وروى خليف بن خياط في التاريخ بسند صحيح إلى ابن سيرين قال: انطلق الحسن والحسين وابن عمر وابن الزبير ومروان، كلهم شاكي السلاح - ذوو شوكة وحدة في سلاحهم -، حتى دخلوا الدار، فقال عثمان ﷺ: أعزم عليكم لما رجعتم فوضعتم أسلحتكم ولزمتم بيوتكم، فخرج ابن عمر والحسن وقال ابن الزبير ومروان: ونحن نعزم على أنفسنا أن لا نبرح.

وروى ابن سعد في الطبقات بسند صحيح إلى ابن سيرين قال: كان مع عثمان ﷺ يومئذ في

فصل

في دفاعه عن أمهات المؤمنين - رضي الله عنهن -

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ

الدار سبعمائة لو يدعهم لضربوهم - إن شاء الله - حتى يخرجوهم من أقطارها منهم ابن عمر، والحسن بن علي، وعبدالله بن الزبير. وروى البخاري بسند حسن عن كنانة مولى صفية - رضي الله عنها - قال: كنت أقود بصفية لترد عن عثمان ﷺ، فلقيها الأشتر فضرب وجه بغلتها حتى مالت فقالت: ردوني، ولا يفضحني هذا الكلب. وكنت فيمن حمل الحسن ﷺ جريحًا ورأيت قاتل عثمان ﷺ من أهل مصر يقال له: جَبَلَة.

وروى خليفة بسنده الصحيح أن الحسن بن علي ﷺ كان آخر من خرج من عند عثمان ﷺ. وروى ابن سعد في الطبقات بسنده الصحيح إلى راشد بن كيسان أبي فزارة العبسي أن عثمان ﷺ بعث إلى علي ﷺ وهو محصور في الدار أن ائتني، فقام بعض أهل علي ﷺ حتى حبسه وقال: ألا ترى إلى ما بين يديك من الكتائب ؟ لا تخلص إليه، وعلى علي ﷺ عمامة سوداء فنقضها على رأسه ورمى ثم رمى بها إلى رسول عثمان ﷺ وقال: أخبره بالذي قد رأيت. ثم خرج علي ﷺ من المسجد حتى انتهى إلى أحجار الزيت في سوق المدينة فأتاه قتله: فقال: اللهم إني أبرأ إليك من دمه أن أكون قتلت أو مالأت على قتله. وروى ابن أبي شيبة في المصنف بسند صحيح إلى ابن سيرين أنه قال: ما علمت أن عليًّا ﷺ اتهم في قتل عثمان ﷺ حتى بويع اتهمه الناس.

وروى عبد الرزاق بسنده الصحيح إلى ابن عباس ﷺ أنه قال: سمعت عليًّا ﷺ يقول: والله ما قتلت عثمان ﷺ ولا أمرت بقتله. ولكني غلبت.انظر هذه الأثار وبيان ثبوتها في الكتاب النافع المفيد فتنة مقتل عثمان بن عفان للدكتور محمد الصبحي وفقه الله. وروى الإمام أحمد في فضائل الصحابة باب فضائل عثمان ﷺ بسنده إلى محمد ابن الحنفية قال: بلغ عليًّا ﷺأن عائشة - رضي الله عنها - تلعن قتلة عثمان ﷺ في المربد، قال: فرفع يديه حتى بلغ بهما وجهه فقال: وأنا ألعن قتلة عثمان ﷺ، ولعنهم الله في السهل والجبل، قال مرتين أو ثلاثًا. اهـ أثر رقم (٧٣٣)، قال المحقق إسناده صحيح. وقال شيخ الإسلام ابن تيمية (فإن عليًّا ﷺ نسبه إلى قتل عثمان كثير من شيعته ومن شيعة عثمان، هؤلاء لبغضهم لعثمان وهؤلاء لبغضهم لعليٍّ، وأما جماهير المسلمين فيعلمون كذب الطائفتين على عليّ) منهاج السنة (٤/ ٣٤٤) (وكان عليٌّ يحلف - وهو الصادق البار - إني ما قتلت عثمان، ولا أعنت على قتله، ويقول: اللهم شتت قتلة عثمان في البر، والبحر، والسهل، والجبل) الفتاوى (٢٧/ ٤٧٧).

أُمَّهَٰتُهُمۡ﴾ [الأحزاب: ٦].

قال الشوكاني - رحمه الله - في تفسير الآية: (أي مثل أمهاتهم في الحكم بالتحريم ومُنَـزَّلات منـزلتهن في استحقاق التعظيم فلا يحل لأحد أن يتزوج بواحدة منهن كما لا يحل له أن يتزوج بأُمِّه، فهذه الأمومة مختصة بتحريم النكاح لهن وبالتعظيم لجنابهن) .

فصـل

في تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِۚ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ﴿٣٢﴾ وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰۖ وَأَقِمۡنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ﴿٣٣﴾ وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلۡحِكۡمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ **[الأحزاب:٣٢ ـ ٣٤].**

(أي: إنما أوصاكنّ الله بما أوصاكنّ من التقوى، وأن لا تخضعن بالقول، ومن قول المعروف، والسكون في البيوت وعدم التبرّج، وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، والطاعة ليذهب عنكم الرجس أهل البيت، والمراد بالرجس: الإثم والذنب المدنسان للأعراض الحاصلان بسبب ترك ما أمر الله به، وفعل ما نهى عنه، فيدخل تحت ذلك كل ما ليس فيه لله رضا...... ﴿وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا﴾ أي: يطهركم من الأرجاس والأدران تطهيرًا كاملًا. وفي استعارة الرجس للمعصية والترشيح لها بالتطهير تنفير عنها بليغ، وزجر لفاعلها شديد.

وقد اختلف أهل العلم في أهل البيت المذكورين في الآية، **فقال ابن عباس وعكرمة وعطاء والكلبي ومقاتل وسعيد بن جبير: إن أهل البيت المذكورين في الآية هن زوجات النبي ﷺ خاصة**، وقالوا: والمراد بالبيت بيت النبي ﷺ ومساكن زوجاته لقوله: ﴿وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ [الأحزاب: ٣٤]، وأيضا السياق في الزوجات من قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ﴾ إلى قوله: ﴿وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلۡحِكۡمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢٨-٣٤].

وقال أبو سعيد الخدري ومجاهد وقتادة وروي عن الكلبي أن أهل البيت

المذكورين في الآية هم علي وفاطمة والحسن والحسين خاصة، ومن حججهم الخطاب في الآية بما يصلح للذكور لا للإناث وهو قوله: عنكم وليطهركم، ولو كان للنساء خاصة لقال: عنكن، ويطهركن، وأجاب الأولون عن هذا أن التذكير باعتبار لفظ الأهل كما قال سبحانه: ﴿أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ [هود: ٧٣]، وكما يقول الرجل لصاحبه: كيف أهلك ؟ يريد زوجته أو زوجاته فيقول: هم بخير

ولنذكر هاهنا ما تمسك به كل فريق: أما الأولون فتمسكوا بالسياق، فإنه في الزوجات كما ذكرنا، وبما أخرجه ابن أبي حاتم، وابن عساكر من طريق عكرمة عن ابن عباس في قوله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ قال: نزلت في نساء النبي ﷺ خاصة وقال عكرمة: من شاء باهلته أنها نزلت في أزواج النبي ﷺ، وأخرج نحوه ابن مردويه من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس، وأخرج ابن جرير وابن مردويه عن عكرمة نحوه وأخرج ابن سعد عن عروة نحوه.

وأما ما تمسك به الآخرون فأخرج الترمذي وصححه، وابن جرير، وابن المنذر، والحاكم وصححه، وابن مردويه والبيهقي في سننه من طرق عن أم سلمة قالت: في بيتي نزلت ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ وفي البيت فاطمة وعلي والحسن والحسين فجللهم رسول الله ﷺ بكساء كان عليه ثم قال: « **هَؤُلَاء أَهْلُ بَيْتِي فَأَذْهِبْ عَنْهُمُ الرِّجْسَ وَطَهِّرهُمْ تَطْهِيرًا** »(١١٦). وأخرج ابن أبي شيبة وأحمد ومسلم وابن جرير وابن أبي حاتم والحاكم عن عائشة قالت: خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ غَدُاةً وَعَلَيهِ مرط مرجل مِنْ شَعْر أَسْوَدٍ، فَجَاءَهُ الْحَسَنُ وَالْحُسَينُ فَأَدْخَلَهُمَا مَعَه، ثُمَّ جَاءتْ فَاطِمَة فَأَدْخَلَهَا مَعَهُ، ثُمَّ جَاءَ عليٌّ فَأَدْخَله مَعَه، ثُمَّ قَال:

---

(١١٦) رواه الترمذي في كتاب المناقب باب ما جاء في فضل فاطمة بن محمد ﷺ ح (٣٨٧١)، وهو في صحيح الترمذي.

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾»(١١٧)، وأخرج ابن أبي شيبة وأحمد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني والحاكم وصححه والبيهقي في سننه عن واثلة بن الأسقع قال: جاء رسول الله ﷺ إلى فاطمة ومعه علي وحسن وحسين حتى دخل، فأدنى عليًّا وفاطمة وأجلسهما بين يديه وأجلس حسنًا وحسينًا كل واحد منهما على فخذه ثم لف عليهم ثوبه وأنا مستدبرهم ثم تلا هذه الآية ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ وقال: « **اللَّهُمَّ هَؤُلَاء أَهْل بَيتِي، اللَّهُمَّ أَذْهِبْ عَنْهُمْ الرِّجْسَ وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيرًا**» قلت: يا رسول الله وأنا من أهلك ؟ قال: « **وَأَنْتَ مِنْ أَهْلِي** » قال واثلة: إنه لأرجي ما أرجوه(١١٨)،...... وأخرج مسلم عن زيد بن أرقم أن رسول الله ﷺ قال: « **أُذَكِّرُكُمُ الله فِي أَهْلِ بَيْتِي** » فقيل لزيد: ومن أهل بيته ؟ أليس نساؤه من أهل بيته ؟ قال: نساؤه من أهل بيته ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده: آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل العباس (١١٩). وفي الباب أحاديث وآثار وقد ذكرنا هاهنا ما يصلح للتمسك به دون ما يصلح.

وقد توسطت طائفة ثالثة بين الطائفتين فجعلت هذه الآية شاملة للزوجات ولعلي وفاطمة والحسن والحسين، أما الزوجات فلكونهن المرادات في سياق هذه الآيات - كما قدمنا -، ولكونهن الساكنات في بيوته ﷺ النازلات في منازله، ويعضد ذلك ما تقدم عن ابن عباس وغيره، وأما دخول علي وفاطمة والحسن والحسين فلكونهم قرابته وأهل بيته في النسب، ويؤيد ذلك ما ذكرناه من الأحاديث المصرحة؛ بأنهم سبب النزول، فمن جعل الآية خاصة بأحد الفريقين فقد أعمل بعض ما يجب إعماله وأهمل ما لا يجوز إهماله، وقد رجح هذا القول

---

(١١٧) رواه مسلم في كتاب فضائل الصحابة باب فضائل أهل بيت النبي ﷺ ح (٢٤٢٤).

(١١٨) رواه أحمد ح (١٦٩٨٨)، وقد رواه بلفظ المصنف الطبري وغيره انظر تفسير الطبري ح (٢٨٤٩٤)، وضعفه الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/ ١٦٧).

(١١٩) رواه مسلم في كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل علي بن أبي طالب ح (٢٤٠٨).

جماعة من المحققين منهم القرطبي وابن كثير وغيرهما، وقال جماعة: هم بنو هاشم واستدلوا بما تقدم من حديث ابن عباس وبقول زيد بن أرقم المتقدم حيث قال: ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده: آل علي، وآل عقيل، وآل جعفر، وآل العباس فهؤلاء ذهبوا إلى أن المراد بالبيت: بيت النسب. اهـ وقد قال - رحمه الله - في كتابه در السحابة في مناقب زوجات النبي ﷺ: فذكر مناقب خديجة بنت خويلد - رضي الله عنها - ثم ذكر مناقب عائشة - رضي الله عنها - ثم ذكر مناقب حفصة رضي الله عنها ثم ذكر مناقب أم سلمة - رضي الله عنها - ثم ذكر مناقب سودة بنت زمعة - رضي الله عنها - ثم ذكر مناقب زينب بنت جحش - رضي الله عنها - ثم ذكر مناقب زينب بنت خزيمة الهلالية - رضي الله عنها - ثم ذكر مناقب ميمونة بنت الحارث - رضي الله عنها -، ثم قال: (هؤلاء الزوجات ورد لهن من المناقب من ذكرناه. وبقية زوجاته وسراريه إذا لم يرد ما يخص كل واحدة منهن فيكفيهن الاتصال بخير البشر وسيد ولد آدم عليه أفضل الصلاة والتسليم. وأيضًا نزول القرآن فيهن ومخاطبة الرب سبحانه لهن على العموم، وأجل منقبة، وأكثر فضيلة - رضي الله عنهن -). در السحابة في مناقب القرابة والصحابة ص (٢٤٦-٢٦٢).

فصل

في كفر من يرمي أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - بالفاحشة

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١١].

قال الشوكاني - رحمه الله - في تفسير الآية: (الإفك أسوأ الكذب وأقبحه، وهو مأخوذ من أفك الشيء إذا قلبه عن وجهه، فالإفك هو الحديث المقلوب، وقيل هو البهتان، وأجمع المسلمون على أن المراد بها في الآية ما وقع من الإفك على عائشة أم المؤمنين، وإنما وصفه الله بأنه إفك؛ لأن المعروف من حالها - رضي الله عنها - خلاف ذلك[(١٢٠)]).

---

(١٢٠) والرافضة (يرمون عائشة رضي الله عنها بالعظائم، ثم منهم من يرميها بالفاحشة التي برَّأها الله منها، وأنزل القرآن في ذلك.... وضاهوا في ذلك المنافقين والفاسقين أهل الأفك الذين رموا عائشة - رضي الله عنها - بالإفك والفاحشة ولم يتوبوا، وفيهم خطب النبي ﷺ فقال: من يعذرني من رجل بلغني اذاه في أهلي، والله ما علمت على أهلي إلا خيرًا، ولقد ذكروا رجلًا والله ما علمت عليه إلا خيرًا. ومن المعلوم أنه من أعظم أنواع الأذى للإنسان أن يَكذَب على امرأته رجل ويقول إنها بغي ويجعل الزوج زوج قحبة، فإن هذا من أعظم ما يشتم به الناس بعضهم بعضا، حتى أنهم يقولون في المبالغة شتمه بالزاى والقاف مبالغة في شتمه) منهاج السنة (٤/ ٣٤٥-٣٤٦) وقال - رحمه الله -: (فأما من سب أزواج ﷺ النبي فقال القاضي أبو يعلى: من قذف عائشة بما برأها الله منه كفر - بلا خلاف -، وقد حكى الإجماع على ذلك غير واحد، وصرح غير واحد من الأئمة بهذا الحكم) الصارم المسلول على شاتم الرسول ﷺ (٤٢١) قال الإمام ابن كثير: عند تفسير قوله - تعالى -:﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ٢٣] (هذا وعيد من الله تعالى للذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات خرج مخرج الغالب فأمهات المؤمنين أولى بالدخول في هذا من كل محصنة ولا سيما

(ووجه كونه خيرًا لهم أنه يحصل لهم به الثواب العظيم مع بيان براءة أم المؤمنين وصيرورة قصتها هذه شرعا عامًا)

قال تعالى: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٦] (البهتان: هو أن يقال في الإنسان ما ليس فيه، أي: هذا كذب عظيم؛ لكونه قيل في أم المؤمنين - رضي الله عنها - وصدوره مستحيل شرعًا من مثلها).

التي كانت سبب النزول وهي عائشة بنت الصديق - رضي الله عنها -. وقد أجمع العلماء - رحمهم الله - قاطبة على أن من سبها بعد هذا ورماها بما رماها به بعد هذا الذي ذكر في هذه الآية، فإنه يكفر، لأنه معاند للقرآن). (راجع تفسير ابن كثير (٣ / ٢٦٧) وقال - رحمه الله -: (وقد أجمع العلماء على تكفير من قذفها بعد براءتها، واختلفوا في بقية أمهات المؤمنين، هل يكفر من قذفهن أم لا ؟ على قولين، وأصحهما أنه يكفر؛ لأن المقذوفة زوجة رسول الله ﷺ والله تعالى إنما غضب لها؛ لأنها زوجة رسول الله ﷺ فهي وغيرها منهن سواء) البداية والنهاية (٨/ ٤٦٥) وقال الإمام ابن حزم: قال مالك: فمن رماها فقد خالف القرآن ومن خالف القرآن قتل. قال أبو محمد - رحمه الله -: قول مالك هاهنا صحيح وهي ردة تامة وتكذيب لله تعالى في قطعه ببراءتها وكذلك القول في سائر أمهات المؤمنين ولا فرق لان الله - تعالى - يقول: ﴿وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ﴾ [النور: ٢٦] فكلهن مبرءات من قول الإفك والحمد لله رب العالمين. المحلى (١١/ ٤١٥).

فصل

في قصة الأفك

قال الإمام مسلم - رحمه الله -: حدثنا حبان بن موسى أخبرنا عبد الله بن المبارك أخبرنا يونس بن يزيد الأيلي وحدثنا إسحاق بن إبراهيم الحنظلي ومحمد بن رافع وعبد بن حميد قال ابن رافع حدثنا و قال الآخران أخبرنا عبد الرزاق أخبرنا معمر والسياق حديث معمر من رواية عبدالله وابن رافع قال يونس ومعمر جميعًا عن الزهري أخبرني سعيد بن المسيب، وعروة بن الزبير، وعلقمة بن وقاص، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن حديث عائشة زوج النبي ﷺ حين قال لها أهل الإفك ما قالوا فبرأها الله مما قالوا وكلهم حدثني طائفة من حديثها وبعضهم كان أوعى لحديثها من بعض وأثبت اقتصاصا وقد وعيت عن كل واحد منهم الحديث الذي حدثني وبعض حديثهم يصدق بعضًا ذكروا أن عائشة - رضي الله عنها - زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت: كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يخرج سفرا أقرع بين نسائه فأيتهن خرج سهمها خرج بها رسول الله ﷺ معه قالت عائشة - رضي الله عنها - فأقرع بيننا في غزوة غزاها فخرج فيها سهمي فخرجت مع رسول الله ﷺ، وذلك بعد ما أنزل الحجاب فأنا أحمل في هودجي وأنزل فيه مسيرنا حتى إذا فرغ رسول الله ﷺ من غزوه وقفل ودنونا من المدينة آذن ليلة بالرحيل فقمت حين آذنوا بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش فلما قضيت من شأني أقبلت إلى الرحل فلمست صدري فإذا عقدي من جزع ظفار قد انقطع فرجعت فالتمست عقدي فحبسني ابتغاؤه وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلون لي فحملوا هودجي فرحلوه على بعيري الذي كنت أركب وهم يحسبون أني فيه، قالت: وكانت النساء إذ ذاك خفافًا لم يهبلن ولم يغشهن اللحم إنما يأكلن العلقة من الطعام فلم يستنكر القوم ثقل الهودج حين

رحلوه ورفعوه وكنت جارية حديثة السن فبعثوا الجمل وساروا ووجدت عقدي بعدما استمر الجيش فجئت منازلهم وليس بها داع ولا مجيب فتيممت منزلي الذي كنت فيه وظننت أن القوم سيفقدونني فيرجعون إلي فبينما أنا جالسة في منزلي غلبتني عيني فنمت، وكان صفوان بن المعطل السلمي الذكواني قد عرس من وراء الجيش فادلج فأصبح عند منزلي فرأى سواد إنسان نائم فأتاني فعرفني حين رآني وقد كان يراني قبل أن يضرب الحجاب علي فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني، فخمرت وجهي بجلبابي، ووالله ما يكلمني كلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه حتى أناخ راحلته فوطأ على يدها فركبتها فانطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش بعد ما نزلوا موغرين في نحر الظهيرة، فهلك من هلك في شأني وكان الذي تولى كبره عبد الله بن أبي ابن سلول.

فقدمنا المدينة فاشتكيت حين قدمنا المدينة شهرًا والناس يفيضون في قول أهل الإفك ولا أشعر بشيء من ذلك وهو يريبني في وجعي أني لا أعرف من رسول الله ﷺ اللطف الذي كنت أرى منه حين أشتكي إنما يدخل رسول الله ﷺ فيسلم ثم يقول كيف تيكم فذاك يريبني ولا أشعر بالشر حتى خرجت بعد ما نقهت وخرجت معي أم مسطح قبل المناصع وهو متبرزنا ولا نخرج إلا ليلاً إلى ليل وذلك قبل أن نتخذ الكنف قريبًا من بيوتنا وأمرنا أمر العرب الأول في التنزه وكنا نتأذى بالكنف أن نتخذها عند بيوتنا فانطلقت أنا وأم مسطح - وهي بنت أبي رهم بن المطلب - بن عبد مناف وأمها ابنة صخر بن عامر خالة أبي بكر الصديق وابنها مسطح بن أثاثة بن عباد بن المطلب فأقبلت أنا وبنت أبي رهم قبل بيتي حين فرغنا من شأننا فعثرت أم مسطح في مرطها فقالت تعس مسطح فقلت لها بئس ما قلت أتسبين رجلا قد شهد بدرًا قالت: أي هنتاه أو لم تسمعي ما قال قلت: وماذا قال؟ قالت: فأخبرتني بقول أهل الإفك فازددت مرضًا إلى مرضي فلما رجعت إلى بيتي فدخل علي رسول الله ﷺ فسلم ثم قال: كيف تيكم قلت:

أتأذن لي أن آتي أبوي قالت: وأنا حينئذ أريد أن أتيقن الخبر من قبلهما فأذن لي رسول الله ﷺ فجئت أبوي فقلت لأمي: يا أمتاه ما يتحدث الناس فقالت يا بنية هوني عليك فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها ولها ضرائر إلا كثرن عليها قالت: قلت سبحان الله وقد تحدث الناس بهذا قالت فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم ثم أصبحت أبكي ودعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد - رضي الله عنهما - حين استلبث الوحي يستشيرهما في فراق أهله قالت فأما أسامة بن زيد فأشار على رسول الله ﷺ بالذي يعلم من براءة أهله وبالذي يعلم في نفسه لهم من الود فقال: يا رسول الله هم أهلك ولا نعلم إلا خيرًا وأما علي بن أبي طالب فقال: لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير وإن تسأل الجارية تصدقك قالت: فدعا رسول الله ﷺ بريرة فقال: أي بريرة هل رأيت من شيء يريبك من عائشة؟ قالت له بريرة: والذي بعثك بالحق إن رأيت عليها أمرًا قط أغمصه عليها أكثر من أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها فتأتي الداجن فتأكله قالت فقام رسول الله ﷺ على المنبر فاستعذر من عبد الله بن أبي ابن سلول قالت: فقال رسول الله ﷺ وهو على المنبر: يا معشر المسلمين من يعذرني من رجل قد بلغ أذاه في أهل بيتي فوالله ما علمت على أهلي إلا خيرًا ولقد ذكروا رجلًا ما علمت عليه إلا خيرًا وما كان يدخل على أهلي إلا معي فقام سعد بن معاذ الأنصاري فقال: أنا أعذرك منه يا رسول الله إن كان من الأوس ضربنا عنقه وإن كان من إخواننا الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك قالت: فقام سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج وكان رجلًا صالحًا ولكن اجتهلته الحمية فقال لسعد بن معاذ كذبت لعمر الله لا تقتله ولا تقدر على قتله فقام أسيد بن حضير وهو ابن عم سعد بن معاذ فقال لسعد بن عبادة كذبت لعمر الله لنَقتلنه فإنك منافق تجادل عن المنافقين فثار الحيان الأوس والخزرج حتى هموا أن يقتتلوا ورسول الله ﷺ قائم على المنبر فلم يزل رسول الله ﷺ يخفضهم حتى سكتوا وسكت قالت: وبكيت يومي ذلك لا يرقأ لي دمع ولا

أكتحل بنوم ثم بكيت ليلتي المقبلة لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم وأبوي يظنان أن البكاء فالق كبدي فبينما هما جالسان عندي وأنا أبكي استأذنت علي امرأة من الأنصار فأذنت لها فجلست تبكي قالت فبينما نحن على ذلك دخل علينا رسول الله ﷺ فسلم ثم جلس قالت: ولم يجلس عندي منذ قيل لي ما قيل وقد لبث شهرًا لا يوحى إليه في شأني بشيء قالت فتشهد رسول الله ﷺ حين جلس ثم قال أما بعد: يا عائشة فإنه قد بلغني عنك كذا وكذا فإن كنت بريئة فسيبرئك الله وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه فإن العبد إذا اعترف بذنب ثم تاب تاب الله عليه قالت: فلما قضى رسول الله ﷺ مقالته قلص دمعي حتى ما أحس منه قطرة فقلت لأبي: أجب عني رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قال فقال: والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ فقلت لأمي: أجيبي عني رسول الله ﷺ فقالت: والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ فقلت: وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيرًا منَ القرآن: إني والله لقد عرفت أنكم قد سمعتم بهذا حتى استقر في نفوسكم، وصدقتم به فإن قلت لكم إني بريئة، والله يعلم أني بريئة لا تصدقوني بذلك، ولئن اعترفت لكم بأمر، والله يعلم أني بريئة لتصدقونني، وإني والله ما أجد لي ولكم مثلا إلا كما قال أبو يوسف: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: ١٨].

قالت: ثم تحولت فاضطجعت على فراشي قالت: وأنا والله حينئذ أعلم أني بريئة وأن الله عليم ببراءتي ولكن والله ما كنت أظن أن ينزل في شأني وحي يتلى ولشأني كان أحقر في نفسي من أن يتكلم الله - عز وجل - في بأمر يتلى ولكني كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ في النوم رؤيا يبرئني الله بها قالت: فوالله ما رام رسول الله ﷺ مجلسه ولا خرج من أهل البيت أحد حتى أنزل الله - عز وجل - على نبيه ﷺ فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء عند الوحي حتى إنه ليتحدر منه مثل الجمان من العرق في اليوم الشات من ثقل القول الذي أنزل عليه قالت: فلما سري عن رسول الله ﷺ وهو يضحك فكان أول كلمة تكلم بها أن قال: أبشري

يا عائشة أما الله فقد برأك فقالت لي أمي: قومي إليه فقلت والله لا أقوم إليه ولا أحمد إلا الله هو الذي أنزل براءتي قالت فأنزل الله - عز وجل -: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡۚ﴾ عشر آيات فأنزل الله عز وجل هؤلاء الآيات في براءتي، وقالت: فقال أبو بكر وكان ينفق على مسطح لقرابته منه وفقره والله لا أنفق عليه شيئًا أبدًا بعد الذي قال لعائشة فأنزل الله - عز وجل - ﴿وَلَا يَأۡتَلِ أُوْلُواْ ٱلۡفَضۡلِ مِنكُمۡ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤۡتُوٓاْ أُوْلِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ﴾ [النور: ٢٢].

قال حبان بن موسى: قال عبد الله بن المبارك: هذه أرجى آية في كتاب الله فقال أبو بكر: والله إني لأحب أن يغفر الله لي فرجع إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه وقال لا أنزعها منه أبدًا قالت عائشة: وكان رسول الله ﷺ سأل زينب بنت جحش زوج النبي ﷺ عن أمري ما علمت أو ما رأيت فقالت: يا رسول الله أحمي سمعي وبصري والله ما علمت إلا خيرًا قالت عائشة: وهي التي كانت تساميني من أزواج النبي ﷺ فعصمها الله بالورع وطفقت أختها حمنة بنت جحش تحارب لها فهلكت فيمن هلك.

قال الزهري: فهذا ما انتهى إلينا من أمر هؤلاء الرهط و قال: في حديث يونس احتملته الحمية و حدثني أبو الربيع العتكي حدثنا فليح بن سليمان ح، وحدثنا الحسن بن علي الحلواني، وعبد بن حميد قالا حدثنا يعقوب بن إبراهيم بن سعد حدثنا أبي عن صالح بن كيسان كلاهما عن الزهري بمثل حديث يونس ومعمر بإسنادهما وفي حديث فليح اجتهلته الحمية كما قال معمر، وفي حديث صالح احتملته الحمية كقول يونس، وزاد في حديث صالح قال عروة: كانت عائشة تكره أن يسب عندها حسان وتقول فإنه قال:

فَإِنَّ أَبِي وَوَالده وَعِرْضِي   لعِرْضِ مُحَمَّدٍ مِنْكم وِقَاءُ

وزاد أيضًا قال عروة: قالت عائشة: والله إن الرجل الذي قيل له ما قيل

ليقول سبحان الله فوالذي نفسي بيده ما كشفت عن كنف أنثى قط قالت: ثم قتل بعد ذلك شهيدًا في سبيل الله وفي حديث يعقوب بن إبراهيم موعرين في نحر الظهيرة، وقال عبد الرزاق: موغرين قال عبد بن حميد قلت: لعبد الرزاق ما قوله موغرين قال: الوغرة شدة الحر حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ومحمد بن العلاء قالا حدثنا أبو أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: لما ذكر من شأني الذي ذكر وما علمت به قام رسول الله ﷺ خطيبًا فتشهد فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال: أما بعد أشيروا علي في أناس أبنوا أهلي وايم الله ما علمت على أهلي من سوء قط وأبنوهم بمن والله ما علمت عليه من سوء قط، ولا دخل بيتي قط إلا وأنا حاضر، ولا غبت في سفر إلا غاب معي، وساق الحديث بقصته وفيه، ولقد دخل رسول الله ﷺ بيتي فسأل جاريتي فقالت: والله ما علمت عليها عيبًا إلا أنها كانت ترقد حتى تدخل الشاة فتأكل عجينها أو قالت: خميرها شك هشام فانتهرها بعض أصحابه فقال اصدقي رسول الله ﷺ حتى أسقطوا لها به فقالت: سبحان الله والله ما علمت عليها إلا ما يعلم الصائغ على تبر الذهب الأحمر وقد بلغ الأمر ذلك الرجل الذي قيل له فقال: سبحان الله والله ما كشفت عن كنف أنثى قط قالت عائشة: وقتل شهيدًا في سبيل الله وفيه أيضًا من الزيادة وكان الذين تكلموا به مسطح وحمنة وحسان وأما المنافق عبد الله بن أبي فهو الذي كان يستوشيه ويجمعه وهو الذي تولى كبره وحمنة.رواه البخاري، كتاب الشهادات باب تعديل النساء بعضهن بعضًا ح(٣٨٢٦،٤٣٨١ , ٤٣٨١) ومسلم كتاب التوبة باب في حديث الإفك وقبول توبة القاذف ح(٤٩٧٤).

فصل

في الخلافة بعد موت رسول الله ﷺ

(الإمامة قد ثبت عن رسول الله ﷺ الإرشاد إليها، والإشارة إلى منصبها كما في قوله: « الأَئِمَّةُ مِنْ قُرَيشٍ »(١٢١)، وثبت كتابًا وسنة الأمر بطاعة الأئمة، ثم أرشد ﷺ إلى الاستنان بسنة الخلفاء الراشدين، فقال: « عَلَيكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الهَادِينَ »، وهو حديث صحيح، وكذلك قوله ﷺ: « الخِلَافَةُ بَعْدِي ثَلَاثُونَ عَامًا »(١٢٢)، ووقعت منه ﷺ الإشارة إلى من سيقوم بعده، ثم إن الصحابة لما مات رسول الله ﷺ قدموا أمر الإمامة ومبايعة الإمام على كل شيء، حتى إنهم اشتغلوا بذلك عن تجهيزه ﷺ، ثم لما مات أبوبكر عهد إلى عمر، ثم

---

(١٢١) من حديث أنس بن مالك رواه النسائي في السنن الكبرى كتاب القضاء باب الأئمة من قريش ح(٩٥٤٢)، وأحمد في المسند ح (١١٨٥٩)، (١٢٤٣٣)، ومن حديث أبي برزة الأسلمي رواه أحمد في المسند رقم (١٨٩٤١) وصححه الشيخ في الإرواء رقم (٥٢٠)، قال الحافظ: وقد جمعت طرقه عن نحو أربعين صحابيًا. فتح الباري (٧/ ٣٦) كتاب فضائل الصحابة باب قول النبي لو كنت متخذًا خليلًا، وقال: وقد جمعت في ذلك تأليفًا سميته لذة العيش بطرق الأئمة من قريش) فتح الباري (٦/ ٦٥٨) كتاب المناقب باب ٥٤، وقال الشوكاني: الأحاديث المصرحة بأن الأئمة من قريش كثيرة جدًّا، وإن لم تكن في الصحيحين، بل عددها في كل مرتبة من الصحابة والتابعين وتابعيهم ومن بعدهم زيادة على عدد التواتر، والمتواتر قطعي) السيل الجرار (٣/ ٦٩٩-٧٠٠) وبمعناه في الصحيحين من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «الناس تبع لقريش في هذا الشأن مسلمهم تبع لمسلمهم وكافرهم تبع لكافرهم » رواه البخاري ح (٣٤٩٥) ومسلم ح (١٨١٨) ومن حديث ابن عمر قال: قال: رسول الله ﷺ: « لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي اثنان ». رواه البخاري ح (٣٥٠١) ومسلم ح (١٨٢٠).

(١٢٢) من حديث سفينة رواه أبو داود في كتاب السنة باب في الخلفاء ح (٤٦٤٦)، والترمذي في كتاب الفتن باب ما جاء في الخلافة (٢٢٢٦)، وحسنه الشوكاني في السيل الجرار (٣/ ٧٠٠)، وهو في الصحيحة رقم (٤٥٩)

عهد عمر إلى النفر المعروفين[123]، ثم لما قتل عثمان بايعوا عليًا وبعده الحسن)

(١٢٣) قصة ذلك ما رواه البخاري (٣٧٠٠) بسنده عن عمرو بن ميمون قال رأيت عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قبل أن يصاب بأيام بالمدينة وقف على حذيفة بن اليمان وعثمان بن حنيف قال كيف فعلتما أتخافان أن تكونا قد حمَّلتما الأرض ما لا تطيق ؟ قالا حملناها أمرًا هي له مطيقة ما فيها كبير فضل قال: انظرا أن تكونا حملتما الأرض ما لا تطيق ؟ قال: قالا: لا فقال عمر: لئن سلمني الله لأدعن أرامل أهل العراق لا يحتجن إلى رجل بعدي أبدًا قال: فما أتت عليه إلا رابعة حتى أصيب قال: إني لقائم ما بيني وبينه إلا عبد الله بن عباس غداة أصيب وكان إذا مر بين الصفين قال استووا حتى إذا لم ير فيهن خللًا تقدم فكبر وربما قرأ سورة يوسف، أو النحل، أو نحو ذلك في الركعة الأولى حتى يجتمع الناس فما هو إلا أن كبر فسمعته يقول: قتلني أو أكلني الكلب حين طعنه فطار العلج بسكين ذات طرفين لا يمر على أحد يمينًا ولا شمالًا إلا طعنه حتى طعن ثلاثة عشر رجلًا مات منهم سبعة فلما رأى ذلك رجل من المسلمين طرح عليه برنسًا فلما ظن العلج أنه مأخوذ نحر نفسه وتناول عمر يد عبد الرحمن بن عوف فقدمه فمن يلي عمر فقد رأى الذي أرى وأما نواحي المسجد فإنهم لا يدرون غير أنهم قد فقدوا صوت عمر وهم يقولون: سبحان الله سبحان الله فصلى بهم عبد الرحمن صلاة خفيفة فلما انصرفوا قال: يا ابن عباس انظر من قتلني ؟

فجال ساعة ثم جاء فقال: غلام المغيرة قال: الصَّنَع قال: نعم قال: قاتله الله لقد أمرت به معروفًا الحمد لله الذي لم يجعل منيتي بيد رجل يدعي الإسلام قد كنت أنت وأبوك تحبان أن تكثر العلوج بالمدينة وكان العباس أكثرهم رقيقًا فقال: إن شئت فعلت أي إن شئت قتلنا قال: كذبت بعد ما تكلموا بلسانكم وصلوا قبلتكم وحجوا حجكم فاحتمل إلى بيته فانطلقنا معه وكأن الناس لم تصبهم مصيبة قبل يومئذ فقائل يقول: لا بأس وقائل يقول: أخاف عليه فأتي بنبيذ فشربه فخرج من جوفه ثم أتي بلبن فشربه فخرج من جرحه فعلموا أنه ميت فدخلنا عليه، وجاء الناس فجعلوا يثنون عليه وجاء رجل شاب فقال: أبشر يا أمير المؤمنين ببشرى الله لك من صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقَدَم في الإسلام ما قد علمت ثم ولِيتَ فعدلت ثم شهادة قال: وددت أن ذلك كفاف لا علي ولا لي فلما أدبر إذا إزاره يمس الأرض قال: ردوا علي الغلام قال: يا ابن أخي ارفع ثوبك فإنه أنقى لثوبك وأتقى لربك يا عبد الله بن عمر انظر ما عليَّ من الدين فحسبوه فوجدوه ستة وثمانين ألفًا أو نحوه.

قال: إن وفَى له مال آل عمر فأَدِّه من أموالهم وإلا فسل في بني عدي بن كعب فإن لم تف أموالهم فسل في قريش ولا تعدهم إلى غيرهم فأد عني هذا المال، انطلق إلى عائشة أم المؤمنين فقل: يقرأ عليك عمر السلام ولا تقل أمير المؤمنين فإني لست اليوم للمؤمنين أميرًا وقل يستأذن عمر بن الخطاب أن يدفن مع صاحبيه فسلَّم واستأذن ثم دخل عليها فوجدها قاعدة

تبكي فقال: يقرأ عليك عمر بن الخطاب السلام، ويستأذن أن يدفن مع صاحبيه فقالت: كنت أريده لنفسي ولأوثرن به اليوم على نفسي فلما أقبل قيل هذا عبد الله بن عمر قد جاء.
قال: ارفعوني فأسنده رجل إليه فقال: ما لديك قال: الذي تحب يا أمير المؤمنين أذنت قال: الحمد لله ما كان من شيء أهم إلي من ذلك فإذا أنا قضيت فاحملوني ثم سلِّم فقل يستأذن عمر ابن الخطاب فإن أذنت لي فأدخلوني وإن ردتني ردوني إلى مقابر المسلمين وجاءت أم المؤمنين حفصة والنساء تسير معها فلما رأيناها قمنا فولجت عليه فبكت عنده ساعة واستأذن الرجال فولجت داخلًا لهم فسمعنا بكاءها من الداخل فقالوا: **أوص يا أمير المؤمنين استخلف قال: ما أجد أحدًا أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر أو الرهط الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض فسمى عليًّا وعثمان والزبير وطلحة وسعدًا وعبد الرحمن وقال يشهدكم عبد الله بن عمر وليس له من الأمر شيء كهيئة التعزية له فإن أصابت الإمرة سعدًا فهو ذاك وإلا فليستعن به أيكم ما أُمِّر فإني لم أعزله عن عجز ولا خيانة**، وقال: أوصي الخليفة من بعدي بالمهاجرين الأولين أن يعرف لهم حقهم ويحفظ لهم حرمتهم وأوصيه بالأنصار خيرًا ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ أن يُقْبَلَ من محسنهم وأن يُعْفَى عن مسيئهم، وأوصيه بأهل الأمصار خيرًا فإنهم ردء الإسلام وجباة المال وغيظ العدو وأن لا يؤخذ منهم إلا فضلهم عن رضاهم، وأوصيه بالأعراب خيرًا فإنهم أصل العرب، ومادة الإسلام أن يؤخذ من حواشي أموالهم ويرد على فقرائهم، وأوصيه بذمة الله، وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم أن يوفى لهم بعهدهم وأن يقاتل من ورائهم ولا يكلفوا إلا طاقتهم.
فلما قبض خرجنا به فانطلقنا نمشي فسلم عبد الله بن عمر قال: يستأذن عمر بن الخطاب قالت: أدخلوه فأدخل فوضع هنالك مع صاحبيه فلما فرغ من دفنه اجتمع هؤلاء الرهط فقال: عبد الرحمن اجعلوا أمركم إلى ثلاثة منكم فقال الزبير: قد جعلت أمري إلى علي فقال طلحة: قد جعلت أمري إلى عثمان وقال سعد: قد جعلت أمري إلى عبد الرحمن بن عوف فقال عبد الرحمن: أيكما تبرَّأ من هذا الأمر فنجعله إليه والله عليه والإسلام لينظرن أفضلهم في نفسه فأُسكت الشيخان فقال عبد الرحمن: أفتجعلونه إلي والله علي أن لا آل عن أفضلكم قالا: نعم فأخذ بيد أحدهما فقال: لك قرابة من رسول الله صلى الله عليه وسلم والقَدَم في الإسلام ما قد علمت فالله عليك لئن أمرتك لتعدلن ولئن أمرت عثمان لتسمعن ولتطيعن ثم خلا بالآخر فقال: له مثل ذلك فلما أخذ الميثاق قال: ارفع يدك يا عثمان فبايعه فبايع له علي وولج أهل الدار فبايعوه) ورويت قصة الشورى بأتم من هذا رواها الإمام البخاري (٧٢٠٧) بسنده عن المسور بن مخرمة أن الرهط الذين ولاهم عمر اجتمعوا فتشاوروا فقال لهم عبد الرحمن: لست بالذي أنافسكم على هذا الأمر ولكنكم إن شئتم اخترت لكم منكم فجعلوا ذلك إلى عبد الرحمن فلما ولوا عبد الرحمن أَمْرهم فمال الناس على عبد الرحمن حتى ما أرى أحدًا من الناس يتبع أولئك الرهط ولا يطأ عقبه ومال الناس على عبد الرحمن يشاورونه

السيل الجرار (٣/ ٦٩٦-٦٩٧).

وقد ذكر - رحمه الله - في كتابه در السحابة فصلًا في فضائل الخلفاء الراشدين ورتبهم فبدأ بذكر أبي بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي - رضي الله عن الجميع - فقال - رحمه الله -: (فصل في فضائل كل واحد من الخلفاء الأربعة بخصوصه فصل في مناقب أبي بكر رضي الله عنه.....فصل في مناقب عمر رضي الله عنه...... فصل في أحاديث مشتركة بين أبي بكر وعمر..... فصل في مناقب عثمان رضي الله عنه... فصل في مناقب علي رضي الله عنه) در السحابة في مناقب

تلك الليالي حتى إذا كانت الليلة التي أصبحنا منها فبايعنا عثمان قال المسور: طَرَقني عبد الرحمن بعد هجع من الليل فضرب الباب حتى استيقظتُ فقال أراك نائما فوالله ما اكتحلت هذه الليلة بكبير نوم انطلق فادع الزبير، وسعدًا فدعوتهما له فشاورهما ثم دعاني فقال: ادع لي عليًّا فدعوته فناجاه حتى ابهارَّ الليل ثم قام علي من عنده وهو على طمع وقد كان عبد الرحمن يخشى من علي شيئًا ثم قال ادع لي عثمان فدعوته فناجاه حتى فرَّق بينهما المؤذن بالصبح فلما صلى للناس الصبح واجتمع أولئك الرهط عند المنبر فأرسل إلى من كان حاضرًا من المهاجرين والأنصار وأرسل إلى أمراء الأجناد وكانوا وافوا تلك الحجة مع عمر فلما اجتمعوا تشهد عبد الرحمن ثم قال: أما بعد يا علي إني قد نظرت في أمر الناس فلم أرهم يعدلون بعثمان فلا تجعلن على نفسك سبيلًا فقال أبايعك على سنة الله ورسوله والخليفتين من بعده فبايعه عبد الرحمن وبايعه الناس المهاجرون والأنصار وأمراء الأجناد والمسلمون) قال الحافظ ابن حجر: (ويؤخذ منه بطلان قول الرافضة وغيرهم أن النبي صلى الله عليه وسلم نص على أن الإمامة في أشخاص بأعيانهم، إذ لو كان كذلك لما أطاعوا عمر في جعلها شورى، ولقال قائل منهم ما وجه التشاور في أمر كفيناه ببيان الله لنا على لسان رسوله، ففي رضا الجميع بما أمرهم به دليل على أن الذي كان عندهم من العهد في الإمامة أوصاف من وجدت فيه استحقها، وإدراكها يقع بالاجتهاد، وفيه أن الجماعة الموثوق بديانتهم إذا عقدوا عقد الخلافة لشخص بعد التشاور والاجتهاد لم يكن لغيرهم أن يحل ذلك العقد، إذ لو كان العقد لا يصح إلا باجتماع الجميع، لقال قائل لا معنى لتخصيص هؤلاء الستة، فلما لم يعترض منهم معترض بل رضوا وبايعوا، دل ذلك على صحة ما قلناه، انتهى ملخصًا من كتاب ابن بطال) فتح الباري (١٣/ ٢٣٧).

القرابة والصحابة ص(٦٦-١٧٠).

(وأعلم أن مسألة الإمامة هذه قد تفرقت فيها المذاهب، وتشعَّبت فيها الأقوال، وصارت من أعظم مسائل الخلاف، فهذا يقول: الإمام بعد رسول الله ﷺ فلان بالنص. وهذا يقول: الإمام بعد رسول الله ﷺ فلان بالإجماع، وهذا بكذا، وهذا بكذا، ويُرتِّبون على ذلك التكفير والتفسيق والتبديع والتشنيع، وتنشأ عن ذلك العدوات الموجبة لسفك الدماء، وهتك الحُرم والتفرق في الدين، كما تجد ذلك في كتب التواريخ، فإنها مشحونة بذكر الفتن الواقعة بين الشيعة والسُّنِّيَّة في كثير من أقطار الأرض، حتى صارت كل فرقة تنطوي من العداوة للأخرى، على أكثر مما يُنطوى عليه مِن ذلك ليهوديٍّ أو نصرانيٍّ، وأنت إذا حققت النظر وأمعنت الفكر ولم تقلد غيرك، وصفَّيت نفسك عن أدران العصبية الوبيَّة، علمت أن هذه المسألة ليست بحقيقة ببعض البعض من ذلك؛ فإن كل واحد من الخلفاء الراشدين قد بذل وسعه في صلاح المسلمين، ولم يأل جهدًا في نصحهم والقيام بواجب حقهم، وإذا وقع منه ما هو في صورة الخطأ فحقٌّ محله الشريف أن يحمل على أحسن المحامل وأجمل التأويل، فقد تولى الله عز وجل تعديل أهل ذلك القرن إجمالًا، وكذلك رسوله ﷺ، وأقل أحوال ذلك حمل الكل على السلامة، وقد تعبّدنا الله بواجبات شرعية، من صلاة وصيام وحج وزكاة وجهاد ونحو ذلك، ولم يوجب علينا أن نعرف أن فلانًا هو الخليفة في وقت كذا، وأن فلانًا ليس هو خليفة في وقت كذا، فهذا أمر قد جفَّ منه القلم، وقضى الله بين عباده بها قضاه، ولهم الجميع موقف بين يديه يتبيّن فيه المحق من المبطل والمصيب من المخطئ، فما لنا الاشتغال بقوم قد تصرَّموا منذ أزمان طويلة، وليس لنا من إحسان محسنهم، ولا علينا من إساءة مسيئهم، نقير ولا قطمير، فهل يفعل العاقل بنفسه كفعل من تحامق من هؤلاء الذين فرّطوا أو من أولئك الذين أفرطوا ؟! فليحذر الحريص على دينه أن يقع في هذه الهوة، التي قد هلك فيها الناس مَن لا يأتي عليه الحصر من أهل كل قرن، ومن زعم أن يجب على عبد من عباد الله أن

يعرف إمامة إمام لم يدرك عصره، لم يُقبل منه ذلك إلا ببرهان شرعي، لأن واجبات هذه الشريعة لا تثبت بمجرد الدعوى العاطلة التي لا يعجز عنها أحد، ولو كان هذا صحيحًا، لكان معرفة نبوة الأنبياء من أبينا أدم إلى نبينا محمد ﷺ، أوجب من ذلك وأهم وأقدم.) اهـ وبل الغمام (٢/ ٣٩٥-٣٩٦).

فصل

في سنة الخلفاء الراشدين ﷺ

قال - رحمه الله -: (...... وعند هذا تعلم أن خير الأمور السالفات على الهدى، وشر الأمور المحدثات البدائع، وأن **الحق الذي لا شك فيه ولا شبهة، هو ما كان عليه خير القرون، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم**) الفتح الرباني [٢٥٥].

و(....ما سنَّه الخلفاء الراشدون من بعده فالأخذ به ليس إلا لأمره ﷺ بالأخذ به، فالعمل بها سنوه، والاقتداء بها فعلوه لأمره ﷺ لنا بالعمل بسنة الخلفاء الراشدين والاقتداء بأبي بكر وعمر.... فالحاصل أنا لم نأخذ بسنة الخلفاء ولا اقتدينا بأبي بكر وعمر إلا امتثالًا لقوله ﷺ: «**عَلَيكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ المَهْدِيينَ مِنْ بَعْدِي**»[١٢٤] وبقوله: « **اقْتَدُوا بِاللَّذَينِ مِنْ بَعْدِي: أَبِي بَكْرٍ وعُمَرَ** [١٢٥]».....فإن رسول الله ﷺ إنها خص الخلفاء الراشدين وجعل سنتهم كسنته في اتباعها لأمر يختّص بهم، ولا يتعداهم إلى غيرهم، ولو كان الإلحاق بالخلفاء الراشدين سائغًا لكان إلحاق المشاركين لهم في الصُّحبة والعلم مُقدمًا على من لم يشاركهم في مزية من المزايا، بل النسبة بينه وبينهم كالنسبة بين الثرى

---

(١٢٤) من حديث العرباض بن سارية ﷺ، رواه أبو داود، كتاب السنة، باب: في لزوم السنة. ح (٤٦٠٧). والترمذي في العلم، باب: ما جاء في الأخذ بالسنة، واجتناب البدع. ح(٢٦٧٦) ، وابن ماجه في المقدمة، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين. ح(٤٢) ، وقد صححه الشوكاني رحمه الله. الفتح الرباني ص (٢١٧٧). والحديث في الصحيحة رقم (٢٧٣٥)، وصححه الشيخ الألباني في الإرواء ح(٢٤٥٥).

(١٢٥) من حديث حذيفة ﷺ، رواه الترمذي كتاب المناقب، باب: في مناقب أبي بكر وعمر - رضي الله عنهما - كليهما. ح(٣٦٦٢) ، وابن ماجه في المقدمة، باب: في فضائل أصحاب رسول الله ﷺ. ح(٩٧) ،. ورواه الترمذي من حديث ابن مسعود ح (٣٧٤١) قال الشوكاني: هو حديث معروف مشهور ثابت في السنن وغيرها. الفتح الرباني ص(٢١٧٨) وصححه العلامة الألباني في الصحيحة ح(١٢٣٣).

والثريا، فلولا أن هذه المزية خاصة بهم مقصورة عليهم لم يخصّهم بها رسول الله ﷺ دون سائر الصحابة) الفتح الرباني (٢١٧٨).

وقال: (فإن المراد به الاقتداء بهم في أقوالهم وأفعالهم، وفي عباداتهم ومعاملاتهم، وهم لا يوقعونها إلا على الوجه الذي أخذوه من رسول الله ﷺ، وعرفوه من أقواله وأفعاله، وقد كان ذلك ديدنهم وهجيراهم لا يفارقونه قيد شبر، ولا يخالفونه أدنى مخالفة... ثم إذا صح هذا الحديث ففيه الإرشاد إلى سنته ﷺ، وسنة خلفائه الراشدين. ومعلوم أن ما كان قد ثبت من سنته لا يخالفه الخلفاء الراشدون ولا غيرهم من الصحابة. بل هم عليه وليس لهم سنة تخالف ما سنه رسول الله ﷺ قط، ولا سمع عن واحد منهم في جميع عمره أنه خالف سنة ثابتة عن رسول الله ﷺ). قطر الولي (٣٣٦).

و(المراد والله أعلم سنتهم فيما سنوه إذا لم يخالف سنة النبي ﷺ، وأما سنتهم في أتباعهم سنته ﷺ فهو من سنته ﷺ) الفتح الرباني (١٥٨).

وقال (فإن هذا النص النبوي مشعرٌ بصلاحية ما وقع من الخلفاء الراشدين للحُجِّيَّةِ على فرض عدم وجود ما يدل عليه في الشريعة، لا إذا وقع مخالفًا لما هو ثابت فيها) الفتح الرباني ص (٤٧٥٧).

وقال (الذي ينبغي التعويل عليه والمصير إليه هو العمل بما يدل عليه هذا التركيب ما تقتضيه لغة العرب فالسنة هي الطريقة فكأنه قال: الزموا طريقتي وطريقة الخلفاء الراشدين وقد كانت طريقتهم هي نفس طريقته ﷺ، فإنهم أشد الناس حرصًا عليها وعملاً بها في كل شيء وعلى كل حال، وكانوا يتوقون مخالفته في أصغر الأمور فضلًا عن أكبرها، وكانوا إذا أعوزهم الدليل من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ عملوا بما يظهر لهم من الرأي بعد الفحص والبحث والتشاور والتدبر. وهذا الرأي عند عدم الدليل هو أيضًا من سنته.....) الفتح الرباني ص (٢٣١).

(وما نسب إليهم من الاجتهادات، وجعله أهل العلم رأيًا لهم، فهو لا يخرج عن الكتاب والسنة إما بتصريح أو بتلويح، وقد يُظن خروج شيء من ذلك وهو ظن مدفوع لمن تأمل حق التأمل....) الفتح الرباني ص (٢١٨٢).

فصل

في مكانة ما نُقل عن الصحابة من تفسير للقرآن الكريم

من المعلوم عظيم منزلة الصحابة ﷺ وإذا كانوا كذلك فلتفسيرهم مزية لا توجد في تفسير غيرهم، قال الشوكاني - رحمه الله -: (والحاصل أن التفسير الذي ينبغي الاعتداد به والرجوع إليه هو تفسير كتاب الله جل جلاله باللغة العربية حقيقة ومجازًا إن لم يثبت في ذلك حقيقة شرعية؛ فإن ثبتت فهي مقدمة على غيرها، وكذلك إذا ثبت تفسير ذلك من الرسول ﷺ فهو أقدم من كل شيء، بل حجة متبعة لا تسوغ مخالفتها لشيء آخر، **ثم تفسير علماء الصحابة المختصين برسول الله ﷺ، فإنه يبعد كل البعد أن يُفسِّر أحدهم كتاب الله ولم يسمع في ذلك شيئًا عن رسول الله ﷺ وعلى فرض عدم السماع فهو أحد العرب الذين عرفوا من اللغة دِقَّها وجِلَّها**). الجواب المنير على قاضي بلاد عسير ضمن الفتح الرباني (٣٣٣٦).

فصل

في الموقف الصواب مما حصل من فتن بين الصحابة الكرام بعد مقتل عثمان ﷺ

من المعلوم شرعًا أنه لا يلزم من محبة الصحابة كلهم وإنزالهم منازلهم ومعرفة قدرهم أن يُعْتَقَد أن كل واحد منهم ممن وقع في خطأ أو زلة أو ذنب أنه مجتهد مصيب بل منهم المجتهد المصيب ومنهم المجتهد المخطئ ومنهم المتأول ومنهم من يقع في الذنب والمعصية(١٢٦) ولكن حسبهم أنهم صحبوا النبي ﷺ، وجاهدوا معه، وأقاموا دعائم الإسلام، فما يقع فيه أحدهم من الخطأ أو الزلة أو الذنب بتأويل أو بغير تأويل فهو مغمور في بحور حسناته العظام - رضي الله عنهم أجمعين - وأخرس ألسنًا لهجت بالطعن فيهم أو في بعضهم هوى وجهالة وتعصبًا وحقدًا ﴿قُلْ مُوتُوا۟ بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [آل عمران: ١١٩]. وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول: « **لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ** » متفق عليه.

والإمام الشوكاني يبين ما سبق ذكره فيقول معلقًا على كلام للحافظ - رحمه الله -: (قال الحافظ: ومن ثم كان الذين توقفوا عن القتال في الجمل وصفين أقل عددًا من الذين قاتلوا، وكلهم متأول مأجور إن شاء الله بخلاف من جاء بعدهم ممن قاتل على طلب الدنيا.

قال الشوكاني - رحمه الله -: وهذا يتوقف على صحة نيات جميع المقتتلين في الجمل وصفين، وإرادة كل واحد منهم الدين لا الدنيا وصلاح أحوال الناس،

---

(١٢٦) قال الشوكاني رحمه الله: الصحبة ليست بموجبة لعصمة من اتَّصف بها. على ما ذهب إليه الجمهور، بل هو إجماع كما حققنا ذلك في الرسالة المسماة بـ (القول المقبول في ردِّ رواية المجهول من غير صحابة الرسول ﷺ). إرشاد الغبي ضمن الفتح الرباني ص (٨٤١).

لا مجرد الملك، ومناقشة بعضهم لبعض مع علم بعضهم بأنه المبطل وخصمه المحق، ويبعد ذلك كل البعد ولا سيما في حق من عرف منهم الحديث الصحيح أنه تقتل عمارًا الفئة الباغية(١٢٧)، فإن إصراره بعد ذلك على مقاتلة من كان معه عمار معاندة للحق، وتمادٍ في الباطل كما لا يخفى على منصفٍ(١٢٨)، وليس هذا منا

---

(١٢٧) من حديث أبي سعيد رواه البخاري في كتاب الصلاة باب التعاون في بناء المسجد ح(٤٤٧)، ومن حديث أم سلمة رواه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل في قبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء ح (٢٩١٦)، ومن حديث أبي قتادة رواه مسلم ح (٢٩١٥)

(١٢٨) قال الإمام النووي رحمه الله: قال العلماء هذا الحديث حجة ظاهرة في أن عليًّا كان مُحقًّا مصيبًا، والطائفة الأخرى بغاة لكنهم مجتهدون، فلا أثم عليهم لذلك اهـ شرح مسلم ح (٥١٩٢)، وذكر الحافظ أن في هذا الحديث: (دلالة واضحة أن عليًّا ومن معه كانوا على الحق وأن من قاتلهم كانوا مخطئين في تأويلهم) فتح الباري ح (٣٣٤١) وقال رحمه الله: وذهب جمهور أهل السنة إلى تصويب من قاتل مع علي لامتثال قوله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [الحجرات: ٩].

ففيها الأمر بقتال الفئة الباغية، وقد ثبت أن من قاتل عليًا كانوا بغاة، وهؤلاء مع هذا التصويب متفقون على أنه لا يُذم واحد من هؤلاء بل يقولون اجتهدوا فأخطأوا، وذهب طائفة قليلة من أهل السنة إلى أن كُلًا من الطائفتين مصيب، وطائفة إلى أن المصيب طائفة لا بعينها. بتصرف يسير الفتح ح (٦٥٧٦)). قال ابن تيمية: (ولم يسترب أئمة السنة، وعلماء الحديث أن عليًا أولى بالحق وأقرب إليه كما دل عليه النص؛ وإن استرابوا في وصف الطائفة الأخرى بظلم أو بغي، ومن وصفها بالظلم والبغي لما جاء من حديث عمار جعل المجتهد في ذلك من أهل التأويل). الفتاوى (٤/ ٤٣٩) وقد قال تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٩ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات: ٩، ١٠].. قال شيخ الإسلام: (فسماهم إخوة ووصفهم بأنهم مؤمنون، مع وجود الاقتتال بينهم، والبغي من بعضهم على بعض. فمن قاتل عليًّا فإن كان باغيًا فليس ذلك بمخرجه من الإيمان، ولا بموجب له النيران، ولا مانع له من الجنان؛ فإن البغي إذا كان بتأويل كان صاحبه مجتهدًا. ولهذا اتفق أهل السنة على أنه لا تفسق واحدة من الطائفتين، وإن قالوا في إحداهما: إنهم كانوا بغاة لأنهم كانوا متأولين مجتهدين،

محبة لفتح باب المثالب على بعض الصحابة (١٢٩)؛ فإنا - كما علم الله - من أشد الساعين في سد هذا الباب والمنفرين للخاص والعام عن الدخول فيه، حتى كتبنا في ذلك رسائل، وقعنا بسببها مع المتظاهرين بالرفض والمحبين له بدون تظهر في أمور يطول شرحها، حتى رُمينا تارة بالنصب، وتارة بالانحراف عن مذاهب أهل البيت، وتارة بالعداوة للشيعة، وجاءتنا الرسائل المشتملة على العتاب من كثير من الأصحاب، والسباب من جماعة من غير ذوي الألباب. ومن رأي ما لأهل عصرنا من الجوابات على رسالتنا التي سميناها إرشاد الغبي إلى مذهب

والمجتهد المخطىء لا يَكْفُر ولا يَفْسُق، وإن تعمد البغي فهو ذنب من الذنوب، والذنوب يرفع عقابها بأسباب متعددة كالتوبة، والحسنات الماحية، والمصائب المكفّرة، وشفاعة النبي ﷺ، ودعاء المؤمنين وغير ذلك). منهاج السنة (٤/ ٣٩٤) (ولهذا كان من مذهب أهل السنة الإمساك عمّا شجر بين الصحابة، فإنه قد ثبتت فضائلهم، ووجبت موالاتهم ومحبتهم. وما وقع منه ما يكون لهم فيه عذر يخفى على الإنسان، ومنه ما تاب صاحبه منه، ومنه ما يكون مغفورًا، فالخوض فيما شجر يُوقع في نفوس كثير من الناس بغضًا وذمًّا، ويكون هو في ذلك مخطئًا، بل عاصيًا، فيضر نفسه ومن خاض معه في ذلك، كما جرى لأكثر من تكلم في ذلك، فإنهم تكلموا بكلام لا يحبه الله ولا رسوله، إما من ذم من لا يستحق الذم، وإما من مدح أمور لا تستحق المدح. ولهذا كان الإمساك طريقة أفاضل السلف) منهاج السنة (٤/ ٤٤٨- ٤٤٩).

(١٢٩) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (ما يُنقل عن الصحابة من المثالب نوعان: أحدهما: ما هو كذب كله، أو محرَّف قد دخله من الزيادة والنقصان ما يخرجه إلى الذم والطعن. وأكثر المنقول من المطاعن الصريحة هو من هذا الباب يرويها الكذابون المعروفون بالكذب........ النوع الثاني: ما هو صدق. وأكثر هذه الأمور لهم فيها معاذير تخرجها عن أن تكون ذنوبًا، وتجعلها من موارد الاجتهاد، التي إن أصاب المجتهد فيها فله أجران وإن أخطاء فله أجر. وعامة المنقول عن الخلفاء الراشدين من هذا الباب، وما قُدِّر من هذه الأمور ذنبًا مُحققًا فإن ذلك لا يقدح فيما علم من فضائلهم وسوابقهم وكونهم من أهل الجنة، لأن الذنب المُحقق يرتفع عقابه في الآخرة بأسباب متعددة، منها الحسنات الماحية للذنوب..... ومنها المصائب المكفرة. ومنها دعاء المؤمنين بعضهم لبعض، وشفاعة نبيهم، فما من سبب يسقط به الذم والعقاب عن أحد من الأمة إلا والصحابة أحق بذلك، فهم أحق بكل مدح، ونفي كل ذم ممن بعدهم من الأمة) منهاج السنة (٥/ ٨١-٨٣).

أهل البيت في صحب النبي ﷺ وقف على بعض أخلاق القوم، وما جبلوا عليه من عداوة من سلك مسلك الإنصاف، وآثر نص الدليل على مذاهب الأسلاف، وعداوة الصحابة الأخيار وعدم التقييد بمذاهب الآل الأطهار، فإنا قد حكينا في تلك الرسالة إجماعهم على تعظيم الصحابة ﷺ، وعلى ترك السب لأحد منهم من ثلاث عشرة طريقًا، وأقمنا الحجة على من يزعم أنه من أتباع أهل البيت ولا يتقيد بمذاهبهم في مثل هذا الأمر الذي هو مزلة أقدام المقصرين، فلم يقابل ذلك بالقبول والله المستعان وأقول:

إِنِّي بُلِيتُ بِأَهْلِ الجَهْلِ فِي زَمَنٍ قَامُوا بِهِ وَرِجَالُ الْعِلْمِ قَدْ قَعَدُوا

اهـ) النيل (م٤/ ج١/ ٤٧-٤٨).

و(... **الحروب بين علي ومعاوية لم تكن من التفرق في الدين المشار إليه في الحديث، وإنما اختلفوا على الدنيا والملك خصوصًا معاوية – رضي الله عنهم أجمعين –، وقد ثبت أنهم كلهم على الحق كما أخبر به النبي ﷺ في قتل الخوارج فقال: تقتلهم أقرب الطائفتين إلى الحق**(١٣٠)**، فتبين بهذا أنهم على الحق، وإن كان أصحاب عليٍّ أقرب إليه من أصحاب معاوية**(١٣١)) الفتح الرباني ص (١٥٣).

---

(١٣٠) من حديث أبي سعيد رواه مسلم في كتاب الزكاة باب ذكر الخوارج وصفاتهم ح (١٠٦٥) وأصله في الصحيحين.

(١٣١) ما ذكره الإمام الشوكاني هنا في غاية الإنصاف المعتمد على الأدلة الثابتة في هذه المسألة وما ذكره رحمه الله يوافق كلام من سبقه من أهل العلم ومنهم شيخ الإسلام ابن تيمية حيث قال: (وجماهير أهل السنة متفقون على أن عليًّا أفضل من طلحة والزبير، فضلًا عن معاوية وغيره. ويقولون إن المسلمين لما افترقوا في خلافته فطائفة قاتلته وطائفة قاتلت معه، كان هو وأصحابه أولى الطائفتين بالحق، كما ثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: «تمرق مارقة على حين فرقة من المسلمين يقتلهم أولى الطائفتين بالحق» فهؤلاء هم الخوارج المارقون الذين مرقوا فقتلهم عليٌّ وأصحابه فعلم أنهم كانوا أولى بالحق من معاوية - رضي الله عنه - وأصحابه لكن أهل السنة يتكلمون بعلم وعدل ويعطون كل ذي حق حقه). منهاج السنة (٤/ ٣٥٨).

وقال - رحمه الله - بعد سؤال ورده في هذه المسألة: (وأقول: إن كان السائل طالبًا للنجاة، مستفهمًا عن أقرب الأقوال إلى مطابقة مراد مولاه، كما يشعر بذلك تصرُّفه في سؤاله، فليدع الاشتغال بهذا الأمر، ويترك المرور في هذا المضيق الذي تاهت فيه الأفكار، وتحيَّرت عنده أفكار أهل الأنظار فإن هؤلاء الذين يبحث عن حوادثهم، ويتطلع لمعرفة ما شجر بينهم قد صاروا تحت أطباق الثرى، ولقُوا ربَّهم في المائة الأولى من البعثة.

وها نحن الآن في المائة الثالثة عشرة فما لنا والاشتغال بهذا الشأن الذي لا يعنينا! «ومن حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»(١٣٢) وأي فائدة لنا في الدخول في الأمور التي فيها ريبة! وقد أرشدنا إلى أن نترك ما يريبنا إلى ما لا يريبنا، ويكفينا من تلك القلاقل والزلازل أن نعتقد أنهم خير القرون وأفضل الناس، وأن الخارجين على أمير المؤمنين ﷺ المحاربين له، المصرِّين على ذلك، الذين لم تصح توبتهم بغاة، وأنه المُحقُّ وهم المبطلون، وما زاد على هذا المقدار فمن الفضول الذي يشتغل به من لا يُبالي بدينه.

وقد تلاعب الشيطان بكثير من الناس فأوقعهم في الاختلاف في خير القرون الذين قال رسول الله ﷺ في شأنهم لبعض من هو من جملتهم لكنه تأخر إسلامه عنهم: «لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبًا ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفه» فإذا كان مثلُ أحد ذهبًا من المتأخرين من الصحابة المخاطبين بهذا الخطاب لا يبلغ مُدَّ متقدميهم ولا نصيفه فما أظنه يبلغ مثل أحد ذهبًا منا مقدار حبة من أحدهم ولا نصيفها فرحم الله امرأً اشتغل بالقيام بما أوجبه الله عليه، وطلبه منه، وترك ما لا يعود عليه بنفع لا في دنيا ولا في آخرة، بل يعود عليه بالضر، ولو لم يكن من الضر إلا مجرَّد مخالفةِ ما أرشدنا إليه رسول الله ﷺ بقوله: «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه» لكفى فهذا والله مما لا يعنينا، ومن ظن خلاف هذا فهو مغرور

---

(١٣٢) من حديث أبي هريرة رواه الترمذي في كتاب الزهد باب ١١ ح (٢٣١٧)، وابن ماجه في كتاب الفتن باب كف اللسان في الفتنة ح (٣٩٧٦)، وهو في صحيح الجامع رقم (٥٩١١).

مخدوع، قاصر الباع عن إدراك الحقائق، ومعرفة الحق على وجهه كائنًا من كان.

والله لو جاء أحدهم يوم القيامة بما يملأ الدنيا من الحسنات ما كان لنا من ذلك شيء، ولو جاء أحدهم – صانهم الله – بما يملأ الدنيا من السيئات ما كان علينا من ذلك شيء، ففيم التعب، وعلام تضيع الأوقات في هذه الترهات !؟). الفتح الرباني ص (٤٥٠٠-٤٥٠١)

(والخلاف الواقع بينهم وإن كان المُحق فيه معلومًا بالأدلة، لكن المخالف له من جملة من شملته مزية الصحبة، واندرج تحت عموم الأدلة الناطقة بما يدفع عنهم ما وقع من الخطأ، ولا سيما ولهم تأويلات ومحامل، يتعيّن المصير إليها، وتعظيمهم والاعتراف بعلو شأنهم، وارتفاع درجتهم عن سائر القرون، شأن كل مسلم معظِّم للشريعة والنبوة، والاشتغال بمثالبهم ومعائبعهم التي تلصق بهم كذبًا وبهتًا هو شأن كل مخذول). وبل الغمام (١/ ٦٢-٦٣).

فصـل

في دفاعه عن معاوية رضي الله عنه

مما سبق ذكره في الفصل السابق تجد أن الإمام الشوكاني بيَّن أن المخالفين لعلي - رضي الله عن الجميع - ممن شملته مزية الصحبة وأنه يتعين تعظيمهم والاعتراف بعلو شأنهم وارتفاع درجتهم عن سائر القرون، وأن ذلك شأن كل مُعظِّم للشريعة والنبوة، وبين أن من أسباب النجاة عدم الاشتغال بما حصل بين الصحابة الكرام بعد مقتل عثمان ﷺ من الفتن فقال: (**ويكفينا من تلك القلاقل والزلازل أن نعتقد أنهم خير القرون وأفضل الناس، وأن الخارجين على أمير المؤمنين ﷺ المحاربين له، المصرِّين على ذلك، الذين لم تصح توبتهم بغاة، وأنه المُحقُّ وهم المبطلون، وما زاد على هذا المقدار فمن الفضول الذي يشتغل به من لا يُبالي بدينه**).

(**لكن المخالف له من جملة من شملته مزية الصحبة، واندرج تحت عموم الأدلة الناطقة بما يدفع عنهم ما وقع من الخطأ، ولا سيما ولهم تأويلات ومحامل، يتعيّن المصير إليها، وتعظيمهم والاعتراف بعلو شأنهم، وارتفاع درجتهم عن سائر القرون، شأن كل مسلم معظم للشريعة والنبوة، والاشتغال بمثالبهم ومعائبهم التي تُلصق بهم كذبًا وبهتًا هو شأن كل مخذول**). وبل الغمام (١/ ٦٢-٦٣).

وبين أن عليًّا ومعاوية كلاهما على الحق فقال: (**وقد ثبت أنهم كلهم على الحق كما أخبر به النبي ﷺ في قتل الخوارج فقال: تقتلهم أقرب الطائفتين إلى الحق فتبين بهذا أنهم على الحق، وإن كان أصحاب علي أقرب إليه من أصحاب معاوية**).

وقال في كتابه «**الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة**» معلقًا على قول

الحاكم: (سمعت أبا العباس محمد بن يعقوب بن يوسف يقول: سمعت إبراهيم بن إسحاق الحنظلي يقول: لا يصح في فضل معاوية حديث. انتهى.

قلت: قد ذكر الترمذي في الباب الذي ذكره في مناقب معاوية من سننه ما هو معروف فليراجع. وأما هذه الأكاذيب المذكورة هنا فأمرها بين) اهـ الفوائد المجموعة (٣٤٨-٣٥١).

يشير - رحمه الله - إلى قول الإمام الترمذي في سننه: (باب مناقب معاوية بن أبي سفيان - رضي الله عنه - حدثنا محمد بن يحيى حدثنا أبو مسهر عبد الأعلى بن مسهر عن سعيد بن عبد العزيز عن ربيعة بن يزيد عن عبد الرحمن بن أبي عميرة وكان من أصحاب رسول الله ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال لمعاوية: «**اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ هَادِيًا مُهْدِيًا وَاهْدِ بِهِ**». قال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب). والحديث في الصحيحة للألباني ح (١٩٦٩).

فصـل

في موقف آل البيت من الصحابة ﷺ

صنَّف الإمام الشوكاني كتابًا مستقلًّا في بيان هذه المسألة سماه (إرشاد الغبي إلى مذهب أهل البيت في صحب النبي ﷺ) قال في مقدمته:

(الحمد لله الذي أرشدنا إلى الدعاء للسلف الصالح بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠]. والصلاة والسلام على حبيبه المصطفى، الذي قال «**لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده؛ لو أن أحدكم أنفق مثل جبل أُحد ذهبًا؛ ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه**». وعلى آله الذين صح إجماعهم من طرق كثيرة على تعظيم الصحابة) اهـ.

وقد ذكر - رحمه الله - أسبابًا أدت إلى جهل الكثير من المنتسبين لأهل البيت لهذه الحقيقة - وهي إجماع صالحي آل البيت على تعظيم قدر الصحابة ﷺ - حتى بلغ الجهل بهم أن يعتقدوا أن مذهب أهل البيت الطعن في أصحاب النبي ﷺ فقال - رحمه الله -: (فإن كثيرًا من الغافلين عن العلوم يتجارى على ثَلبِ أعراض جماعة من أكابر خير القرون، فإذا عوتب في ذلك قال: هذا مذهب أهل البيت ! وذلك فرية - صانهم الله -؛ فإنهم عند من له أدنى إلمام بمذهبهم مُبَرَّءون عن هذه الخصلة الشنيعة) وأعظم الأسباب التي أدت إلى ذلك الظن في نظر الإمام الشوكاني هو **خفاء مذاهب أئمة آل البيت على غالب أهل الزمان، وجهلهم بمصنفاتهم.**

قال - رحمه الله -: (فإنها لما خفيت على غالب أهل الزمان مذاهب أئمة الآل، وجُهلت مصنفاتهم التي تُقطع في الرحلة إلى مثلها أكباد الإبل فلم يبق بأيدي أهل عصرنا من اتباعهم غير القيل والقال، فلا تكاد ترى إلا رجلًا قد

رغب عن جميع أصناف العلوم، وهجر - لخسة همته ودناءة نفسه - الاشتغال بمنطوقها والمفهوم، أو آخر هجر من علوم العترة المطهرة الحديث والقديم، واشتغل بعض الاشتغال بعلوم غيرهم(١٣٣)، فلم يفرِّق بين الصحيح والسقيم، أو رجلًا ينتحل اتِّبَاعهم والانتساب إلى مذاهبهم ولكنه قنع من البحر المتدفق بقطرة، وقصر هَمَّه على الاشتغال بمختصر من مختصرات كتبهم فلم يحظ من غيره بنظرة، فحصل بسبب ذلك الخبط والخلط من الجم الغفير، ونُسب إلى أهل البيت من المسائل ما يخالف قول كبيرهم والصغير.

وكان من جملة ذلك مسألة تعظيم القرابة للصحابة، ثم بين - رحمه الله - أنه قد ثبت إجماع الأئمة من أهل البيت على تحريم سبِّ الصحابة، وتحريم التَّكفير والتفسيق لأحد منهم، إلا من اشتهر بمخالفة الدِّين، والمعاندة لسُنة سيد المرسلين).

ثم نقل عن علماء آل البيت وأئمة الزيدية ما يدل دلالة واضحة على أن مذهبهم - ابتداءً بعلي بن أبي طالب ﷺ وانتهاءً بالصالحين من ذريته - تعظيم الصحابة ومعرفة قدرهم وتحريم سبهم والطعنَ فيهم وأنهم يجعلون الطعن فيهم طعنًا في النبي ﷺ ومن ذلك ما ذكره عن المنصور بالله عبد الله بن حمزة أحد أئمة الزيدية المتوفى سنة ٦١٤ أنه قال بعد ذكره تحريم سب الصحابة ما لفظه: (وهذا ما

---

(١٣٣) وما قاله الإمام الشوكاني نراه اليوم بأم أعيُننا فأن كثيرًا من المتسبين إلى أهلِ البيت أو المنتسبين إلى المذهب الزيدي قد اشتغل بعلوم الفرق الضالة وخاصة الرافضة، فأُشرب قلبه تلك الأهواء، حتى وقع في بدعهم بالإضافة إلى ما عنده من انحراف، ولهذا ترى كثيرًا من الزيدية والهادوية آل بهم الأمر إلى الرفض كما هو الواقع في ديارنا اليمانية بالخصوص، حيث ظهر أن الرفض قد تغلغل في كثير من المنتسبين إلى التشيع، وهذه باقعة الزمان، وفتنة العصر والأوان وصار الأمر كما قال الشوكاني رحمه الله: (فإن الناس في هذه الديار زيدية وكثير منهم يجاوز ذلك فيصير رافضيًا جلدًا) ولعل الله أن يقيم للدين من ينصره، وللباطل من يُزهِقه.فلقد ظهر في ديارنا اليمانية من يعتقد تحريف القرآن، وينكر سنة خير الأنام، ويلعن الشيخين، ويرمي أم المؤمنين بالإفك والبهتان جهارًا نهارًا،، ويلعن الصحب الكرام، ويبيح باسم المتعة الفاحشة بالنسوان، ويستبيح دماء وأموال مخالفيه من أهل السنة والقرآن من خواص وعوام، والله المستعان).

يقضي به علمُ آبائنا إلى عليٍّ عليه السلام)[١٣٤]. ثم قال ما لفظه: (وفي الجهة من يرى محض الولاء سبَّ الصَّحابة ﷺ والبراءة منهم، فيتبرأ من محمد ﷺ من حيث لا يعلم:

فَإِنْ كُنْتُ لا أَرْمِي وَتَرْمِي كَنَانَتي ... تُصِبْ جَانِحَاتِ النَّبلِ كَشْحِي وَمَنْكِبِي

انتهى.

---

(١٣٤) مذهب الشوكاني في الصلاة على الآل عند ذكرهم يوضحه قوله - رحمه الله -: (وقد اعتذر لأئمة الحديث في تركهم للصلاة على الآل عند الصلاة على رسول الله ﷺ بأعذار أحسنها أنهم يجعلون الأحاديث المقيدة بالصلاة على الآل خاصة بالمواضع التي وردت فيها ويجعلون التقييد في غير تلك المواضع بمطلق الصلاة التي أمر الله بها في كتابه، ولكن قد عرفت أن الأولى أن يصلى على الآل في موضع يُصلى فيه على رسول الله لما سلف). وقد ذكر قبلًا أنه (ينبغي أن يضم إلى ذلك الآل لورد الصلاة عليهم في السنة متصلة بالصلاة عليه ﷺ في أحاديث كثيرة، منها ما هو مقيد بالصلاة ومنها ما هو مطلق، وإذا ثبت في موضع من المواضع إفراد الصلاة عن السلام، أو العكس، أو حذف الصلاة على الآل، فالأحسن أن لا تفرد الصلاة عن السلام، ولا يُفردهما عن الآل؛ لأن الموضع الخاص الذي ورد فيه ذكر الصلاة فقط، أو السلام فقط، أو ذكرهما بدون الآل ليس فيه ما يدل على كراهة الزيادة؛ لأن مجرد الاقتصار على بعض ما ورد لا ينافي الإتيان بجميع الوارد...). إلخ الفتح الرباني ص (٢٠٢٦-٢٠٢١).

وخلاصة هذه المسألة ما قاله الإمام ابن القيم رحمه الله حيث قال: (وفصل الخطاب في هذه المسألة: أن الصلاة على غير النبي ﷺ إما أن يكون آله وأزواجه وذريَّته أو غيرهم، فإن كان الأول فالصلاة عليهم مشروعة مع الصلاة على النبي ﷺ وجائزة مفردة. وأما الثاني: فإن كان الملائكة وأهل الطاعة عمومًا الذين يدخل فيهم الأنبياء وغيرهم، جاز ذلك أيضًا، فيقال: اللهم صلِّ على ملائكتك المقرَّبين وأهل طاعتك أجمعين، وإن كان شخصًا معيَّنًا أو طائفة معيَّنة كُره أن يتخذ الصلاة عليه شعارًا لا يُخل به، ولو قيل بتحريمه لكان أوجه، ولا سيما إذا جعلها شعارًا له، ومنع منها نظيره أو من هو خير منه، وهذا كما تفعل الرافضة بعليٍّ ﷺ فإنه حيث ذكروه قالوا: عليه الصلاة والسلام، ولا يقولون ذلك فيمن هو خير منه، فهذا ممنوع لا سيما إذا اتخذ شعارًا لا يُخَلُّ به، فتركه حينئذ متعين، وأما إن صلى عليه أحيانًا بحيث لا يجعل ذلك شعارًا كما يُصليِّ على دافع الزكاة..... فهذا لا بأس به وبهذا التفصيل تتفق الأدلة وينكشف وجه الصواب، والله الموفق) جلاء الأفهام (٣٦٦) وانظر فتح الباري (١١/١٩٢).

ونقل الإمام الشوكاني - رحمه الله - نقولًا مهمة عن كثير من آل البيت وأئمة الزيدية في ذلك وأثبت أن تعظيم الصحابة وتحريم سبهم هو مذهب آل البيت من ثلاثة عشر طريقًا من أراد التوسع فليرجع إليها(١٣٥).

ثم قال: (فهذه طُرق متضمنةٌ لإجماع أهل البيت من أئمة الزيدية ومن غيرهم، كما في بعض هذه الطرق، والناقل لهذا الإجماع من أسلفنا ذكره من أكابر أئمتهم، فيا من أفسد دينه بذمِّ خير القرون، وفعل بنفسه ما لا يفعله المجنون، إن قلت إنك اقتديت في سبهم بالكتاب العزيز كذبك في هذه الدعوى من كان له في معرفة القرآن أدنى تبريز؛ فإنه مصرح بأن الله جلَّ جلاله قد رضي عنهم ومشحون بمناقبهم ومحاسن أفعالهم، ومرشد إلى الدعاء لهم.

وإن قلت: اقتديت بسنة رسول الله ﷺ المطهرة؛ قام في وجه دعواك الباطلة العاطلة ما في كتب السنة الصحيحة من مؤلفات أهل البيت وغيرهم؛ من النصوص المصرحة بالنهي عن سبهم وعن أذية رسول الله ﷺ بذلك، وأنهم خير القرون وأنهم من أهل الجنة وأن رسول الله ﷺ مات وهو راضٍ عنهم، وما في طيِّ الدفاتر الحديثية من ذكر مناقبهم الجمة، كجهادهم بين يدي رسول الله ﷺ، وبيعهم نفوسهم وأموالهم من الله، ومفارقتهم الأهل والأوطان والأحباب والأخدان؛ طلبًا للدين، وفرارًا من مساكنة الجاحدين، وكم يعدُّ العادُّ من هذه المناقب التي لا يتسع لها إلا مجلدات، ومن نظر في كتب السير والحديث؛ عرف من ذلك ما لا يُحيط به الحصر.

وإن قلت أيها السَّابُّ لخير هذه الأمة من الأصحاب إنك اقتديت بأئمة

---

(١٣٥) وانظر أيضًا ما نقله عن بعضهم من نص كلامهم، الفتح الرباني ص (٨٨٧-٨٩٤) ثم قال - رحمه الله - بعد نقل كلامهم: (والصحابة ﷺأجل وأعظم من أن يُنقل في تنزيه شأنهم - صانهم الله - مثل هذا الكلام، فإن مناقبهم التي في نصوص القرآن والسنة لا تفي لها إلا مجلدات، دع عنك ما قال الناس، ولكنّ أُسراء التقليد لا يكفُّ شراشر ألسنتهم إلا أقوال الرجال، فذكرنا هذه القطرة دفعًا لذلك.).

أهل البيت في هذه القضية الفظيعة؛ فقد حكينا لك في هذه الرسالة إجماعهم على خلاف ما أنت عليه من تلك الطرق.

وإن قلت إنك اقتديت بعلماء الحديث، أو علماء المذاهب الأربعة، أو سائر المذاهب، فلتأتنا بواحد منهم يقول بمثل مقالتك ! فهذه كتبهم قد ملأت الأرض، وأتباعهم على ظهر البسيطة أحياء، وقد اتفقت كلمة متقدميهم ومتأخريهم على أن من سب الصحابة مبتدع، وذهب بعضهم إلى فسقه وبعضهم إلى كُفره؛ كما حكى ذلك جماعة من علمائهم منهم: ابن حجر الهيثمي فإنه ذكر في كتابه المعروف بـ (الصواعق المحرقة) أن كثيرًا من الأئمة كفَّروا من سب الصحابة. وفي البحر – في كتاب الشهادات– في قوله: فصل: والخلاف ضروب ما لفظه: وضرب يقتضي الفسق لا غير، كخلاف الخوارج الذين يسبون عليًّا. والروافض الذين يسبون الشيخين لجُرأتهم على ما عُلم تحريمه قطعًا. انتهى.

وإن قلت أيها السَّابُّ: إنك اقتديت بفرقة من غلاة الإمامية، فنقول: صدقت؛ فإن فيهم فرقة مخذولة تصرح بسب أكابر الصحابة، وقد أجمع على تضليلهم جميع علماء الإسلام من أهل البيت وغيرهم وهم الرافضة، الذين رُويت الأحاديث في ذمهم.... فكيف اقتديت أيها المغرور في مثل هذه المسألة التي هي مزلَّةُ الأقدام بمثل هذه الفرقة ؟! فكيف تزعم أنك متبعٌ لأهل البيت وهم مخالفون للإماميَّة ومصرِّحون بشتمهم ومتوجِّعون من اعتقاداتهم الفاسدة؟!) اهـ. تنبيه الغبي ضمن الفتح الرباني ص(٨٣٩-٨٥٨).

وبهذا يتبين أن ما كان عليه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ والصالحون من ذريته هو محبتهم لإخوانهم من الصحابة ﷺ، والتَّرضية عنهم والترحُّم عليهم، وتحريم سبهم والطعن فيهم.

قال الشوكاني – رحمه الله –: (فهل يليق بمن يعد نفسه من شيعة أمير المؤمنين أن يخالفه هذه المخالفة، فيلعن من كان يرضى عنه ويترحم عليه؟! وهل

هذا إلا من المعاندة له - عليه السلام - والمخالفة لهديه القويم، والخروج عن الصراط المستقيم؟! فأي خير في تشيُّع يُفضي إلي ميل ويوقع في الهلكة؟!...

وفرقة الإماميَّة هي الفرقة التي غَلَتْ في المحبة فهلكت، فمن اقتدى بهم فهو من جملة الهالكين[١٣٦]، بنصوص الأحاديث الصحيحة وتصريح علماء الدين. فيا من يدَّعي أنه من أتباع الإمام زيد بن علي! كيف لا تقتدي في ذلك المنهج الجلي؟! ألا تراه رضي بمفارقة تلك الجيوش التي قامت تنصره على منابذة سلاطين الجور[١٣٧]، ولم يسمح بالتبري من الشيخين أبي بكر وعمر؟! بل احتج

---

(١٣٦) (قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (الرفض أعظم أبواب النفاق والزندقة. فإنه يكون الرجل واقفًا، ثم يصير مفضلًا، ثم يصير سبابًا، ثم يصير جاحدًا معطلًا، ولهذا انضمت إلى الرافضة أئمة الزنادقة من الإسماعيلية والنصيرية، وأنواعهم من القرامطة والباطنية، والدرزية، وأمثالهم من طوائف الزندقة والنفاق. فإن القدح في خير القرون الذين صحبوا الرسول قدح في الرسول عليه السلام كما قال مالك وغيره من أئمة العلم: هؤلاء طعنوا في أصحاب رسول الله ﷺ وإنما طعنوا في أصحابه ليقول القائل: رجل سوء كان له أصحاب سوء ولو كان رجلًا صالحًا لكان أصحابه صالحين. وأيضًا فهؤلاء الذين نقلوا القرآن والإسلام وشرائع النبي وهم الذين نقلوا فضائل عليٍّ وغيره فالقدح فيهم يوجب أن لا يُوثق بما نقلوه من الدين وحينئذ فلا تثبت فضيلة لا لعلي ولا لغيره و الرافضة جهال ليس لهم عقل ولا نقل ولا دين ولا دنيا منصورة) الفتاوى (٤/ ٤٢٨-٤٢٩).

(١٣٧) فصَّل الإمام الشوكاني تفصيلًا شرعيًّا لمسألة الخروج على السلاطين المسلمين فقال: (وطاعة الأئمة واجبة إلا في معصية الله، ولا يجوز الخروج عليهم ما أقاموا الصلاة ولم يظهروا كفرًا بواحًا، ويجب الصبر على جورهم، وبذل النصيحة لهم، وعليهم الذب عن المسلمين وكف يد الظالم، وحفظ ثغورهم وتدبيرهم، بالشرع في الأبدان والأديان والأموال، وتفريق أموال الله في مصارفها، وعدم الاستئثار بها فوق الكفاية بالمعروف والمبالغة في إصلاح السيرة والسريرة اهـ. من متن الدرر البهية وقال في شرحه الدراري المضية: (أقول أما وجوب طاعة الأئمة إلا في معصية الله تعالى فلقوله تعالى: :﴿أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ والأحاديث المتواترة في وجوب طاعة الأئمة، منها ما أخرجه البخاري من حديث أنس مرفوعًا: « اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسة زبيبة ما أقام فيكم كتاب الله » وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة عنه ﷺ: « مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ الله وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى الله، وَمَنْ يُطِعِ الأَمَيرَ فَقَدْ أَطَاعَنِي وَمَنْ يَعْصِ الأَمَيرَ فَقَدْ عَصَانِي » وفي الصحيحين من

حديث ابن عمر عنه ﷺ « عَلَى الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ إِلَّا أَنْ يُؤْمَرَ بِمَعْصِيةٍ فَلَا سَمْعَ وَلَا طَاعَةَ » والأحاديث في هذا الباب كثيرة. وأما كونه لا يجوز الخروج عليهم ما أقاموا الصلاة ولم يظهروا كفرًا بواحًا فلحديث عوف بن مالك – رضي الله عنه – عند مسلم – رحمه الله – وغيره قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « خِيَارُ أَئِمَّتِكُمْ الَّذِينَ تُحِبُّونَهُمْ وَيُحِبُّونَكُمْ وَتُصَلُّونَ عَلَيهِمْ وَيُصَلُّونَ عَلَيكُمْ، وشِرَارُ أَئِمَّتِكُم الَّذِينَ تُبْغِضُونَهُم وَيُبْغِضُونَكَمْ وَتَلْعَنُونَهُم وَيَلْعَنُونَكُم» قال: قلنا: يا رسول الله أفلا ننابذهم عند ذلك قال: «لا ما أقاموا فيكم الصلاة ألا من ولى عليهم وال فرآه يأتي شيئًا من معصية الله فليكره ما يأتي من معصية ولا ينزعن يدًا عن طاعة » وأخرج مسلم – رحمه الله – أيضًا وغيره من حديث حذيفة بن اليمان أن رسول الله ﷺ قال: « يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهديي ولا يستنون بسنتي وسيقوم فيكم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنسان» قال قلت: كيف أصنع يا رسول الله إن أدركت ذلك؟ قال: «تسمع وتطيع وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك فاسمع وأطع » وأخرج مسلم – رحمة الله – أيضًا من حديث عرفجة الأشجعي قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد يريد أن يشق عصاكم أو يفرق جماعتكم فاقتلوه ».

وفي الصحيحين من حديث عبادة بن الصامت قال: « بايعنا رسول الله ﷺ في منشطنا ومكرهنا و عسرنا ويسرنا وأثرة علينا وأن لا ننازع الأمر أهله إلا أن تروا بواحًا عندكم فيه من الله برهان » والبواح بالموحدة والمهملة قال الخطابي معنى قوله بواحًا ظاهرًا. وأخرج مسلم – رحمه الله – من حديث أبي هريرة عنه ﷺ « من خرج عن الطاعة وفارق الجماعة فميتتة جاهلية » وأخرج – رحمة الله – نحوه أيضًا عن ابن عمر وفي الصحيحين من حديث ابن عمر: « من حمل علينا السلاح فليس منا» وأخرجناه أيضًا من حديث أبي موسى – رضي الله عنه – وأخرج مسلم من حديث أبي هريرة وسلمه بن الأكوع – رضي الله عنهما – والأحاديث في هذا الباب لا يتسع المقام لبسطها. وقد ذهب إلى ما ذكرنا جمهور أهل العلم، وذهب بعض أهل العلم إلى جواز الخروج على الظلمة أو وجوبه تمسكًا بأحاديث الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهي أعم مطلقًا من أحاديث الباب ولا تعارض بين عام وخاص، ويحمل ما وقع من جماعة من أفاضل السلف على اجتهاد منهم، وهم أتقى لله، وأطوع لسنة رسول الله ﷺ، ممن جاء بعدهم من أهل العلم. وأما كونه يجب الصبر على جورهم فلما تقدم من الأحاديث وفي الصحيحين من حديث ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «من رأى من أميره شيئًا يكرهه فليصبر، فإنه من فارق الجماعة شبرًا فمات فميتته جاهلية» وفيها من حديث أبي هريرة مرفوعًا « أعطوهم حقهم فإن الله سائلهم عما استرعاهم» وأخرج أحمد من حديث أبي ذر – رضي الله عنه – أن رسول الله ﷺ، قال: « يا أبا ذر كيف بك عند ولاة يستأثرون عليك بهذا الفيئ قال: والذي بعثك بالحق أضع سيفي على

على الرافضة بأنهما كانا وزيري رسول الله ﷺ، ولا شك أنه يُؤلم الرجل ما يؤلم وزيره، ومن أهان الوزير فقد أهان السلطان) تنبيه الغبي ضمن الفتح الرباني (ص٨٦١-٨٦٢).

وقال - رحمه الله - مخاطبًا الهادوية أتباع الهادي يحيى بن الحسين[١٣٨]: وهلا

عاتقي وأضرب حتى ألحقك، قال: أولا أدلك على ما هو خير لك من ذلك ؟ تصبر حتى تلحقني » وفي الباب أحاديث كثيرة. اهـ الدراري كتاب الجهاد والسير ص (٥٣٥-٥٣٧) وانظر: للمزيد «نيل الأوطار» باب الصبر على جور الأئمة وترك قتالهم والكف عن إقامة السيف.

(١٣٨) قال الشوكاني: عن الهادي (فإنه الإمام الذي صار أهل الديار اليمنية مقلِّدين له متبعين لمذهبه من عصره، وهو آخر المائة الثالثة إلى الآن مع أنه قد اشتهر عند أتباعه والمطّلعين على مذهبه أنه صرّح تصريحًا لا يبقى عنده شك ولا شبهة بمنع التقليد له..) الفتح الرباني ص (٢٢٠٨) والمشهورعن الهادي أنه يتوقف عن التَّرضية والتَّرحم والتكفير والتفسيق للصحابة الكرام، كما نقل العلامة يحيى بن حمزة في (الرسالة الوازعة للمعتدين عن سب أصحاب سيد المرسلين) وهذا القول - مع مخالفته الصريحة للنصوص الكتاب والسنة وما عليه أهل السنة والجماعة من آل البيت ومن غيرهم - يخالفه الكثير من المنتسبين إلى الهادوية اليوم قال الشوكاني - رحمه الله -: (يا من يدعي أنه من أتباع الإمام الهادي يحيى بن الحسين ! هلا سلكت مسلكه، ومشيت على سُنن مذهبه، فتوقف كما صحّ عنه التوقف بما أسلفناه من حكاية الإمام الأجل يحيى بن حمزة عنه). تنبيه الغبي ضمن الفتح الرباني (٨٦٤) مع العلم أنه قد جاءت رواية عن الهادي بالترضية عن الصحابة - رضي الله عنهم - انظر الفتح الرباني (٨٤٧، ٨٦٥).

وقد توجع الإمام الشوكاني مما أضحى عليه حال الزيدية والهادوية فقال - رحمه الله -: بعد ذكره أن أتباع الهادي والإمام زيد كانوا سابقًا فيهم إنصاف: (وأما في هذه الأزمنة فقد أدركنا منهم من هو أشدُّ تعصبًا من غيرهم فإنهم إذا سمعوا برجل يدّعي الاجتهاد ويأخذ دينه من كتاب الله وسنة رسوله قاموا عليه قيامًا تبكي له عيون الإسلام، واستحلوا منه ما لا يستحلونه من أهل الذمة بالطّعن واللّعن والتفسيق والتكفير والهجْم عليه إلى داره ورجْمِه بالأحجار والاستظهار بهتك حرمته، ونعلم يقينًا أنه لولا خَبْطُهم بسوط هيبة الخلافة - أعز الله أركانها وشيّد سلطانها - لاستحلوا إراقة دماء العلماء المنتمين إلى الكتاب والسنة وفعلوا بهم ما لا يفعلونه بأهل الذمة وقد شاهدنا من هذا ما لا يتسع المقام لبسطه) الفتح الرباني ص (٢٢١١-٢٢١٢).

عملت بكلامه الذي صرح به - عليه السلام - في كتابه الذي كتبه من المدينة جوابًا على أهل صنعاء، قال فيه ما لفظه: ولا أُبغض أحدًا من الصحابة ﷺ الصادقين، والتابعين لهم بإحسان المؤمنين منهم والمؤمنات، أتولى جميع من هاجر، ومن آوى منهم ونصر، فمن سب مؤمنًا عندي استحلالًا فقد كفر، ومن سبه استحرامًا فقد ضل عندي وفسق، ولا أسب إلا من نقض العهد والعزيمة، وفي كل وقت له هزيمة، من الذين بالنفاق تفردوا، وعلى الرسول تمردوا، وعلى بيته اجتروا فطعنوا، وإني استغفر الله لأمهات المؤمنين، اللاتي خرجن من الدنيا على يقين، وأجعل لعنة الله على من تناولهن بما لا يستحققن من سائر الناس أجمعين) انتهى كلامه.

فأنت أيها السَّابُّ المدعي أنك من أتباع هذا الإمام بصريح كلامه، هذا إما كافر أو ضال فاسق، وهذا الذي صرَّح به هو مذهب أتباعه من الهادوية إلى الآن.

ونقل - رحمه الله - نصوصًا لبعض علماء الهادوية من كتبهم في بيان ما ذكره عنهم. ثم قال - رحمه الله -: وعلى الجملة إنه إذا لم يَقنَع المتبع لأهل البيت بما أسلفناه من إجماعاتهم ونصوصهم فهو إما جاهل لا يفهم ما يخاطَب به ولا يدري ما هو العلم، وإما مكابر قد أعمى التعصب بصر بصيرته، واستحوذ عليه الشيطان، فقاده بزمام الغيِّ والطغيان، إلى هذه المصيبة التي هي مُهلكة الأديان، بإجماع حملة السنة والقرآن، وكلا الرجلين لا ينفعه التطويل والاستكثار، من نقل نصوص الأئمة، ومن صرائح الأدلة، فلنقتصر على هذا المقدار، فإن لم ينتفع به لم ينتفع بأكثر منه.

فالعاقل المراعي لحفظ دينه، إذا لم يعمل بما ورد في الصحابة الراشدين من نصوص القرآن والسنة القاضية بأنهم أفضل من غيرهم من جميع الوجوه، وأن بين طبقتهم وطبقة من بعدهم من الأمة كما بين السماء والأرض فأقل الأحوال أن ينـزلهم منـزلة سائر المسلمين). اهـ تنبيه الغبي ضمن الفتح الرباني ص٨٦٥-٨٧٠ وما بعدها.

وهذه الرسائل التي ألفها - رحمه الله - في الذب عن الصحابة إنما ذكر فيها نصوص كبار أئمة آل البيت من الزيدية دون غيرهم وسبب ذلك بينه بقوله: (كل من عنده أدنى معرفة يعلم أني لم أذكر فيها إلا مجرّد الذبّ عن أعراض الصحابة ﷺ الذين هم خير القرون، مقتصرًا على نصوص الأئمة من آل البيت، ليكون ذلك أوقع في نفوس من يكذب عليهم، وينسب إلى مذهبهم ما هم منه براء) البدر الطالع (ص ٢٢٤).

فصل

في معنى قول عليٍّ ﷺ: «والله ما عندنا من كتاب يقرأ إلا كتاب الله وما في هذه الصحيفة»

عن أبي جحيفة قال: «قلت لعلي: هل عندكم شيء من الوحي ما ليس في القرآن فقال: والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إلَّا فهمًا يعطيه الله رجلًا في القرآن وما في هذه الصحيفة، قلت: وما في هذه الصحيفة؟ قال: العقل وفكاك الأسير وأن لا يقتل مسلم بكافر». رواه أحمد والبخاري والنسائي وأبو داود والترمذي[١٣٩].

قال - رحمه الله -: (يمكن التأويل بأنه أراد أن الرسول ﷺ ما خلَّف عندنا من العلم المكتوب بالقلم إلَّا هذا، لأنه لم يكن مكتوبًا عنده إذ ذاك إلَّا مصحفه، وما في الصحيفة، وهذا التأويل غير منافٍ لجميع تلك الروايات السابقة التي ساقها السائل – عافاه الله – ووجه هذا أنَّ النفي لو كان ما هو أعمُّ من المكتوب لكان مستلزمًا أنه لم يكن عنده من جميع العلم إلَّا ما ذكره ﷺ واللازم باطل، فالملزوم مثله. أمَّا الملازمة فظاهرة؛ لأن تعميم النفي يستلزم تعميم المنفي، وأمَّا بطلان اللازم فمعلوم بالتواتر أن عند أهل بيت النبوة، لا سيَّما أمير المؤمنين من العلوم النافعة التي يروونها عن رسول الله ﷺ غير المصحف والصحيفة المشار إليها، ومن لم يتواتر له هذا فعليه بمطالعة أيِّ كتاب كان من كتب الحديث، فإنه يجد المروي عن علي ﷺ، وعن أهله قد اشتمل على

---

(١٣٩) رواه البخاري في كتاب الجهاد والسير باب فكاك الأسير ح (٣٠٤٧). وعن علي أنه قال: (والله ما عندنا من كتاب يقرأ إلا كتاب الله وما في هذه الصحيفة ثم نشرها) وفي رواية لمسلم (من زعم أن عندنا شئ نقرؤه إلا كتاب الله وهذه الصحيفة - قال: وصحيفة معلقة في قراب سيفه - فقد كذب) رواه البخاري كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب ما يكره من التعمق والتنازع في العلم والغلو في الدين والبدع ح (٧٣٠٠)، ومسلم في كتاب الحج باب الترغيب على سكنى المدينة والصبر على لأوائها ح (١٣٧٠).

غير الأمرين المثبتين في كلامه[١٤٠]، وإذا تقرر هذا طاح الإشكال من أصله، فإنَّ الإثباتات المخالفة لهذا النفي هي باعتبار مطلق العلم لا باعتبار مكتوبه، وأمَّا ما استشكله السائل – حفظه الله – من إثبات من أثبت من أهل العلم لبعض الصحابة في العلم مزايا دون بعض. فأقول: إن كان التخصيص لبعض الصحابة منه ﷺ بأنه يعلم نوعًا من أنواع العلم كما حكاه أبو هريرة ﷺ عن نفسه، وكما أطبق عليه الصحابة في علم حذيفة ﷺ، وروي مرفوعًا، فلا شك أن مثل هذا العلم يُجوز الوصف للرجل

(١٤٠) وبين الحافظ ابن حجر – رحمه الله – أن عليًا (إنما أراد الأحكام التي كتبها عن النبي ﷺ، ولم ينف أن عنده أشياء أخر من الأحكام التي لم يكن كتبها) الفتح (٨/ ٧٦١) وقال: (أي مما كتبتموه عن النبي ﷺ سواء حفظتموه أم لا، وليس المراد تعميم كل مكتوب ومحفوظ لكثرة الثابت عن علي من مرويه عن النبي ﷺ مما ليس في الصحيفة المذكورة والمراد ما يفهم من فحوى لفظ القرآن ويستدل به من باطن معانيه، ومراد علي أن الذي عنده زائدًا على القرآن مما كتب عنه الصحيفة المذكورة وما استنبط من القرآن كأنه كان يكتب ما يقع له من ذلك لئلا ينساه، بخلاف ما حفظه عن النبي ﷺ من الأحكام فإنَّه يتعاهدها بالفعل والإفتاء بها فلم يخش عليها من النسيان) الفتح (١٢/ ٢٩٨).

وعلي من أعلم الصحابة لكنه كغيره من الصحابة عنده من العلم ما ليس عند بعضهم كما أن عند بعضهم من العلم ما ليس عنده، ولم يخص النبي ﷺ عليًا أو أهل البيت بشيء من أحكام الشريعة دون غيرهم من الأمة، قال الإمام النووي معلقًا على قول علي: (هذا تصريح من علي – رضي الله تعالى عنه – بإبطال ما تزعمه الرافضة والشيعة، ويخترعونه من قولهم: إن عليًا – رضي الله تعالى عنه – أوصى إليه النبي ﷺ بأمور كثيرة من أسرار العلم، وقواعد الدين، وكنوز الشريعة، وأنه ﷺ خص أهل البيت بما لم يطلع عليه غيرهم، وهذه دعاوى باطلة، واختراعات فاسدة، لا أصل لها، ويكفي في إبطالها قول علي – رضي الله عنه – هذا) شرح مسلم (٥/ ٢٦٧) وقال الحافظ: (وإنَّما سأله أبو جحيفة عن ذلك؛ لأن جماعة من الشيعة كانوا يزعمون أن عند أهل البيت – لاسيما عليًا – أشياء من الوحي خصهم النبي ﷺ بها لم يطلع غيرهم عليها) فتح الباري (١/ ٢٥٩) وقال النووي: (وأمَّا ما تدَّعيه الشيعة من النص على علي، والوصية إليه، فباطل لا أصل له باتفاق المسلمين، والاتفاق على بطلان دعواهم من زمن علي، وأول من كذبهم علي – رضي الله عنه – بقوله: ما عندنا إلَّا ما في هذه الصحيفة الحديث، ولو كان عنده نص لذكره، ولم ينقل أنَّه ذكره في يوم من الأيام، ولا أنَّ أحدًا ذكره له. والله أعلم. (شرح مسلم (٨/ ١٠).

المُخصص بذلك بأنه عالم بالنوع، وإنَّ ذلك التخصيص للرجل بفرد من أفراد الحوادث، مثل أنْ يعلم حدوث كذا في وقت كذا، فلا ريب أنَّه يجوز الوصف للرجل المُخَصَّص بذلك الفرد بأنه عالم به، وأهل الحديث قد وفوا لهذا، ووصفوا كلَّ أحدٍ بما يختص به؛ فإنَّهم كما خَصُّوا حذيفة بما ذكره السائل خصُّوا أمير المؤمنين بما ذكروه من قصة المدلج[١٤١] ورووا ذلك في كتبهم...... الفتح الرباني (٩١٠-٩٠٤).

وقال الإمام الشوكاني: قوله: «هَل عِنْدَكُم» الخطاب لعلي ولكنه غلبه على غيره من أهل البيت لحضوره وغيبتهم أو للتعظيم، قال الحافظ: وإنَّما سأله أبو جحيفة عن ذلك لأنَّ جماعة من الشيعة كانوا يزعمون أنَّ لأهل البيت لاسيما علي اختصاصًا بشيء من الوحي لم يطلع عليه غيرهم وقد سأل عليًّا عن هذه المسألة قيس بن عبادة والأشتر النخعي قال: والظاهر أن المسئول عنه هنا ما يتعلق بالأحكام الشرعية من الوحي الشامل للكتاب والسنَّة فإنَّ الله سبحانه سمَّاها وحيًا إذ فسر قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ﴾ [النجم: ٣]، بما هو أعم من القرآن ويدل على ذلك قوله: وما في هذه الصحيفة فإنَّ المذكور فيها ليس من القرآن بل من أحكام السنة، ومما يدل على اختصاص علي بشيء من الأسرار دون غيره حديث المخدج المقتول من الخوارج يوم النهروان كما في صحيح مسلم وسنن أبي داود فإنه قال: يومئذٍ التمسوا فيهم المخدج - يعني في القتلى - فلم يجدوه فقام الإمام علي بنفسه حتى أتى أناسًا قد قتل بعضهم على بعض فقال أخرجوهم:

---

(١٤١) رواه أحمد ح (١٨٣٢١) من حديث عمار بن ياسر ﷺ قال: كنت أنا و علي رفيقين في غزوة ذي العشيرة، فلما نزلها رسول الله ﷺ وأقام بها، رأينا ناسًا من بني مدلج يعملون في عين لهم في نخل، فقال لي علي: يا أبا اليقظان: هل لك أن نأتي هؤلاء فننظر كيف يعملون ؟ فجئناهم فنظرنا إلى عملهم ساعة، ثم غشينا النوم، فانطلقت أنا و علي، فاضطجعنا في سور من النخل، في دقعاء من التراب فنمنا، فوالله ما أيقظنا إلَّا رسول الله ﷺ يحركنا برجله، و قد تتربنا من تلك الدقعاء، فقال رسول الله ﷺ: يا أبا تراب! لما يرى عليه من التراب، فقال رسول الله ﷺ: ألا يا أبا تراب ! ألا أحدثكما بأشقى الناس رجلين ؟ قلنا: بلى يا رسول الله! قال: أحيمر ثمود الذي عقر الناقة، و الذي يضربك على هذه (يعني قرن علي) حتى تُبتلَّ هذه من الدم - يعني لحيته) وهو في الصحيحة رقم (١٧٤٣).

فوجدوه مما يلي الأرض فكبر وقال: صدق الله وبلَّغ رسوله، فقام إليه عبيدة السلماني فقال يا أمير المؤمنين: والله الذي لا اله إلَّا هو لقد سمعت هذا من رسول الله ﷺ قال أيْ والله الذي لا إله إلا هو حتى استحلفه ثلاثا وهو يحلف[١٤٢]. والمخدج المذكور هو ذو الثدية وكان في يده مثل ثدي المرأة على رأسه حلمة مثل حلمة الثدي عليه شعرات مثل سبالة السنور.

قوله: «إلَّا فهمًا» هكذا في رواية بالنصب على الاستثناء، وفي رواية بالرفع على البدل والفهم بمعنى المفهوم من لفظ القرآن أو معناه قوله: «وَمَا فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ» أي الورقة المكتوبة، والعقل الدية وسميت بذلك لأنهم كانوا يعطون الأبل ويربطونها بفناء دار المقتول بالعقال وهو الحبل) نيل الأوطار. (م٤/ ج٧/ ص٩-١٠).

وذكر - رحمه الله - أن رسول الله ﷺ خص عليًّا بـ(علم كثير من الملاحم، والأمور المستقبلة، فإن أمير المؤمنين قد كان يعلم من ذلك ما لم يعلم به غيره، يعرف ذلك من عرف ما خصَّه به رسول الله ﷺ من هذا العلم كما ثبت أنَّه قال يوم النهروان لما وقع المصاف: أنه لا يقتل منكم - يعني أصحابه - عشرة ولا ينجو منهم - يعنى الخوارج - عشرة، فكان الأمر كما قال.

ثم أخبرهم في ذلك اليوم بخبر ذي الثُدَيّة فوجدوه كما قال، فسأله عن ذلك جماعة من خُلّص أصحابه منهم أبو عبيدة السلماني، فقال: أنه أخبره بذلك رسول الله ﷺ. وهكذا أخبر رسول الله ﷺ بأنه سيقاتل الفرق الخارجة عليه، وأخبره بأن سيكون قتله ﷺ على الصفة التي وقع عليها، وكان يتحدَّث بذلك، بل كان يعين قاتله، وينشد إذا أبصره:

أُرِيْدُ حَيَاتَه وَيُرِيدُ قَتْلِي ... عُذَيْرَكَ مِنْ خَلِيْلِكَ مِنْ مُرَادِ

........) الفتح الرباني ص (٩٨٣-٩٤٣).

---

(١٤٢) رواه مسلم في كتاب الزكاة باب التحريض على قتل الخوارج ح (١٠٦٦) وأصله عند البخاري رقم (٣٦١١) قال الأصمعي وغير واحد في المخدج: هو الناقص الخلق، ومنه قيل للمقتول بالنهروان في الخوارج: مخدج اليد. غريب الحديث لأبي عبيد (١/ ٢٩٢).

فصل

في حكم النواصب المبغضين للإمام علي بن أبي طالب ﷺ والمكفرين له

يذهب الإمام الشوكاني إلي تكفير النواصب وهم الخوارج[١٤٣] ونحوهم

(١٤٣) وممن قال بتكفير الخوارج القاضي أبو بكر بن العربي والشيخُ تقي الدين السبكي انظر فتح الباري للحافظ ابن حجر (١٢/ ٣٦٢-٣٦٣) قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (من كان في قلبه الإيمان بالرسول وما جاء به وقد غلط في بعض ما تأوله من البدع، فهذا ليس بكافر أصلًا، والخوارج كانوا من أظهر الناس بدعة وقتالًا للأمة وتكفيرًا لها، ولم يكن في الصحابة من يكفرهم لا علي بن أبي طالب ولا غيره بل حكموا فيهم بحكمهم في المسلمين الظالمين المعتدين كما ذكرت الآثار عنهم بذلك) الفتاوى (٧/ ٢١٧-٢١٨) وانظر منهاج السنة (٥/ ٩٥) وذكر - رحمه الله -: أن نصوص الإمام أحمد صريحة في عدم تكفير الخوارج. انظر الفتاوى (٢٣/ ٣٤٨). وقال الإمام النووي: (ومذهب الشافعي وجماهير أصحابه وجماهير العلماء أن الخوارج لا يكفرون) شرح مسلم (٤/ ٣٩٠) وقال: (المذهب الصحيح المختار، الذي قاله الأكثرون والمحققون، أن الخوارج لا يُكفرون كسائر أهل البدع) شرح مسلم (٢/ ١٢٦) وبين الإمام الشوكاني - رحمه الله - أن المسائل العقدية التي وقعت فيها بعض الفرق - تأولًا وخطأً- وهي مخالفة للكتاب والسنَّة لا يتسرع فيها إلى التكفير فقال: (.... أراد المصنف إدخال كُفَّار التأويل اصطلاحًا في مُسمى الردة وهذه زلَّة قدم يقال عندها لليدين وللفم، وعثرة لا تُقال وهفوة لا تُغتفر، ولو صح هذا لكان غالب مَن على ظهر البسيطة من المسلمين مُرتدين؛ لأن أهل المذاهب الأربعة أشعرية وماتوريديَة وهم يكفرون المعتزلة ومن تابعهم، والمعتزلة يكفرونهم، وكل هذا نزعة من نزعات الشيطان الرجيم، ونَبْضةٌ من نَبضات التعصب البالغ والتعسف العظيم، وقد أوضحنا هذا في مؤلفاتنا بما لا يبقى بعده ريب لمرتاب) السيل الجرار (٣/ ٣٥٩). وانظر وبل الغمام (١/ ١٩٣-١٩٩).
وقال عند قول صاحب حدائق الأزهار: (والمتأول كالمرتد): أقول هاهنا تسكب العبرات، ويُناح على الإسلام وأهله بما جناه التعصب في الدين على غالب المسلمين من الترامي بالكفر لا لسنَّة ولا لقرآن، ولا لبيان من الله، ولا لبرهان، بل لَمَّا غلت مراجل العصبية في الدين، وتمكن الشيطان الرجيم من تفريق كلمة المسلمين لقَّنهم إلزامات بعضهم لبعض بما هو شبيه الهباء في الهواء، والسراب البِقيعة، فيا لله وللمسلمين من هذه الفاقرة التي هي من أعظم فواقر الدين والرزية التي ما رُزئ بمثلها سبيل المؤمنين..... والأدلة الدالة على وجوب

ممن يرى كفر أمير المؤمنين ﷺ ويسبه ويبغضه، قال - رحمه الله -: (وإذا ثبت أن الناصبي من يُبغض عليًّا عليه السلام؛ فقد ثبت بالأحاديث المعتمدة أن بغضه - كرم الله وجهه - نفاق وكفر:

فمن ذلك ما رواه مسلم في صحيحه عن علي عليه السلام: أنه قال: والذِي فَلَقَ الحبةَ وبَرَأَ النَّسمةَ إنَّه لعهدُ النبيّ الأميّ إليّ: أنْ لا يُحبني إلا مؤمنٌ، ولا يُبغضنِي إلا مُنَافِقٌ(١٤٤).... وفي هذا الباب أحاديث كثيرة من طرق عن جماعة من الصحابة. وفي هذا المقدار كفاية؛ في إثبات أن الناصبي كافر...). تنبيه الغبي ضمن الفتح الرباني ص٨٧٣.

صيانة عرض المسلم واحترامه يدل بفحوى الخطاب على تجنب القدح في دينه بأي قادح، فكيف إخراجه من الملة الإسلامية إلى الملة الكفرية، فإن هذه جناية لا تعدلها جناية، وجرأة لا تماثلها جراءة....) السيل الجرار (٣/ ٧٨٩/ ٧٩١)،

(١٤٤) رواه مسلم في كتاب الإيمان باب الدليل على أن حب الأنصار وعلي ﷺ من الإيمان وعلاماته وبغضهم من علامات النفاق ح(٧٨).

فصل

في موقف الرافضة من كتاب الشوكاني (إرشاد الغبي إلى مذهب آل البيت في صحب النبي ﷺ)

مما يوضح عداوة الرافضة للصحابة رضي الله عنهم ولكل من يتولاهم ما فعله رافضة صنعاء للشوكاني جرّاء تأليفه ذلك الكتاب النافع حيث قال - رحمه الله -: (ولقد اشتد بلاؤهم وتفاقمت محنتهم في بعض الواقعات فقاموا قومة شيطانية وصالوا صولة جاهلية، وذلك أنه ورد إليّ سؤال في شأن ما يقع من كثير من المقصّرين من الذّم لجماعة من الصحابة - صانهم الله، وغضبت على من ينتهك أعراضهم المصونة - فأجبت برسالة ذكرت فيها ما كان عليه أئمة الزيدية من أهل البيت وغيرهم، ونقلت إجماعهم من طرقَ وذكرت كلمات قالها جماعة من أكابر الأئمة، وظننت أنّ نقل إجماع أهل العلم يرفع عنهم العماية، ويردهم عن طريق الغواية، فقاموا بأجمعهم وحرروا جوابات زيادة على عشرين رسالة مشتملة على الشتم والمعارضة بما لا ينفق إلّا على بهيمة، واشتغلوا بتحرير ذلك وأشاعوه بين العامة ولم يجدوا عند الخاصة إلّا الموافقة، تقية لشرهم وفرارًا من معرتهم، وزاد الشرُّ وتفاقم حتى أبلغوا ذلك إلى أرباب الدولة والمخالطين للملوك من الوزراء وغيرهم.

وأبلغوه إلى مقام خليفة العصر - حفظه الله - وعَظّم القضية عليه جماعة ممن يتصل به، فمنهم من يشير عليه بحبسي، ومنهم من ينتصح له بإخراجي من مواطني، وهو ساكت لا يلتفت إلى شيء من ذلك وقاية من الله وحماية لأهل العلم ومدافعة عن القائمين بالحجة في عباده، ولم تكن لي إذ ذاك مداخلة لأحد من أرباب الدولة ولا اتصال بهم، واشتد لهج الناس بهذه القضية وجعلوها حديثهم في مجامعهم، وكان مَن بيني وبينهم مودّة يشيرون عليّ بالفرار أو

الاستتار، وأجمع رأيهم على أنِّي إذا لم أساعدهم على أحد الأمرين فلا أعود إلى مجالس التدريس التي كنت أدرس بها في جامع صنعاء، فنظرت ما عند تلامذتي فوجدت أنفسهم قوية، ورغبتهم في التدريس شديدة إلَّا القليل منهم فقد كادوا يستترون من الخوف ويفرُّون من الفزع، فلم أجد لي رخصة في البعد عن مجالس التدريس، وعدت وكان أول درس عاودته عند وصولي إلى الجامع في أصول الفقه بين العشاءين، فانقلب مَن بالجامع وتركوا ما هم فيه من الدرس والتدريس ووقفوا ينظرون إليّ متعجبين من الإقدام على ذلك، لما قد تقدر عندهم من عظم الأمر، وكثرة التهويل، والوعيد والترهيب حتى ظنوا أنه لا يمكنن البقاء في صنعاء فضلًا عن المعاودة للتدريس.

ثم وصل وأنا في حال ذلك الدرس جماعة لم تجرِ لهم عادة بالوصول إلى الجامع وهم متلفعون بثيابهم لا يُعرفون وكانوا ينظرون إليّ ويقفون قليلًا ثم يذهبون ويأتي آخرون حتى لم يبقَ شك مع أحد أنَّها إن لم تحصل فتنة في الحال وقعت مع خروجي من الجامع، فخرجت من الجامع وهم واقفون على مواضع من طريقي، فما سمعت من أحدهم كلمة فضلًا عن غير ذلك، وعاودت الدروس كلها وتكاثر الطلبة المتميزون زيادة على ما كانوا عليه، في كل فنٍّ وقد كانوا ظنوا أنه لا يستطيع أحد أن يقف بين يدي مخافةً على أنفسهم من الدولة والعامة، فكان الأمر على خلاف ما أظنه، وكنت أتعجب من ذلك وأقول في نفسي: هذا من صنع الله الحسن، ولطفه الخفي؛ لأن من كان الحامل له على ما وقع الحسد والمنافسة لم ينجح كيده، بل كان الأمر على خلاف ما يريد.

ومن عجيب ما أشرحه لك: أنه كان في درس بالجامع بعد صلاة العشاء الآخرة في صحيح البخاري يحضره من أهل العلم الذين مقصدهم الرواية وإثبات السماع جماعة من عامة الناس جمع جمّ لقصد الاستفادة بالحضور، فسمع ذلك وزير رافضي من وزراء الدولة، وكانت له صولة وقبول كلمة بحيث لا

يخالفه أحد، وله تعلق بأمر الأجناد، فحمله ذلك على أن استدعى رجلًا من المساعدين له في مذهبه، فنصب له كرسيًا في مسجد من مساجد صنعاء، ثم كان يسرج له الشمع الكثير، في ذلك المسجد، حتى يصير عجبًا من العجب فتسامع به الناس وقصدوا إليه من كل جانب لقصد الفرجة والنظر إلى ما لا عهد لهم به، والرجل الذي على الكرسي يملي عليهم في كل وقت ما يتضمن الثلب لجماعة من الصحابة - صانهم الله -.

ثم لم يكتف الوزير حتى أغرى جماعة من الأجناد من العبيد وغيرهم بالوصول إليّ بقصد الفتنة، فوصلوا وصلاة العشاء الآخرة قائمة، ودخلوا الجامع على هيئة منكرة وشاهدتهم عند وصولهم، فلما فرغت الصلاة قال لي جماعة من معارفي: إنه يحسن ترك الإملاء تلك الليلة في البخاري، فلم تطب نفسي بذلك، واستعنت بالله وتوكلت على الله، وقعدت في المكان المعتاد، وقد حضر بعض التلاميذ، وبعضهم لم يحضر تلك الليلة لـمَّا شاهد وصول أولئك الأجناد، ولمَّا قعدت للدرس وأخذت في الإملاء رأيت أولئك الأشخاص يدورون حول الحلقة من جانب إلى جانب، ويُقعقعون بالسلاح ويضربون سلاح بعضهم في بعض، ثم ذهبوا ولم يقع شيء بمعونة الله وفضله ووقايته. ثم إن ذلك الوزير أكثر السعاية إلى المقام الإمامي هو ومن يوافقه على هواه ويطابقه في اعتقاده من أعوان الدولة واستعانوا برسائل بعضها من علماء السوء، وبعضها من جماعة المقصرين الذين يظنهم من لا خبرة له في عداد أهل العلم. وحاصل ما في تلك الرسائل أني قد أردت تبديل مذهب أهل البيت - عليهم السلام -، وأنه إذا لم يتدارك ذلك الخليفة بطل مذهب آبائه، ونحو ذلك من العبارات المفتراة والكلمات الخشنة والأكاذيب الملفقة.

ولقد وقفت على رسالة منها لبعض أهل العلم ممن جمعني وإياه طلب العلم ونظمنا جميعًا عقد المودة وسابق الألفة فرأيته يقول فيها مخاطبًا لإمام العصر: أن الذي ينبغي له ويجب عليه أن يأمر جماعة يكبسون منـزلي ويهجمون

مسكني ويأخذون ما فيه من الكتب المتضمنة لما يوجب العقوبة من الاجتهادات المخالفة للمذهب، فلما وقفت على ذلك قضيت منه العجب، ولولا أن تلك الرسالة بخطه المعروف لديّ لما صدقت، وفيها من هذا الزور والبهت والكلمات الفظيعة شيء كثير، وهي في نحو ثلاثة كراريس، وعند تحرير هذه الأحرف قد انتقم الله منه فشرده إمام العصر إلى جزيرة من جزائر البحر مقرونًا في السلاسل بجماعة من السوقة وأهل الحرف الدنيئة وأهلكه الله في تلك الجزيرة ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف ٤٩]. وكان حدوث هذه الحادثة عليه ونزول هذه الفاقرة به بمرأى ومسمع من ذلك الوزير الرافضي الذي ألّف له تلك الرسالة استجلابًا لما عنده، وطلبًا للقرب إليه وتودّدًا له.

ومن جملة ما وقفت عليه من الرسائل المؤلفة بعناية لهذا الوزير: رسالة لبعض مشايخي الذين أخذت عنهم بعض العلوم الآلية وفيها من الزور ومحض الكذب ما لا يظن بمن هو دونه، وما حمله ذلك إلّا الطمع في الوزير، فعاقبه الله بقطع ما كان يجري عليه من الخليفة، وأصيب بفقر مدقع وفاقة شديدة حتى صار عبرة من العبر، وكان يفدُ إليّ يشكو حاله وما هو فيه من الجهد والبلاء فأبلغ جهدي في منفعته وما يسد فاقته، وهكذا جماعة من المترسلين عليّ المبالغين في إنزال الضرر بي أرجعهم الله إليّ راغمين وأحوجهم لمعونتي مضطرين ولم أُعاقب أحدًا منهم بما أسلفه ولا كافيته بما قدمه.

فانظر صنع الله مع من عُودِي وأوذي لأجل تمسكه بالإنصاف ووقوفه عند الحق. اللهم إني أحمدك على جميل صنعك وجزيل فضلك وجميل طولك حمدًا يتجدد بتجدد الأوقات ويتعدد بعدد المعدودات، وإني وإن لم أكن أهلًا لما أوليته فأنت له أهل وبه حقيق، لا أحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك) أدب الطلب ونهاية الأرب. ص (١٠٠-١٠٤).

وقال: (ومن أغرب ما أحكيه لمن يطلع على هذه الأحرف: أنّي كنت في عنفوان الشباب، واقتبال العمر متصدرًا بصنعاء - المحمية بالله - للإفتاء،

فكانت ترد عليّ أسئلة من الأقطار النائية، وأجيب عن كل بمقتضى سؤاله، فقد يسأل هذا عن مذهبه فأعرفه به، وقد يسأل آخر عن الدليل فأوضِّحه له، وقد يسأل سائل عن الراجح لدي، وأجيب عليه بمقدار ما يدخل تحت طاقتي. فمن جملة ما ورد إليّ سؤال عن سب الصحابة وثلب أعراضهم – صانها الله تعالى- هل مذهب أهل البيت أو بعضهم إطلاق السبِّ على جماعة من أفاضلهم وأهل سوابقهم؟ فاعتمدت في الجواب على النقل عن كتب أهل البيت، ونقلت إجماعهم على المنع من ذلك من ثلاث عشرة طريق، فوقعت هذه الرسالة إلى يد جماعة من رفضة العامة، فجالوا وصالوا، ولم يدعوا إمامًا ولا مأمومًا، وثاروا ثورة شديدة، فلما رأتهم الخاصة، خافوا على أعراضهم فوافقوهم وهم يعلمون صحة النقل عن كتب أهل البيت، ويعلمون أن ذلك مذهبهم، وأنه الحق في اعتقادهم، فكان يأتي العامي، أو من يلتحق به إلى أحدهم فيقول: كيف لا تجيب فلانًا رسالته ؟ فأجابوا -زيادة على عشرين جوابًا - رسائل مستقلة اطلعت على غالبها، فرأيتها مشحونة بالسباب والشتم والترويج للعامة في الاستطالة في أعراض الصحابة، والاستكثار من نقل مذاهب الإمامية، وغلاة الرافضة، ودعاة الباطنية، وأشياء يقشعر منها الجلد، وكل واحد منهم يعتقد خلاف ما كتبه ويدين بضد ما حرره، ولا غرض له بذلك إلا إرضاء العامة، واستجلاب خواطرهم، هذا معلوم عندي؛ لأني أعرف اعتقاداتهم، فإن بعضهم من شيوخي، وبعضهم من جملة من جمعني وإيَّاه طلب العلم على الشيوخ، وبعضهم من تلامذتي.

وكان المتحذلق منهم يُخفي نفسه ويأخذ على من يطلب منه الجواب ذلك، وبعضهم يتظهر بذلك ويهدي مؤَلفه إلى أرباب المناصب، وأهل الثروات ومن له جاه، ومع هذا فما ظفروا بطائل، ولا بلغ إلى أمله آمل، وعادوا بعد ذلك، يتوددون إليّ، ويستكثرون من الأعذار التي هي أقبح من الذنب، فإن منهم من يقول خشيت على نفسي. فأقول له ماذا خشيت: هل القتل، أو الطرد، أو الحبس ؟ فيقول: لا، إنما خشيت أن يقال بأني منحرف مخالف. ونحو هذه الأعذار،

وهؤلاء هم الخاصة.

وأمَّا من كان عاميًّا، أو لاحقًا بالعامي فأَفْرَط في الجهل والقحة، حتى أخبرني من أثق بخبره أنَّه سمع جماعة من طلبة الفروع يلعنون الإمام يحيى بن حمزة[١٤٥] - رضي الله عنه - لا سبب لذلك إلَّا أنَّه من بعض من نقلت عنهم في تلك الرسالة، وهذه عبرة، نسأل الله هداية الجميع). وبل الغمام (١/ ٤٠٣-٤٠٤).

وقال: (ولما ألفت الرسالة التي سميتها (إرشاد الغبي إلى مذهب أهل البيت في صحب النبيِّ) ونقلتُ إجماعهم من ثلاث عشرة طريقة على عدم ذكر الصحابة بسبٍّ أو ما يقاربه وقعت هذه الرسالة بأيدي جماعة من الرافضة الذين بصنعاء المخالفين لمذهب أهل البيت فجالوا وصالوا وتعصبوا وتحزبوا وأجابوا بأجوبة ليس فيها إلَّا محض السِّباب والمشاتمة، وكتبوا أبحاثًا ونقلوها من كتب الإمامية والجارودية وكَثُرت الأجوبة حتى جاوزت العشرين، وأكثرها لا يعرف صاحبه واشتغل الناس بذلك أيامًا، وزاد الشرُّ وعظمت الفتنة، فلم يبق صغير ولا كبير ولا إمام ولا مأموم إلَّا وعنده من ذلك شيء، وأعانهم على ذلك جماعة ممن لهم صولة ودولة، ثم إن تلك الرسالة انتشرت في الأقطار اليمنية، وحصل الاختلاف في شأنها، وتعصب أهل العلم لها وعليها، حتى وقعت المراجعة والمجاوبة والمكاتبة في شأنها في الجهات التهامية، وكلُّ من عنده أدنى معرفة يعلم أنِّي لم أذكر فيها إلَّا مجرد الذبِّ عن أعراض الصحابة الذين هم خير القرون مقتصرًا على نصوص الأئمة من أهل البيت ليكون ذلك أوقع في نفوس من يكذب عليهم وينسب إلى مذهبهم ما هم منه بُرآءُ، ولكن كان أهل العلم يخافون

(١٤٥) ترجمه الإمام الشوكاني في كتابه البدر الطالع وقال عنه: (وهو من أكابر أئمة الزيدية بالديار اليمنية وله ميل إلى الإنصاف مع طهارة لسان، وسلامة صدر، وعدم إقدام على التكفير والتفسيق بالتأويل، ومبالغة في الحمل على السلامة على وجه حسن، وهو كثير الذبِّ عن أعراض الصحابة المصونة - رضي الله عنهم) اهـ.

على أنفسهم ويحمون أعراضهم فيسكتون عن العامة، وكثير منهم كان يصوِّبُهم مداراةً لهم.

هذه الدسيسة هي الموجبة لاضطهاد علماء اليمن وتسلط العامة عليهم، وخمول ذكرهم وسقوط مراتبهم لأنَّهم يكتمون الحق فإذا تكلم به واحد منهم وثارت عليه العامة صانعوهم وداهنوهم وأوهموهم أنهم على الصواب، فيتجرءون بهذه الذريعة على وضع مقادير العلماء وهضم شأنهم. ولو تكلموا بالصَّواب، أو نصروا من يتكلم به، أو عرَّفوا العامة إذا سألوهم بالحق، وزجروهم عن الاشتغال بما ليس من شأنهم لكانوا يدًا واحدة على الحق، ولم يستطع العامة ومن يلتحق بهم من جهلة المُتفقِّهةِ إثارة شيء من الفتن - فإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون -. وكان تأليفي لتلك الرسالة في سنة (١٢٠٨م).

ومن جملة من اشتغل بها فقهاء ذمَّار وقاموا وقعدوا وكانوا يسألون صاحب الترجمة - السيد الحسين بن يحيى بن إبراهيم الديلمي الذماري - عن ذلك، ويتهمونه بالموافقة لما في الرسالة لما يعلمونه من المودة التي بيني وبينه، فسلك مسلك غيره ممن قدَّمت الإشارة إليهم من أهل العلم، بل زاد على ذلك فحرر جوابًا طويلًا على تلك الرسالة موهمًا لهم أنه قد أنكر بعض ما فيها، فلمَّا بلغني أنَّه أجاب ازداد تعجبي لعلمي أنَّه لا يجهل مثل ذلك ولا يخفى عليه الصَّواب، فلمَا وَقَفْت على الجواب وهو في كراريس رأيته لم يبتعد عن الحق ولكنَّه قد أثار فتنة بجوابه لظن العامة ومن شابههم أنَّ مثل هذا العالم الذي هو لي من المحبين لا يجيب إلا سقط وما فعلته مخالف للصَّواب، فأجبت عليه بالجواب مختصر تناقله المشتغلون بذلك وفيه بعض التخشين ثم إنه - عافاه الله - اعتذر إليَّ مرات ولم اشتغل بجواب على غيره لأنَّهم ليسوا بأهل لذلك، وفي الجوابات ما لا يَقْدِر على تحريره إلَّا عالم، ولكنَّهم لم يُسمُّوا أنفسهم فلم أشتغل بجواب من لا أعرفه، إلَّا أنَّه وقع في هذه الحادثة من بعض شيوخي ما يقتضي منه العجب، وهو أنَّه بلغني أنَّه من جملة المجيبين فلم أصدق لعلمي أنَّه ممن يعرف الحق ولا يخفى

عليه الصواب، وله معرفة بعلوم الكتاب والسنَّة، فبعد أيام وقفت على جوابه بخطه فرأيت ما لا يُظن بمثله من المجازفة في الكلام، والاستناد إلى نقول نقلها من كتب رافضة الإمامية والجارودية، وليته اقتصر على هذا ولكنَّه جاء بعبارات شنيعة، وتحامل عليَّ تحاملًا فظيعًا، (والسبب أنَّه - أصلحه الله - نظر بعض وزراء الدولة وقد قام في هذه الحادثة وقعد وأبرق وأرعد فخدم حضرته بتلك الرسالة التي جنى بها على أعراض الصحابة فضلًا عن غيرهم فما ظفر بطائل). البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع (٢٧٢-٢٧٥).

وقال أيضًا: (ومن أقرب حوادث الرفض والرافضة في ديارنا هذه: أنَّه كان جماعة من المتظهرين بالعلم يملون على الناس في جامع صنعاء في شهر رمضان سنة (١٢١٦) في كتب فضائل علي بن أبي طالب ﷺ، وكانوا نحو ثلاثة أو أربعة كل واحد منهم قد اجتمع عليه جماعة كثيرة من العامة، وكان أحدهم يُملي على كرسيّ مرتفع وتسرج حوله الشمع الكثير فيجتمع من الناس عدد كثير جدًا لقصد الفرجة كما يتفق في مثل هذا، وكانوا يشوبون المناقب بذكر مثالب بعض الصحابة، ويحطون من بعضهم، ويصرِّحون بسبِّ البعض، ويتوجعون من البعض، وكان ما يصدر من هؤلاء من الأمور إنما هو مطابقة للوزير الرافضي الذي قدمت لك ذكره ولاسيما صاحب الكرسي[١٤٦]، وهذا الوزير لم يكن رفضه

(١٤٦) هو يحيى بن محمد الحوثي ثم الصنعاني، ترجمه الإمام الشوكاني في البدر الطالع قال فيه: (وفي ليلة رابع عشر من شهر رمضان سنة (١٢١٦) ثارت بسببه فتنة عظيمة بصنعاء وذلك أنَّ بعض أهل الدولة ممن يتظهّر بالتشيع مع الجهل المفرط والرفض باطنًا؛ أقعد صاحب الترجمة على الكرسي الذي كان يقعد عليه أكابر العلماء المتصدرون للوعظ وأمره أن يملي على العامة كتاب (تفريج الكروب) للسيد إسحاق بن يوسف المتوكل وهو في مناقب عليٍّ - كرم الله وجهه - ولكن لم يتوقف صاحب الترجمة على ما فيه بل جاوز ذلك إلى سبِّ بعض السلف مطابقة لغرض من حمله على ذلك لقصد الإغاظة لبعض أهل الدولة المنتسبين إلى بني أمية كل ذلك لما بين الرجلين من المنافسة على الدنيا والمهافتة على القرب من الدولة وعلى جمع الحطام فكان صاحب الترجمة يصرخ باللعن على الكرسي فيصرخ معه من يحضر لديه من العامة وهم جمع جمٌّ،....) البدر الطالع (٧٩٨).

لوازع ديني كما يتفق لكثير من أهل الجهل المتعلقين بالرفض فهو أنذل من ذلك وأقل، ولكنه يفعل ذلك مساعدة لجماعة شياطين من المتفقهة المتعصبة يدخلون إليه فيقولون له: إنَّه لم يبق من يحامي على هذا الأمر سواك، وإنك ركن التشيع وملجأ أهله، ونحو ذلك من العبارات، فيبالغ في التظهر بهذه الخصلة، ويحب نسبة ذلك إليه، فكان الرفض مكمِّلًا لمثالبه متممًا لمعايبه؛ لأنه في كل باب من أبواب القبائح قريع دهره، ونسيج وحده، فلمَّا تكاثر ما يصدر من أولئك المشتغلين بما لا يعنيهم من ثلب السلف، مع ما ينضم إلى ذلك من إدخال الضغائن في قلوب العامة، وإيهامهم أن الناس قد تركوا مذهب أهل البيت وفعلوا، وكل ذلك كذب فإنَّ الناس في هذه الديار زيدية وكثير منهم يجاوز ذلك فيصير رافضيًا جلدًا، ولم يكن في هذه الديار خلاف ذلك إلَّا الشاذ النادر، وهم أكابر العلماء ومن يقتدي بهم فإنَّهم يعملون بمقتضى الدليل، ولا ينتمون إلى مذهب، ولا يتعصبون لأحد، فهؤلاء هم الذين يقصدهم أولئك الرافضة بكل فاقرة ويرمونهم بالحجر والمدر ويسمونهم بميسم النصب.

فلمَّا تفاقم شر أولئك المدرسين، وصار الجامع ملعبًا لا متعبَّدًا، واشتغل بأصواتهم المصلون عن صلاتهم، والذاكرون عن ذكرهم، رجَّح إمام العصر - أعزّ الله به الدين - منع صاحب الكرسي من الإملاء في الجامع، وأمره بالعودة إلى المسجد الذي كان يُملي فيه[١٤٧]، فحضر أولئك المستمعون على عادتهم، وكان

(١٤٧) وقال في البدرالطالع في ترجمة صاحب الكرسي: (وقد كان في سائر الأيام يجتمع معهم ويُملي عليهم على الصفة التي قدمنا ذكرها في مسجد الإمام صلاح الدين فأراد أن يكون ذلك في جامع صنعاء الذي هو مجمع الناس ومحل العلماء والتعليم لقصد نشر اللعن والثلب والتظاهر به، فلمَّا بلغ ذلك مولانا خليفة العصر - حفظه الله - جعل إشارة منه إلى عامل الأوقاف السيد إسماعيل بن الحسن الشامي أن يأمر صاحب الترجمة أن يرجع إلى مسجد صلاح الدين فأمر السيد المذكور الفقيه أحمد بن محسن حاتم - رئيس المأذنة - أن يبلِّغَ ذلك إلى صاحب الترجمة فأبلغه فحضر العامة تلك الليلة على العادة ومعهم جماعة من الفقهاء الذين وقع الظلم بهذا الاسم بإطلاقه عليهم فإنهم أجهل من العامة، فلما لم يحضر صاحب

الإملاء قبل صلاة العشاء، فلمّا لم يحضر شيخهم، ذهب بعضهم ليجيء به من بيته، فأخبرهم أن الإمام قد منعه وأمره بالعود إلى حيث كان، فلم يعذروه وما سمعوا منه ورجعوا إلى الجامع، ثم ثاروا ثورة شيطانية وقاموا قومة طاغوتية، فمنعوا الناس من الصلاة في الجامع، وما زال ينضم إليهم كل رافضي، ومن له رغبة في إثارة الفتن حتى صاروا جمعًا كثيرًا، ثم خرجوا فقصدوا بيت المؤذن الذي أظهر عليهم الرأي الإمامي فرجموه حتى كادوا يهدمونه، وفيه نساء وأطفال قد صاروا في أمر مريج، هذا وليس لذلك المؤذن المسكين سعي ولا له قدرة على شيء، ولكنه أرسل بالرأي الإمامي - والي الأوقاف إليه -، ووالي الوقف أيضًا ليس له سعي في ذلك ولكنَّه أرسله إليه بعض من يتصل بالمقام الإمامي.

ثم لَمَّا فرغوا من رجم بيت المؤذن، ذهبوا ولهم صراخ عظيم وأصوات شديدة إلى بيت والي الأوقاف، وهو رجل من أهل العلم من آل بيت رسول الله فرجموا بيته رجمًا شديدًا حتى غشي على بعض من فيه من الشرائف، فقال لهم قائل: إنَّ هؤلاء الشرائف المرجومات هن بنات نبيكم وبنات علي بن أبي طالب، ولم يكنّ بنات معاوية ولا بنات عمرو بن العاص وغيرهما ممن تعادونهم فما لكم ولهن، فلم يلتفتوا إلى ذلك واستمروا على الرجم، ثم دخلوا إلى بعض البيت ونهبوا بعض متاعه، وبلغهم أن والي الأوقاف وولده بمسجد قريب من بيته، فحاصوا حيصة حُمُر الوحش، وصرخوا صرخة الحُمر الأهلية، وذهبوا إلى ذلك المسجد عازمين على قتله، فأغلق عليه بعض الناس مقصورة المسجد فسلم، ثم ذهبوا بصراخهم وجلبتهم إلى بيت بعض أهل العلم من أهل البيت النبوي، وكان يعظ الناس بالجامع ويتظهر ببعض السنة، فرجموا بيته رجمًا شديدًا وفيه

الترجمة في الوقت المعتاد لذلك وهو قبل صلاة العشاء ثاروا في الجامع ورفعوا أصواتهم باللعن ومنعوا من إقامة صلاة العشاء ثم انضم إليهم مَن في نفسه دغل للدولة أو هو متستر بالرفض ثم اقتدى بهم سائر العامة فخرجوا من الجامع يصرخون في الشوارع بلعن الأموات و الأحياء وقد صاروا ألوفًا مؤلفة –ثم ذكر نحوًا مما قاله في الأصل –) البدر الطالع (٨٩٩).

شرائف وأطفال، ثم ثاروا إلى بيت بعض وزراء الخليفة لا ذنب له إلَّا لكونه ينافسه ذلك الوزير الرافضي، وكونه ينتسب إلى بعض بطون قريش، فرجموه رجمًا شديدًا، ثم كسروا بعض أبوابه ودخلوا وكادوا يتصلون بمن فيه لولا أنْ حماه جماعة بالرمي بالبنادق وآخرون بالسلاح، ويتصل ببيت هذا الوزير المرجوم بيت وزير آخر من أهل العلم فرجموه، ورجمهم من في بيت الوزير حتى أصابوا جماعة منهم فتركوه، وسبب رميهم لبيت الوزير هذا أنَّه من جملة من يتظهر بعلم السنة، ثم لما كاد ينقضي الليل فارقوا ما هم فيه وقد أثاروا فتنة عظيمة، ومحنة شديدة، ولما كان النهار جمع الخليفة أعوانه وطلبني واستشارني، فأشرت عليه بأن يحبس أولئك المدرسين الذين أثاروا الفتنة في الجامع بسبب ما يصدر منهم من نكاية القلوب وإثارة العوام[١٤٨]، فحبسهم ثم أشرت عليه بأَنْ يأمر بتتبع أولئك الذين رجموا البيوت وفعلوا تلك الأفاعيل، ومن وجدوه حبسوه، ويأمر بتتبع جماعة من شياطين الفقهاء المثيرين للفتنة ففعل وحُبسوا جميعًا، لكنه لم ينصح والي مدينة

---

(١٤٨) قال - رحمه الله -: (وكان من أشدهم في ذلك السيد إسماعيل بن عز الدين النعمي فإنه كان رافضيًا جلدًا مع كونه جاهلًا جهلًا مركبًا وفيه حدة تفضي به إلى نوع من الجنون وصار يجمع مؤلفات من كتب الرافضة ويمليها في الجامع على من هو أجهل منه، ويسعى في تفريق المسلمين ويوهمهم أن أكابر العلماء وأعيانهم ناصبة يبغضون عليًّا - كرم الله وجهه - بل جمع كتابًا يذكر فيه أعيان العلماء وينفر الناس عنهم وتارة يسميهم سنية وتارة يسميهم ناصبة. ومع هذا فهو لا يدري بنحو ولا صرف ولا أصول ولا فروع ولا تفسير ولا حديث، بل هو كصاحب الترجمة - صاحب الكرسي - في التعطل عن المعارف العلمية لكن صاحب الترجمة يعرف فنًا من فنون العلم كما قدمنا - حيث قال عنه في أول ترجمته: (اشتغل بعلم الفرائض والحساب والضرب والمساحة ففاق بذلك أهل عصره وتفرد به ولم يشاركه فيه أحد وصار الناس عيالًا عليه في ذلك ولم يكن له بغير هذا العلم إلمام) وأما هذا فلا يعرف شيئًا إلا مجرد المطالعة لمؤلفات الرافضة الإمامية ونحوهم الذين هم أجهل منه، ويشبه الرجلين رجل آخر هو أحد عبيد مولانا الإمام - حفظه الله - اسمه ضرغام رأس ماله الاطلاع على بعض كتب الرافضة المشتملة على السب للخلفاء وغيرهم من أكابر الصحابة، فصار هذا يقعد في الجامع ويُملي السب للصحابة على من هو أجهل منه، فهذه الأمور هي سبب ما قدمنا ذكره). البدر الطالع ص(٩٠٠) وانظر أيضًا البدر الطالع ص (٧٥٨) ترجمة السيد محمد بن عز الدين النعمي.

صنعاء لموافقته للوزير الرافضي في الرفض، ومهابته له ووقوفه عندما يختاره ويرتضيه، وبعد أن اجتمع في الحبس جماعة كثيرة من هؤلاء أرسل الإمام - حفظه الله - لجماعة من شياطينهم المباشرين للفتنة من الفقهاء فجيء بهم من الحبس إليه وضربهم بالعصي تحت داره وهو ينظر، ثم أرسل في اليوم الآخر لجماعة من أهل السوق المباشرين للفتنة فصنع بهم ما صنع بأولئك، ثم جعل جماعة من شياطين الجميع في سلاسل، وأرسل بهم إلى جزائر البحر[(١٤٩)] في هيئة منكرة فسكنت الفتنة سكونًا تامًا، ولقد حمدوا هذه المشورة بعد حين وعرفوا أنَّها صواب، وأنَّ بها كان سكون تلك الفتنة التي غلت مراجلها وكادت تعم جميع أهل صنعاء ثم تسري بعد ذلك إلى سائر الديار اليمنية.

ولقد تغيرت بهجة هذه المدينة العظيمة وتكدرت مشاربها العلمية وذهب رونق معارفها بما يصنعه جماعة المقصرين المغيّرين لفطرتهم السليمة بما حدث من علوم الروافض ودسائسهم، التي هي أضرَّ على المقصرين من السم القتّال وأدوى على من لم تستحكم معرفته وترسخ في العلوم قدمه من الداء العضال) بداية الطلب ونهاية الأرب ص (١٥٢-١٥٦).

(ومن هذا الجنس الذي يفعله أهل التعصب فرارهم من علماء الإنصاف، وطعنهم على من اتصل بهم، أو أخذ عنهم، وتحذيرهم للعامة وللطلبة عن مجالسة من كان كذلك، وإخبارهم لهم بأنَّ ذلك العالم سيضلهم ويخرجهم عمَّا هم فيه من المذهب الذي هم عليه، ثم يذكرون عند هذا التحذير والإنذار مطاعن يطعنون بها على ذلك العالم؛ لمجرد سماعها يثور غضب كل مسلم ويلتهب طبع من يسمع ذلك كائنًا من كان، فيقولون مثلًا لذلك العامي أو الطالب: هذا العالم الذي تتصل به يبغض علي بن أبي طالب أو يبغض أهل البيت أو نحو هذه العبارات الفظيعة، فعند سماع ذلك تقوم قيامة هذا المسكين، وليس بملوم فإنه جاهل جاء

---

(١٤٩) ذكر - رحمه الله -: (أنَّه أُرسل بجماعة منهم إلى حبس زيلع وجماعة إلى حبس كمران) البدر الطالع (٩٠١).

إليه من له ثياب أهل العلم وسمتهم وشكلهم، فقال له: إن ذلك العالم يعتقد كذا أو يقول كذا فصدقه، فالذنب محمول على ذلك القائل، ولا يكون إلَّا من أهل تلك الطبقة التي هي منشأ الشر ومنبع الفتنة، وقد اشتهر على ألسن الناس في صنعاء وما يتصل بها أن العلماء المجتهدين ومن يأخذ عنهم ويتصل بهم في هذه العصور يقال لهم سنيّة، وهذا هو اللقب الذي يتنافس فيه المتنافسون، فإن نسبة الرجل إلى السنة تنادي أبلغ نداء، وتشهد أكمل شهادة، بأنه متلبس بها، ولكنه لَمَّا صار في اصطلاح هؤلاء المتعصبة، يُطلق على من يعادي عليًا ويوالي معاوية، افتراء منهم على أهل العلم، واجتراء على المسلمين، استصعب ذلك من استصعبه، عند إطلاقه عليه في ألسن هؤلاء الذين هم بالدواب أشبه، ولم أجد أهل ملة من الملل ولا فرقة من الفرق الإسلامية، أشد بهتًا وأعظم كذبًا وأكثر افتراءً من الرافضة، فإنَّهم لا يبالون بما يقولون من الزور كائنًا ما كان، ومن كان مشاركًا لهم في نوع من أنواع الرفض وإنْ قلّ كان فيه مشابهة لهم بقدر ما يشاركهم فيه.

فهذا الذي نجده في ديارنا هذه يختلف باختلاف المشاركة المذكورة، فمن تلاعب به الشيطان ولم يزل ينقله من درجة إلى درجة حتى وصل به إلى الرفض البحت كما تشاهده في جماعة، فلا مطمع في كفه عن الطعن والثلب لخير القرون فضلًا عن أهل عصره، وليس يفلح من كان هكذا ولا يرجع إلى حق ولا ينـزع عن باطل، فإن تظاهر بالإنصاف والإقلاع عن البدعة والتلبس بالسنة فالغالب أنَّ ذلك يكون لجلب مصلحة له دنيوية أو دفع مفسدة يخشى ضررها، ولا يصح إلا في أندر الأحوال، فالهداية بيد الله يهدي من يشاء، وقد شاهدنا من خضوع هؤلاء لأطماع الدنيا وإن كانت حقيرة مالا يمكن التعبير عنه، فإنَّه لو طلب منه بعض أهل الدنيا أن يخرج من مذهبه لكان سريع الإجابة قريب الانفعال حتى ينال ذلك الغرض الدنيوي، وهو لا محالة راجع إلى ما كان فيه، ومن كان دون هذا فهو أقل ضررًا منه للإسلام وأهله ولنفسه، وأقرب إلى الإنصاف، ثم من

كان أقل تلبسًا بهذه البدعة، كان أقل شرًّا وأخف ضرًّا، وهو يرجع عنها إذا طلب العلم ومارس فنونه وعكف على علم الحديث، فإن لم يكن متأهلًا لطلب العلوم فليلزم أهله المتصفين بالإنصاف العارفين بالحق المهتدين بهدي الدليل، وقد شاهدنا كثيرًا ممن كان كذلك يقلع عنه وتنحل من عُقَد ما قد أصابه عقدة بعد عقدة حتى تصفو وتذهب ما تكدرت به فطرته ويدخل إلى الحق من أبوابه بحسب استعداده وقدر فهمه). أدب الطلب ومنتهى الأرب (١٣٩-١٤١).

فائدة: ذكر - رحمه الله - في ترجمة السيد صلاح بن حسين بن يحيى بن علي الأخفش الصنعاني فقال: (وله رسالة في الصحابة سلك فيها مسلك التنـزيه لهم على ما فيها من تطفيف لما يستحقونه، ومع ذلك اعترض عليها السيد العلامة عبد الله بن علي الوزير باعتراض سماه (إرسال الذؤابة بين جنبي مسألة الصحابة)، وحاصل هذا الاعتراض هدم ما بناه السيد صلاح من التنـزيه للصحابة عن السب والثلب. فإنا لله وإنا إليه راجعون. وكان بين هذين السيدين منافسة عظيمة ومناقضة ظاهرة، وما زال الأقران هكذا ولكن إذا بلغت المنافسة إلى حد الحط من خير القرون فأبعدها الله). البدر الطالع (٣٣٧).

بــاب

في بيان تاريخ الرافضة في التعاون مع أعداء الإسلام

(واعلم أنه كما يتسبب عن التعصب مَحْق بركة العلم، وذهاب رونقه، وزوال ما يترتب عليه من الثواب، كذلك يترتب عليه من الفتن المفضية إلى سفك الدماء، وهتك الحرم، وتمزيق الأعراض، واستحلال ما هو في عصمة الشرع ما لا يخفى على عاقل وقد لا يخلو عصر من العصور، ولا قطر من الأقطار من وقوع ذلك، لا سيما إذا اجتمع في المدينة والقرية مذهبان أو أكثر، وقد يقع من ذلك ما يفضي إلى إحراق الديار وقتل النساء والصبيان، كمثل ما يقع بين السنة والشيعة ببغداد، فإنهم كانوا يفعلون كل عام فتنًا، ويهرقون الدماء، ويستحلون من بعضهم البعض ما لا يستحلونه من أهل الذمة، بل قد لا يستحلونه من الكفار الذين لا ذمة لهم ولا عهد، وهذا يعرفه كل من له خبرة بأحوال الناس، ومن أراد الاطلاع في تفاصيل ما كان يقع بينهم في بغداد بخصوصها فلينظر مثل تواريخ الذهبي، وتاريخ ابن كثير، ونحو ذلك؛ فإنه سيجد في حوادث كل سنة شيئًا من ذلك في الغالب، وقد تنتهي بهم التعصبات والمناقضات إلى ما هو من أنواع الجنون والحماقات القبيحة كما وقع في كتب التواريخ أن أهل السنة ببغداد، أركبوا امرأة على جمل، وأركبوا رجلين آخرين، وسموا المرأة عائشة، والرجلين طلحة والزبير، ومشوا معهم وتحزبوا وتجمعوا، فسمع بذلك الشيعة من أهل الكرخ فأقبلوا مسرعين بالسلاح والكراع وقاتلوا أهل السنة قتالًا شديدًا وضربوا المرأة المسماة عائشة والمسمى طلحة والزبير ضربًا مبرحًا.

وبالجملة قد حدثت بسبب الاختلاف بين الطائفتين فواقر عظيمة، لو لم يكن منها إلا دخول التتر بغداد وقتلهم خليفة المسلمين، فإن سبب ذلك الوزير الرافضي ابن العلقمي، كان بينه وبين مجاهد الدين الدويدار من العداوة أمر

عظيم، وكان مجاهد الدين يتعصب على الشيعة تعصبًا شديدًا حتى أدى ذلك إلى نهب أهل الكرخ وإحراق مساكنهم[١٥٠]. فغضب الوزير غضبًا شديدًا، ولم

(١٥٠) قال جمال الدين الأتابكي في «النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة»: (وكان وزير الخليفة المستعصم بالله مؤيد الدين بن العلقمي ببغداد، وكان رافضيًا خبيثًا حريصًا على زوال الدولة العباسية، ونقل الخلافة إلى العلويين، يدبر ذلك في الباطن ويظهر للخليفة المستعصم خلاف ذلك، ولا زال يثير الفتن بين أهل السنة والرافضة حتى تجالدوا بالسيوف، وقُتل جماعة من الرافضة ونُهبوا، فاشتكى أهل باب البصرة إلى الأمير مجاهد الدين الدوادار وللأمير أبي بكر ابن الخليفة فتقدما إلى الجند بنهب الكرخ فركبوا من وقتهم وهجموا على الرافضة بالكرخ، وقتلوا منهم جماعة وارتكبوا معهم العظائم، فحنق الوزير ابن العلقمي ونوى الشر في الباطن وأمر أهل الكرخ الرافضة بالصبر والكف عن القتال، وقال لهم: أنا أكفيكم فيهم.
وكان الخليفة المستنصر بالله قد استكثر من الجند قبل موته حتى بلغ عدد عسكره مائة ألف.
وكان الوزير ابن العلقمي مع ذلك يصانع التتار في الباطن ويكاتبهم ويهاديهم، فلما استخلف المستعصم بعد موت أبيه المستنصر، وكان المستعصم خليًّا من الرأي والتدبير، فأشار عليه ابن العلقمي المذكور بقطع أرزاق أكثر الجند، وأنه بمصانعة التتار وإكرامهم يحصل بذلك المقصود، ولا حاجة لكثرة الجند ففعل الخليفة ذلك! قلت: وكلمة الشيخ مطاعة! ثم إن الوزير بعد ذلك كاتب التتار وأطمعهم في البلاد سرًّا، وأرسل إليهم غلامه وأخاه وسَهَّل عليهم فتح العراق وأخذ بغداد، وطلب منهم أن يكون نائبهم بالبلاد فوعدوه بذلك، وتأهبوا لقصد بغداد وكاتبوا لؤلؤًا صاحب الموصل في تهيئة الإقامات والسلاح، فكاتب لؤلؤ الخليفة سرًّا وحذره، ثم هيأ لهم الآلات والإقامات.
وكان الوزير ابن العلقمي المذكور ليس لأحد معه كلام في تدبير أمر الخليفة، فصار لا يوصل مكاتبات لؤلؤ ولا غيره للخليفة، وأعمى عنه الأخبار والنصائح، فكان يقرؤها هو ويجيب عنها بما يختار، فنتج أمر التتار بذلك غاية النتاج، وأخذ أمر الخليفة والمسلمين في إدبار! وكان تاج الدين بن صلايا نائب الخليفة بإربل حذر الخليفة وحرك عزمه، والخليفة لا يتحرك ولا يستيقظ فلما تحقق الخليفة حركة التتار نحوه سير إليهم شرف الدين بن محيي الدين بن الجوزي رسولًا يعدهم بأموال عظيمة، ثم سير مائة رجل إلى الدربند يكونون فيه يطالعون الخليفة بالأخبار، فمضوا فلم يطلع لهم خبر؛ لأن الأكراد الذين كانوا هناك دلوا التتار عليهم، فهجموا عليهم وقتلوهم أجمعين. ثم ركب هولاكو بن تولي خان بن جنكيزخان في جيوشه من المغول والتتار وقصدوا العراق، وكان على مقدمته الأمير بايجونوين، وفي جيشه خلق من أهل الكرخ الرافضة، ومن عسكر بركة خان ابن عم هولاكو، ومدد من صاحب الموصل مع ولده الملك الصالح ركن الدين إسماعيل، فوصلوا قرب بغداد واقتتلوا من جهة

البر الغربي عن دجلة، فخرج عسكر بغداد وعليهم ركن الدين الدوادار، فالتقوا على نحو مرحلتين من بغداد، فانكسر البغداديون وأخذتهم السيوف، وغرق بعضهم في الماء وهرب الباقون.
ثم ساق بايجونوين مقدمة هولاكو فنزل القرية مقابل دار الخلافة وبينه وبينها دجلة لا غير. وقصد هولاكو بغداد من البر الشرقي، وضرب سورًا وخندقًا على عسكره وأحاط ببغداد، فأشار الوزير ابن العلقمي على الخليفة المستعصم بالله بمصانعتهم. وقال له: أخرج إليهم أنا في تقرير الصلح فخرج إليهم، واجتمع بهولاكو وتوثق لنفسه ورد إلى الخليفة، وقال: إن الملك قد رغب في أن يزوج بنته بابنك الأمير أبي بكر، ويبقيك على منصب الخلافة كما أبقى صاحب الروم في سلطنته، ولا يطلب إلا أن تكون الطاعة له كما كان أجدادك مع السلاطين السلجوقية، وينصرف هو عنك بجيوشه فتجيبه يا مولانا أمير المؤمنين لهذا، فإن فيه حقن دماء المسلمين، ويمكن أن تفعل بعد ذلك ما تريد والرأي أن تخرج إليه، فسمع له الخليفة وخرج إليه في جمع من الأعيان من أقاربه وحواشيه وغيرهم.
فلما توجه إلى هولاكو لم يجتمع به هولاكو وأُنزل في خيمة، ثم ركب الوزير وعاد إلى بغداد بإذن هولاكو، واستدعى الفقهاء والأعيان والأماثل ليحضروا عقد بنت هولاكو على ابن الخليفة، فخرجوا من بغداد إلى هولاكو، فأمر هولاكو بضرب أعناقهم ثم مد الجسر، ودخل بايجونوين بمن معه إلى بغداد، وبذلوا السيف فيها، واستمر القتل والنهب والسبي في بغداد بضعة وثلاثين يومًا، فلم ينج منهم إلا من اختفى. ثم أمر هولاكو بعد القتلى فبلغوا ألف ألف وثمانمائة ألف وكسرًا. وقال الذهبي - رحمه الله - في تاريخ الإسلام: والأصح أنهم بلغوا ثمانمائة ألف. ثم نودي بعد ذلك بالأمان، فظهر من كان اختفى وهم قليل من كثير. وأما الوزير ابن العلقمي فلم يتم له ما أراد، وما اعتقد أن التتار يبذلون السيف مطلقًا في أهل السنة والرافضة معًا، وراح مع الطائفتين أيضًا أمم لا يحصون كثرة، وذاق ابن العلقمي الهوان والذل من التتار ولم تطل أيامه بَعد ذلك..... ولما تم أمر هولاكو طلب الخليفة وقتله خنقًا. وقيل: غم في بساط، وقيل: جعله هو وولده في عدلين وأمر برفسهما حتى ماتا.
ثم قتل الأمير مجاهد الدين الدوادار، والخادم إقبال الشرابي صاحب الرباط بحرم مكة، والأستادار محيي الدين بن الجوزي وولداه وسائر الأمراء الأكابر والحجاب والأعيان. وانقضت الخلافة من بغداد وزالت أيامهم من تلك البلاد، وخربت بغداد الخراب العظيم، وأحرقت كتب العلم التي كانت بها من سائر العلوم والفنون التي ما كانت في الدنيا، قيل: إنهم بنوا بها جسرًا من الطين والماء عوضًا عن الآجر، وقيل: غير ذلك. وكانت كسرة الخليفة يوم عاشوراء من سنة ست وخمسين وستمائة المذكورة، ونزل هولاكو بظاهر بغداد في عاشر المحرم، وبقي السيف يعمل فيها أربعة وثلاثين يومًا...) النجوم الزاهرة (حوادث سنة ٦٥٥)، وانظر هذه الكائنة العظيمة في تاريخ الخلفاء للسيوطي (٥٣١-٥٤٢) ط دار القلم،

يستطع المكافأة إذ ذاك، فحمله ذلك على مكاتبة التتر وترغيبهم في بغداد وتسهيل الأمر عليهم، فأقبل هولاكو ملك التتر ومعه جيش من التتر عظيم فوصلوا بغداد وأحاطوا بها من جميع جوانبها، وما زال الوزير يخدع الخليفة ويفرّق جيوشه ويحول بينه وبين الحزم حتى أعيته الحيلة وتمكن العدو، فخرج عند ذلك الوزير إلى التتر وقد تقدم بينهم من المكاتبة ما فيه حرمة وذمة وتكفل له بإيقاع الخليفة وأعيان المحل يقتلونهم كيف شاءوا ثم دخولهم بغداد بعد ذلك.

ثم رجع إلى الخليفة وأخبره أن سلطان التتر لا يريد استئصاله، ولا نزع يده من الخلافة، وليس له رغبة في ذلك بل مراده أن يكون متصرفًا عن أمر الخلافة كما كان يتصرف عن أمرهم الملوك الحمدانية والبويهية والسلجوقية، وإنه يريد أن يزوج ابن الخليفة بابنته، وما زال يخادع الخليفة ويفتل منه في الذورة والغارب حتى أسعده ومال إلى مقاله، وقال له: يخرج هو وأعيان البلد لعقد النكاح فخرج الخليفة وإخوته وأولاده وأعمامه وأمراؤه وأعيان بغداد من كل طبقة من الطبقات التي تتصل بالخليفة، وكان الذي عين الخارجين وسماهم هو الوزير المذكور، فلم يدع أحدًا من أركان الدولة يخشى منه ولا سيما من كان متعصبًا على الشيعة كالأمير مجاهد الدين الدويدار، فإنه جعلهم في أول الخارجين لشهود العقد، وقد كان أبرم هو وسلطان التتر أن سيجعله وزيرًا كما كان مع الخليفة العباسي، فلما خرج أولئك الأعيان والخليفة قتلهم التتر جميعًا ثم دخلوا بغداد فقتلوا من بها من الطائفتين لم يبقوا على شيعي ولا سني، وكان جملة القتلى كما نقله كثير من ثقات المؤرخين ثمانية عشر لكًّا عن ألف ألف قتيل وثماني مائة ألف قتيل.

فانظر هذه الفاقرة العظيمة التي تسببت عن تعصب هذا الوزير الرافضي لأصحابه من الرافضة لا رحمه الله، وقد كان يظهر التأسف والتندم، ويقول أنه ما كان يظن أن الأمر يقع هكذا، وأنه يظن سلامة الشيعة وعدم وصول الأمر إليهم

والبداية والنهاية وتاريخ الإسلام للذهبي حوادث سنة (٦٥٦).

حسبما قدمه لنفسه ولهم، ولم يصل ما شرطه لنفسه من الوزارة ولا غيرها، وغاية ما ناله السلامة من القتل؛ ومات بعد أن اقترف هذه العظيمة بأيام يسيرة دون سنة، وكان موته كمدًا على ما جناه على نفسه خصوصًا، وعلى إخوانه من الرافضة وسائر المسلمين، وكان في بعض الأوقات يظهر التجلد ويقول لا يبالي بمن قتل ولا بمن أصيب بعد أن شفى نفسه من الدويدار، **فانظر هذه الجاهلية التي تظاهر بها هذا الرافضي، وانظر ما صنع بالمسلمين، وما جناه الخليفة على نفسه من استخلاصه للوزارة وأمانته على الأسرار والركون إليه في تدبير الدولة، وهكذا من ألقى مقاليد أمره إلى رافضي وإن كان حقيرًا، فإنه لا أمانة لرافضي قط على من يخالفه في مذهبه ويدين بغير الرفض، بل يستحل ماله ودمه عند أدنى فرصة تلوح له، لأنه عنده مباح الدم والمال، وكل ما يظهره من المودة فهو تقيّة يذهب أثره بمجرد إمكان الفرصة.**

وقد جربنا هذا تجريبًا كثيرًا فلم نجد رافضيًا يخلص المودة لغير رافضي وإن آثره بجميع ما يملكه وكان له بمنـزلة الخول وتودد إليه بكل ما أمكن، **ولم نجد في مذهب من المذاهب المبتدعة ولا غيرها ما نجده عند هؤلاء من العداوة لمن خالفهم**(١٥١)، ثم لم نجد عند أحد ما نجد عندهم من التجري على شتم الأعراض

(١٥١) (وهذا حال أهل البدع المخالفة للكتاب والسنة، فإنهم إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس، ففيهم جهل وظلم لاسيما الرافضة، فإنهم أعظم ذوي الأهواء جهلًا وظلمًا، يعادون خيار أولياء الله - تعالى - من بعد النبيين من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان ﵃ ورضوا عنه، ويوالون الكفار والمنافقين من اليهود والنصارى والمشركين وأصناف الملحدين كالنصيرية والإسماعيلية وغيرهم من الضالين، فتجدهم أو كثيرًا منهم إذا اختصم خصمان في ربهم من المؤمنين والكفار، واختلف الناس فيما جاءت به الأنبياء فمنهم من آمن، ومنهم من كفر، سواء كان الاختلاف بقول أو عمل كالحروب التي بين المسلمين وأهل الكتاب والمشركين تجدهم يعاونون المشركين وأهل الكتاب على المسلمين أهل القرآن، كما قد جربه الناس منهم غير مرة في مثل إعانتهم للمشركين من الترك وغيرهم على أهل الإسلام بخراسان والعراق والجزيرة والشام وغير ذلك، وإعانتهم للنصارى على المسلمين بالشام ومصر وغير ذلك في وقائع متعددة من أعظمها الحوادث التي كانت في

المحرمة، فإنه يلعن أقبح اللعن ويسبّ أفظع السبّ كل من تجري بينه وبينه أدنى خصومة وأحقر جدال وأقل اختلاف، ولعل سبب هذا - والله أعلم - أنهم لما تجرءوا على سب السلف الصالح هان عليهم سب من عداهم، ولا جرم فكل شديد ذنب يهون ما دونه، وقد يقع بعض شياطينهم في علي ﷺ حردًا عليه وغضبًا له حيث ترك حقه، بل قد يبلغ بعض ملاعينهم إلى ثلب العرض الشريف النبوي ـ صانه الله ـ قائلًا: إنه كان عليه الإيضاح للناس، وكشف أمر الخلافة، ومن الأقدم فيها والأحق بها). أدب الطلب ومنتهى الأرب(١٤٣-١٤٨).

الإسلام في المائة الرابعة والسابعة فإنه لما قدم كفار الترك إلى بلاد الإسلام وقُتل من المسلمين ما لا يُحصى عدده إلا رب الأنام كانوا من أعظم الناس عداوة للمسلمين ومعاونة للكافرين، وهكذا معاونتهم لليهود أمر شهير حتى جعلهم الناس لهم كالحمير) منهاج السنة (١/ ٢٠) و(هذا حال الرافضة دائمًا يعادون أولياء الله المتقين من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان ويوالون الكفار والمنافقين) منهاج السنة (٣/ ٤٥٠) (وهذا دأب الرافضة دائمًا يتجاوزون عن جماعة المسلمين إلى اليهود والنصارى والمشركين في الأقوال والموالاة والمعاونة والقتال وغير ذلك. فهل يوجد أضل من قوم يعادون السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار ويوالون الكفار والمنافقين.... وكثير منهم يواد الكفار من وسط قلبه أكثر من موادته للمسلمين، ولهذا لما خرج الترك والكفار من جهة المشرق فقاتلوا المسلمين وسفكوا دماءهم ببلاد خرسان والعراق والشام والجزيرة وغيرها، كانت الرافضة معاونة لهم على قتال المسلمين ووزير بغداد المعروف بالعلقمي هو وأمثاله كانوا من أعظم الناس معاونة لهم على المسلمين، وكذلك الذين كانوا بالشام بحلب وغيرها من الرافضة كانوا من أشد الناس معاونة لهم على قتال المسلمين، وكذلك النصارى الذين قاتلهم المسلمون بالشام كانت الرافضة من أعظم أعوانهم وكذلك إذا صار اليهود دولة بالعراق وغيره تكون الرافضة من أعظم أعوانهم فهم دائمًا يوالون الكفار من المشركين واليهود والنصارى ويعاونونهم على قتال المسلمين ومعاداتهم) منهاج السنة (٣/ ٣٧٨،٣٧٤-٣٩٧).

باب
في واجب العلماء من فتنة الرافضة

﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ [آل عمران: ١٨٧].

قال - رحمه الله -: (صاحب المعرفة وحامل الحجة وثاقب الفهم لو وَطّن نفسه على الإرشاد، وتكلم بكلمة الحق، ونصر الله - سبحانه - ونصر دينه، وقام في تبيين ما أمره الله بتبيينه، لحمد مسراه، وشكر عاقبته، وأراه الله - سبحانه - من بدائع صنعه، وعجائب وقايته، وصدق ما وعد به من قوله: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾ [الحج: ٤٠]. و﴿إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧] ما يزده ثباتًا، ويشد من عضده، ويقوي قلبه في نصرة الحق ومعاضدة أهله.

ومن تأمل الأمر كما ينبغي عرف أن كل قائم بحجة الله إذا بينها للناس كما أمره الله، وصدع بالحق وضرب بالبدعة في وجه صاحبها، وألقم المتعصب حجرًا، وأوضح له ما شرعه الله لعباده، وأنه في تمسكه بمحض الرأي مع وجود البرهان الثابت عن صاحب الشرع، كخابط عشواء، وراكب العمياء، فإن قبل منه، ظفر بما وعده رسول الله ﷺ من الأجر في حديث: «**لأَن يَهدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلًا...**»[١٥٢] الحديث، وإن لم يقبل منه كان قد فعل ما أوجب الله عليه، وخلّص نفسه من كتم العلم الذي أمره الله بإفشائه، وخرج من ورطة أن يكون من الذين يكتمون ما أنزل الله من البينات والهدى، ودفع الله عنه ما سوّلته له نفسه الأمارة من الظنون الكاذبة والأوهام الباطلة، وانتهى حاله إلى أن يكون كعبه الأعلى،

---

(١٥٢) تتمة الحديث: «خير لك من حمر النَّعم» من حديث سهل بن سعد ﷺ، رواه البخاري في كتاب الجهاد والسير باب دعاء النبي ﷺ الناس إلى الإسلام ح (٢٩٤٢)، ورواه مسلم في كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل علي ﷺ ح (٢٤٠٦).

وقوله الأرفع، ولم يزده ذلك إلا رفعة في الدنيا والآخرة، وحظًّا عند عباد الله، وظَفَرًا بما وعد الله به عباده المتقين، وهم وإن أرادوا أن يضعوه بكثرة الأقاويل، وتزوير المطاعن وتلفيق العيوب، وتوعدوه بإيقاع المكروه به، وإنزال الضرر عليه، فذلك كله ينتهي إلى خلاف ما قدروه وعكس ما ظنوه، وكانت العاقبة للمتقين كما وعد به عباده المؤمنين ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ [فاطر: ٤٣]. ﴿فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ١٩٣].

ولقد تتبعت أحوال كثير من القائمين بالحق، المبلغين له كما أمر الله، المرشدين إلى الحق، فوجدتهم ينالون من حسن الأحدوثة وبُعد الصيت وقوة الشهرة وانتشار العلم ونَفاق المؤلفات وطيرانها وقبولها في الناس ما لا يبلغه غيرهم وينالهِ من سواهم، - ثم ذكر - رحمه الله - جملة من العلماء ممن صدعوا بالحق وكيف كان عاقبة أمرهم وحسن مآلهم، - وهذه الإشارة إنما هي لقصد الإيضاح لك لتعلم بما يصنعه الله لعباده وعلماء دينه وحملة حجته). أدب الطلب ومنتهى الأرب ص (٩٣-٩٦).

ثم ذكر رحمه الله أسبابًا عدة لكتمان الحق وعدم الصدع به منها الآتي:

١- ما يكون عليه بعض حملة العلم من ضعف في مواجهة المتعصبة، والصبر على أذاهم. قال - رحمه الله -: (الصدع بالحق والتظهر بما لا يوافق الناس من الحق لا يستطيعه إلا الأفراد، وقليل ما هم) أدب الطلب ص (١٠٥).

٢- حب الشرف والمال. قال - رحمه الله -: (ومن جملة الأسباب التي يتسبب عنها ترك الإنصاف، ويصدر عنها البعد عن الحق، وكتم الحجة، وعدم ما أوجبه الله من البيان: حب الشرف والمال اللذين هما أعدى على الإنسان من ذئبين ضاريين، كما وصف النبي ﷺ [١٥٣] فإن هذا هو السبب الذي حرَّف به أهل

(١٥٣) يشير إلى حديث كعب بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه» رواه الترمذي، كتاب الزهد، باب ما جاء في أخذ المال بحقه ح (٢٣٧٦) وهو في صحيح الجامع رقم (٥٦٢٠).

الكتاب كُتب الله المنـزلة على رسله، وكتموا ما جاءهم فيها من البينات والهدى كما وقع من أحبار اليهود، وقد أخبرنا الله بذلك في كتابه العزيز، وأخبرنا به رسول الله ﷺ في الثابت عنه في الصحيح، وبهذا السبب بقي من بقي على الكفر من العرب وغيرهم بعد قيام الحجة عليهم وظهور الحق لهم، وبه نافق من نافق، ووقع في الإسلام من أهل العلم بذلك السبب عجائب مودعة في كتب التاريخ، وكم من عالم قد مال إلى هوى ملك من الملوك فوافقه على ما يريد وحسَّن له ما يخالف الشرع، وتَظَهَّرَ له بما يَنْفُق لديه من المذاهب،.... وكم قد سمعنا ورأينا في عصرنا من أهله، فكثيرًا ما نرى الرجل يعتقد في نفسه اعتقادًا يوافق الحق ويطابق الصواب، فإذا تكلم عند من يخالفه في ذلك ويميل إلى شيء من البدعة، فضلًا عن أن يكون من أهل الرئاسة وممن بيده شيء من الدنيا، فضلًا عن أن يكون من الملوك، وافقه وساعده وسانده وعاضده، وأقل الأحوال أن يكتم ما يعتقده من الحق ويغمط ما قد تبين له من الصواب، عند من لا يجوّز منه ضررًا، ولا يقدّر منه نفعًا، فكيف ممن عداه وهذا في الحقيقة من تأثير الدنيا على الدين والعاجلة على الآجلة، وهو لو أمعن نظره وتدبر ما وقع فيه، لعلم أن ميله لهوى رجل أو رجلين أو ثلاثة أو أكثر ممّن يجاملهم في ذلك المجلس، ويكتم الحق مطابقة لهم واستجلابًا لمودتهم واستبقاء لما لديهم وفرارًا من نفورهم، هو من التقصير بجانب الحق، والتعظيم لجانب الباطل، فلولا أن هؤلاء لديه أعظم من الرب سبحانه لما مال إلى هواهم وترك ما يعلم أنه مراد الله – سبحانه – ومطلبه من عباده.

وكفاك بهذه الفاقرة العظيمة والداهية الجسيمة، فإن رجلًا يكون عنده فرد من أفراد عباد الله أعظم قدرًا من الله – سبحانه – ليس بعد تجريه على الله شيء، أرشدنا الله إلى الحق بحوله وطوله، وهكذا جرت عادة الله في عباده فإنه لا ينال من أراد الدنيا بالدين، إلا وبالًا وخسرانًا عاجلًا وآجلًا، خصوصًا من كان من الحاملين لحجة الله المأمورين بإبلاغها إلى العباد، فإن خيره في الدنيا والآخرة

مربوط بوقوفه على حدود الشريعة فإن زاغ عنها زاغ عنه. وقد صرح الله - سبحانه - بما يفيد هذا في غير موضع من كتابه العزيز. فأنت أيها الحامل للعلم لا تزال بخير ما دمت قائمًا بالحجة مرشدًا إليها ناشرًا لها غير مستبدل بها عرضًا من أعراض الدنيا أو مرضاة أهلها.) نفس المصدر ص (١٠٦-١١٠).

٣- السكنى في بلد أو دولة يَتَظَهَّر أهلها بشيء من البدع. قال - رحمه الله : (ومنهم من يترك التكلم بالحق والإرشاد إليه؛ مخافة الضرر من تلك الدولة وأهلها وعامتها، فإنه لو تكلم بشيء خلاف ما قد عملوا عليه ونشروه في الناس، لخشي على نفسه وأهله وماله وعرضه، ومنهم من يترك التكلم بالحق؛ محافظة على حظ قد ظفر به من تلك الدولة من مال أو جاه، وقد يترك التكلم بالحق الذي هو خلاف ما عليه الناس استجلابًا لخواطر العوام، ومخافة من نفورهم عنه. وقد يترك التكلم بالحق لطمع يظنه ويرجو حصوله من تلك الدولة، أو من سائر الناس في مستقبل الزمان، كمن يطمع في نيل رئاسة من الرئاسات ومنصب من المناصب كائنًا ما كان، ويرجو حصول رزق من السلطان أو أي فائدة.

فإنه يخاف أن تفوت عليه هذه الفائدة المظنونة والرئاسة المطموع فيها فيتظهّر بما يوافق الناس ويَنْفُق عندهم ويميلون إليه ليكون له ذلك ذخيرة ويدًا عندهم، ينال بها عرض الدنيا الذي يرجوه، فكيف تجد ذلك الناشئ بين من كان كذلك مع عدم وجود من يرشده إلى الحق ويبيّن له الصواب ويحول بينه وبين الباطل ويجنبه الغواية وهيهات ذلك فالدنيا مُؤْثَرة والدين تبع لها، ومن شك في هذا فليخبرنا من ذاك الذي يستطيع أن يصرخ بين ظهراني دولة من تلك الدول بما يخالف اعتقاد أهلها، وتألفه عامتها وخاصتها، ووقوع مثل ذلك نادرًا إنما يقوم به أفراد من مخلصي العلماء ومنصفيهم وقليل ما هم؛ فإنهم لا يوجدون إلا على قلة وإعواز. وهم حملة الحجة على الحقيقة والقائمون ببيان ما أنزل الله والمترجمون للشريعة وهم العلماء حقًّا، وأما غيرهم ممن يعلم كما يعلمون ولا يتكلم كما يتكلمون بل يكتم ما أخذ الله عليه بيانه، ويعمل بالجهل مع كونه عالمًا بأنه جهل،

ويقول البدعة مع اعتقاده أنها بدعة، فهذا ليس بأهل لدخوله في مسمى العلم، ولا يستأهل أن يوصف بوصف من أوصافه، أو يدخل في عداد أهله بل هو مُتَظَهِّر، وأقواله وأفعاله وحركاته وسكناته بالجهل والبدعة مطابقة لأهل الجهل والابتداع، وتنفيقًا لنفسه عليهم، واستجلابًا لقلوبهم، ومداراة لهم حتى يبق عليه جاهه، ويستمر له رزقه الجاري عليه من بيت مال المسلمين أو وقفهم أو نحو ذلك، فهذا من البائعين عرض الدين بالدنيا المؤثرين العاجلة على الآجلة، فضلًا عن أن يستحق الدخول في أهل العلم والوصول إلى منازلهم،....

فانظر ـ هداك الله وإياي ـ من يتكلم من أهل العلم الساكنين في أرض الخوارج كأرض عمان ونحوها بما يخالف مذهب الخوارج أو ينكر ذلك عليهم أو يرشد الناس إلى الحق. **وكذلك من كان ساكنًا من أهل العلم ببلاد الروافض كبلاد الأعاجم ونحوها، هل تجد رجلًا يخالف ما هم عليه من الرفض فضلًا عن أن ينكره عليهم، بل قد تجد غالب من في بلاد أهل البدع من العلماء الذين لا تخفى عليهم مناهج الحق وطرائق الرشد يتظهرون للملوك والعامة بما يناسب ما هم عليه، ويوهمونهم بأنهم يوافقونهم، وأن تلك البدعة التي هم عليها ليست ببدعة بل هي سنة وحق وشريعة، ويعملون كعملهم، ويدخلون في ضلالهم فيكونون ممن أضله الله على علم**؛ فمن كان من أهل العلم هكذا فهو لم ينتفع بعلمه، فضلًا عن أن ينتفع به غيره، فعلمه محنة وبلاء عليه.

والجاهل خير منه بكثير؛ فإنه فعل البدعة ووقع في غير الحق معتقدًا أن ما فعله هو الذي تعبده الله به وأراده منه، فيا من أخذ الله عليه البيان، وعلَّمَه السنة والقرآن، إذا تجرّيت على ربك بترك ما أخذه عليك، وطرح ما أمرك به، فقف عند هذه المعصية وكفى، واجعل ما علمته كالعدم لا عليك ولا لك، ودع المجاوزة لهذه المعصية إلى ما هو أشد منها، وأقبح من ترويج بدع المبتدعين والتحسين لها، وإيهامهم أنهم على الحق؛ فإنك إذا فعلت ذلك كان علمك - لا علمت - بلاء على أهل تلك البدع، بعد كونه بلاء عليك؛ لأنهم يفعلون تلك البدع على بصيرة

ويتشددون فيها، ولا تنجع فيهم بعد ذلك موعظة ولا نصيحة ناصح، ولا إرشاد مرشد لاعتقادهم فيك - لا كثر الله من أهل العلم من أمثالك - بأنك عالم محقق متقن قد عرفت علوم الكتاب والسنة، فلم يكن في علماء السوء شر منك ولا أشد ضررًا على عباد الله.

وقد جرت قاعدة أهل البدع في سابق الدهر ولاحقه؛ بأنهم يفرحون بصدور الكلمة الواحدة عن عالم من العلماء، ويبالغون في إشهارها وإذاعتها فيما بينهم، ويجعلونها حجة لبدعتهم، ويضربون بها وجه من أنكر عليهم، كما تجده في كتب الروافض من الروايات لكلمات وقعت من علماء الإسلام فيما يتعلق بما شجر بين الصحابة، وفي المناقب والمثالب فإنهم يطيرون عند ذلك فرحًا، ويجعلونه من أعلم الذخائر والغنائم، - ثم أورد - رحمه الله - سؤالًا على نفسه وهو - لكن إذا فعل العالم ذلك، وصرخ بالحق في بلاد البدع، وأرشد إلى العمل بالدليل في مدائن التقليد قد لا يتأثر عن ذلك إلا مجرد التنكيل به، والهتك لحرمته، وإنزال الضرر به.

قلت: إنما سألت هذا السؤال، وجئت بهذا المقال، ذهولًا عما قدمته لك وأوضحته وكررت من حِفظ الله للمتكلمين بالحق، ولطفه بالمرشدين لعباده إلى الإنصاف، وحمايته لهم عن ما يظنه من ضَعُف إيمانه وخارت قواه ووهت عزيمته، فأرجع النظر فيما أسلفته وتدبّر ما قدمته تعلم به صدق ما وعد الله عباده المؤمنين من أن العاقبة للمتقين.

ثم هب صدق ما حدستَه، ووقوع ما قدَّرتَه وحصول المحنة عليك، ونزول الضرر بك، فهل أنت كل العالم وجميع الناس، أم تظن أنك مخلد في هذه الدار، أم ما عسى يكون إذا عملت بالعلم، ومشيت على الطريقة التي أمرك الله بها، فنهاية ما ينـزل عليك ويحل بك أن تكون قتيلًا للحق، وشهيدًا للعلم فتظفر بالسعادة الأبدية، وتكون قدوة لأهل العلم إلى آخر الدهر، وخزيًا لأهل البدع وقاصمة لظهورهم، وبلاءً مصوبًا عليهم وعارًا لهم، ما داموا متمسكين بضلالهم، سادرين في عمايتهم، واقعين في مزالقهم، وقد سبقك من عباد الله إلى هذه الطريقة، وظفر

بهذه المنـزلة العلية، وفيهم لك القدوة وبهم الأسوة.

فانظر يا مسكين من قطعته السيوف، ومزقته الرماح من عباد الله في الجهاد؛ فإنهم طلبوا الموت، ورغبوا في الشهادة، والبِيض تغمد في الطُّلى[١٥٤]، والرماح تغرز في الكلى، والموت بمرأى منهم ومسمع، يأتيهم من أمامهم ومن خلفهم وعن يمينهم وشمالهم، فأين أنت من هؤلاء ولست إلَّا قائمًا بين ظهراني المسلمين تدعوهم إلى ما شرعه الله، وترشدهم إلى تأثير كتاب الله وسنُّة رسوله على محض الرأي والبدع، فإن الذي يظن بمثلك ممن يقوم بمقامك إن لم تنجذب له القلوب بادئ ذي بدء ويتبعه الناس بأول نداء، أن يستنكر الناس ذلك عليه ويستعظموه منه وينالوه بألسنتهم ويسيئوا القالة فيه فيكثروا الغيبة له فضلًا عن أن يبلغ ما يصدر منهم إلى الإضرار ببدنه أو ماله فضلًا عن أن ينـزل به منهم ما نزل بأولئك، وهب أنه نال أعظم ما جوّزه وأقبح ما قدَّره فليس هو بأعظم مما أصيب به من قتل في سبيل الله). أدب الطلب ومنتهى الأرب. ص (١١٣-١١٧).

وقال - رحمه الله - في تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة ٦٧] (وهكذا من سبقت له العناية من علماء هذه الأمة يعصمه الله من الناس، إن قام ببيان حجج الله وإيضاح براهينه، وصرخ بين ظهراني من ضاد الله وعانده ولم يمتثل لشرعه كطوائف المبتدعة، وقد رأينا من هذا في أنفسنا وسمعناه في غيرنا ما يزيد المؤمن إيمانًا وصلابة في دين الله وشدة شكيمة في القيام بحجة الله، وكل ما يظنه متزلزلو الأقدام ومضطربو القلوب من نزول الضرر بهم وحصول المحن عليهم فهو خيالات مختلة وتوهمات باطلة، فإن كل محنة في الظاهر هي منحة في الحقيقة؛ لأنها لا تأتي إلا بخير في الأولى والأخرى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ أَوۡ أَلۡقَى ٱلسَّمۡعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧].

---

(١٥٤) الطُّلَى -بضم الطاء-: الأعناق.

بـــاب

في ذكر بعض ما قاله الإمام الشوكاني من الشعر في الرد على الرافضة والدفاع عن السنة وصحابة النبي ﷺ

قال الإمام الشوكاني - رحمه الله - في تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱنتَصَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْ﴾ [الشعراء: ٢٢٧] (كمن يهجو منهم من هجاه، أو ينتصر لعالم أو فاضل، كما كان يقع من شعراء النبي ﷺ، فإنهم كانوا يهجون من يهجوه ويحمون عنه ويذبون عن عرضه ويكافحون شعراء المشركين وينافحونهم، **ويدخل في هذا من انتصر بشعره لأهل السنة، وكافح أهل البدعة، وزيف ما يقوله شعراؤهم من مدح بدعتهم، وهجو السنة المطهرة، كما يقع ذلك كثيرًا من شعراء الرافضة ونحوهم، فإن الانتصار للحق بالشعر وتزييف الباطل به من أعظم المجاهدة، وفاعله من المجاهدين في سبيل الله المنتصرين لدينه القائمين بما أمر الله بالقيام به)** فتح القدير.

قال- تغشاه الله بواسع رحمته – في الدفاع عن أبي بكر الصديق وعمر الفاروق- رضي الله عنهما-:

وَذِي رَفْضٍ ينازِعُني بِجَهْلٍ   ولا عِلْمٌ لَدَيهِ وَلَا حَيَاءُ

يَقُولُ: أَلا تَسُبُّ أَبا فُلانٍ   وَصَاحِبَهُ، فَقَدْ بَرِحَ الخَفَاءُ

فَقُلْتُ: بِفِيكَ يَا مَخْذُولُ تُرْبٌ   وشَرُّكُما لِخَيْرِكُما الفِدَاءُ

ديوان الشوكاني (أسلاك الجوهر) تحقيق حسين العَمري ص (٦٧).

وقال - رحمه الله -:

إِذَا مالَمْ يَسَعْكَ سَبيلُ قَوْمٍ ... هُمْ خَيْرُ الْقُرونِ بِلا جِدَالِ
فَقَدْ ضاقتْ عَلَيْكَ الأَرْضَ ... ودافَعْتَ الْحَقِيقَةَ بالخَيالِ

نفس المصدر (٢٧٦).

وقال - رحمه الله -:

وَهَذِيُ الصَّحْبِ أَفْضَلُ كُلِّ ... وَأَشْرَفُهُ وإنْ جَحَدَ الجَحُودُ

نفس المصدر: (١٦٤).

وقال - رحمه الله -:

إنْ غَضبوا جَهْلًا لما قُلْتُهُ ... في صَحْبِ طَهَ عَنْ فَعَالِ الجميل
دَفَعْتُ ما يَبْغونَ بِي مِنْ أَذى ... بِحَسْبِيَ اللهُ ونِعْمَ الوَكيلْ

نفس المصدر (٢٩٧).

وقال - رحمه الله تعالى - لما اعترض على كلامه بعض المقصرين:

يَا نَاقِدًا لِكَلامٍ لَيسَ يَفْهَمُهُ ... مَنْ لَيسَ يَفْهَم قُلْ لِي كَيْفَ يَنْتَقِدُ
يَا صَاعِدًا فِي وُعُورٍ ضَاقَ ... أَيَصْعَدُ الْوَعرَ مَنْ فِي السَّهْلِ يَرْتَعِدُ
يَا مَاشِيًا فِي فَلاةٍ لَا أَنِيسَ بِهَا ... كَيْفَ السَّبيلُ إِذَا مَا اغْتَالَكَ الأَسَدُ
يَا خَائِضَ الْبَحْرِ لا تَدْرِي سِبَاحَتَهُ ... وَيْلي عَلَيْكَ أَتَنْجُو إِنْ عَلاَ الزَّبَدُ
كَمْ راغِبٍ فِي سِفاهِي لا أُسافِهُهُ ... وَبَاحِثٍ عَنْ عُيُوبِي وهْو لا يَجِدُ
وَحَاسِدٍ لِي عَلَى ما نِلْتُ لا بَرِحَتْ ... مِنْهُ الحَشَا بِنِيارِ الحَسْدِ تَتَّقِدُ

الذَّنْبُ لي عِنْدَ أَهْلِ الرَّفْضِ كُلِّهِم أَنّي لِهَدْمِ بُيوتِ الرَّفْضِ أَحْتَشِدُ

يَا لِلرِّجالِ أَيَغْدُو الْقَدْمُ بَيْنَكُمْ مُعَظَّمًا وإمامُ الْعِلمِ مُضْطَهَدُ

فَلا سَقى اللهُ أَرْضًا يُسْتَضَامُ بِها أُسْدُ الشَّرَى وَبِها يَسْتأْسِدُ النَّقَدُ

إنّي بُليتُ بأهلِ الجَهلِ في زَمَنٍ قامُوا بِهِ ورجالُ العِلمِ قَدْ قَعَدوا

قَوْمٌ يَدِقُ جَليلُ الْقَومِ عِنْدَهُمُ فَمَا لَهُمْ طاقَةٌ في حَلِّ مَا يَرِدُ

وغَايَةُ الأَمْرِ عِنْدَ الْقَوْمِ أَنَّهُمُ أَعْدَى الْعُداةِ لِمَنْ في عِلْمِهِ سَدَدُ

إذا رَأَوْا رَجُلًا قَدْ نَالَ مَرْتَبَةً في الْعِلمِ فَوْقَ الذي يَدْرُوْنَه جَحَدوا

أَوْ مَالَ عَنْ زائِفِ الأَقْوالِ ما تَركُوا بَابًا مِن الشَّرِّ إلاّ نَحْوَهُ قَصَدُوا

أَما الحديثُ الذي قَدْ صَحَّ كالأُمّهاتِ فَما فِيهِمْ لَهَا وَلَدُ

تَراهُمُ إن رَأَوْا منْ قَالَ حَدَّثَنا قَالُوا لَهُ ناصِبيٌّ ما لَهُ رَشَدُ

وإنْ تَرَضَّى عَنِ الأَصْحابِ بَيْنَهُمُ قَالوا لَهُ باغِضٌ للآلِ مُجْتَهِدُ

يا غارِقينَ بِسَوْمِ الْجَهْلِ في بِدَعٍ ونافِرينَ عَنِ الْهَدْيِ الْقَويمِ هُدُوا

أَفي اجتهادِ فَتىً في العِلْمِ مَنْقَصَةٌ النَّقْصُ في الْجَهْلِ لا حَيَّاكُمُ

لا تُنْكِرُوا مَوْرِدًا عَذْبًا لِشارِبِهِ إنْ كانَ لا بُدَّ مِنْ إنْكارِهِ فَرِدُوا

وإنْ أَبَيْتُمْ فَيَوْمُ الْحَشْرِ مَوْعِدُنا في مَوْقِفِ المصْطَفَى والحاكِمُ الأَحَدُ

نفس المصدر (١٢٥-١٢٦).

وقال - رحمه الله ورضي عنه - لما بلغه أن جماعة يغتابونه ولم يقدروا على شيء سواها مع ما حاولوا، والله حافظ له ومعين حتى صدع بالحق وأظهر ما بعث به سيد الخلق ﷺ، فجزاه الله عن الإسلام خيرًا:

يُجاهِرُنِي الْعَدُوُّ بِكُلِّ نُكْرٍ وَيَنْصُرُ مَنْ أصادِقُهُ الأَعادِي
وَيُبْعِدُنِي القَرِيبُ بلا احْتِشامٍ ويَزْدادُ الْبَعِيدُ مِنَ البعادِ
وَيَطْوِي الْبِشْرَ عَنِّي مَنْ أُصَافِي وَيَنْسَى ما لَدَيْهِ مِنَ الأَيادِي
وذَنْبِي عِنْدَ إخواني بِأَنِّي هَدَيْتُهُمُ إلى سُبُلِ الرَّشادِ
وَقُلْتُ عَلَيْكُمُ بكِتابِ رَبِّي وسُنَّةِ خَيرِ مَهْدِيٍّ وهادي
وَرَأْيُ الناسِ عِنْدَهما دَعْوةٌ فَبَعْضُ الرَّأْيِ مِنْ جِنْسِ الْعِنادِ
وعندهما دَعُوْا زَيْدًا وعَمْرًا إِذَا كانَا عَلَى غيرِ السَّدَادِ
فَقَوْلُ اللهِ يَشْفِي كُلَّ دَاءٍ وَيَرْوِي قَوْلُ طَهَ كُلَّ صادِي
وصَحْبُ مُحَمّدٍ رَضُوا عَلَيْهِمْ فَصَحْبُ مُحَمّدٍ خَيْرُ الْعِبادِ
ولا تَرْمُوا أفاضِلَهُمْ بنَقْصٍ فَلَسْتُمْ مِنْ رجالِ الانْتِقادِ
إلَهِي قَدْ أغاظُونِي بزُورٍ وأنْكى ما أشَاعُوهُ فُؤادِيُ
وَأَبكَى الْعَيْنَ بَهْتٌ نَمَّقُوهُ وَطَالَ لِما أَذاعوهُ سُهادِي
وراموا - لا رُعوا - إطفاءَ عِلمي وعابُوا ما يُرَجِّحُهُ اجْتِهادِي
فإنْ يَنْصُرْ إلهِي عَنْ قريبٍ فَذَا نَصْرٌ عَلَى وفقِ السَّدادِ
فَنَصْرِي فيه إعزازٌ لِدينٍ ونَصري فيه دَفْعٌ للفَسَادِ

قال أحمد ابن الإمام محمد الشوكاني - جامع الديوان - (وقال - رحمه الله - لما بلغه أن جماعة لما وقفوا على رسالته المسماة (إرشاد الغبي إلى مذهب أهل البيت في صحب النبي) جمع فيها ما ورد عنهم من النهي عن سب الصحابة جالوا وصالوا ولم يألوا جهدًا في إنزال الضرر به فلم يقدروا على شيء، بل كان إذا

لقي أحدهم خضع وتذلل وأظهر البشاش، ولم يكن معين سوى الله عز وجل، حتى إنهم استعانوا بالجند وأرباب الدولة فكفاه الله شرهم، وله الفضل والمنة، وهكذا من طلب الحق.

يا جاهِلًا في نَصْرِ سُنَّةِ أَحْمَدٍ ... صَبْرًا عَلَى زُورِ الأَلَدِّ الأَبْلَدِ

دَعْ مَنْ يَشُنُّ عَلَيْكَ غَاراتِ ... بِلِسانِهِ بَيْنَ الأَنامِ بِمَشْهَدِ

فَلَرُبَّما نَشَرَ الإِلَهُ فَضِيلَةً ... لِلْمَرْءِ قَدْ جُهِلَتْ بِقَوْلِ الحُسَّدِ

ما إِنْ يُعابُ عَلَيْكَ غَيْرُ مَقالَةٍ ... سُنِدَتْ ونِيطَتْ بِالدَّلِيلِ المُسْنَدِ

إِنْ كانَ عَيْبًا فَعَيْبُكَ مِدْحَةٌ ... قامَتْ على رَغْمِ الأَصَمِّ الْجَلْمَدِ

أو كانَ ذا ذَنْبًا فَذَنْبُكَ قُرْبَةٌ ... عِنْدَ الإِلَهِ بِرَغْمِ كُلِّ مُفَنِّدِ

يا جاهِلًا عِلْمًا لآلِ الْمُصْطَفى ... ما بَيْنَ سابِقِهِمْ وبَيْنَ الْمَقْصِدِ

إلى أن قال – رحمه الله –:

يا مُدَّعِي حُبَّ النَّبِيِّ وآلِهِ ... لَم تَدْرِ ما حُبُّ الْكِرامِ الصُّيَّدِ

ناقَضْتَ مَذْهَبَهُمْ وحِفْتَ عَن ... وهَدَمْتَ شامِخَ مَجْدِ عِلْمٍ أَمْجَدِ

وظَنَنْتَ أَنَّ الْحَقَ ما أَبْدَيْتَهُ ... جَهْلًا بِغَيْرِ تَطَلُّبٍ وتَفَقُّدِ

يا عَمْرُو إِنِّي مَنْ عَرَفْتَ فَما الذي ... أَنْكَرْتَ مِنْ قَوْلِي الصَّحيحِ الْجَيِّدِ

إلى أن قال – رحمه الله –:

يا مَنْ غَدا بِالعِرْضِ مِني لاَعِبًا ... مِنْ غَيْرِ ذَنْبٍ كَيْفَ حالُكَ في غَدِ

كَيْفَ الْجَوابُ إذا سُئِلْتَ وما الّذي ... أَعْدَدْتَهُ لِسُؤالِ ذاكَ الْمَشْهَدِ

إنْ قُلتَ تَتَّبعُ الدَّليلَ وتطْرَحُ ... التَّقْليدَ عِنْدَ ثُبوتِ قَوْلِ مُحَمَّدِ

فالعُذْرُ أَقْبَحُ مِنْ جِنايَتِكَ التي ... أَسْلَفْتَ يا مَنْ بالجَهالَةِ مُرْتَدي

فَدَعْ التَّعرُّضَ يا جَهُولُ وعَدِّ عَنْ ... هَذا الطَّريقِ وخَلِّ عَنْهُ وأبْعُدِ

ما أنْتَ أهْلًا لارْتِشافِ كُئوسِهِ ... ما أنْتَ أهْلًا لاجْتِلاءِ الْخُرَّدِ

ما أنْتَ في وِرْدٍ ولا صَدْرٍ وَلا ... تُعْنَى بكَشْفِ حَقيقَةٍ وتَفَقُّدِ

إنّ الْخُفاشَ يَرى الظَّلامَ خَليْلَهُ ... فإذَا تَحَلّى بالضِّيا لم يُوجَدِ

والْوَرْدُ وَهْوَ الْوَرْدُ يُؤذي دَائما ... جُعَلَ الْمَزابِلِ رِيحُهُ الرِّيحُ النَّدي

وكَذلكَ الْعِنّينُ إن عَنَّتْ لَهُ ... فَتّانَةٌ في الْحُسْنِ لم يَتَوَجَّدِ

هَذي نَصيحَةُ ماحِضٍ ما شَابَها ... غِشٌ فَمَنْ بالنُّصْحِ يَوْمًا يَهْتَدي

نفس المصدر (١٣٣-١٣٥).

وقال - رحمه الله - كما في التقصار للشجني ص(١٩٥):

عَدِّ عَنْ مَعْشَرٍ تَعامَوا عَن الحَقِّ ... وَحَادُوا عَنْ السَّبيلِ الْمنيرِ

لَهَجُوا بالسِّبابِ والشَّتْم بَغْيًا ... وَأَتَوا فِريَةً بِكُلِّ نَكيرِ

مَعْشَرٌ مَا نَجَى الصَّحَابَةُ مِنْهُم ... بَعْد مثواهم بِبَطْنِ القُبورِ

كَيْفَ يَنْجُو مَنْ مِثْلِهم عِرْض ... عَنْ مَقَالِ الخَنا وَقَوْلِ الزُّوْرِ

وله - رضي الله عنه -:

يا رَبِّ قَدْ ضَاقَ عَلَيَّ السَّبيلْ ... وكَدَّرَ الخَاطِرَ قالٌ وقيلْ

وَعاثَ في عِرْضِي مِنَ النّاسِ مَنْ ... لَهُ مِنَ الرَّفْضِ شَرَابٌ وبيلْ

وَلَيسَ لي ذَنبٌ سوَى أَنَّني   نَشَرْتُ أَقْوالَ الرَّسُولِ الجَليلِ

ديوان الإمام الشوكاني (٢٩١).

وقال – رحمه الله –:

قالوا فَريقُ الرَّفْضِ قَدْ أَرْجَفوا   عَلَيْكَ في النَّاسِ بقـــالٍ وَقيلْ

فَقُلْتُ لا أَخْـــــشى وَلي جُنَّةٌ   هِيَ حَـــسْبِيَ اللهُ ونِعْمَ الوكيلْ

نفس المصدر (٢٩٦).

وقال – رحمه الله – في هاشمي رافضي:

قَالُوا فُلانٌ عظِّمُـــوا حَقَّهُ   فإنَّهُ مـــــنْ عترَةِ المصْطَفى

فَقُلتُ: للقُـــرْبى منَ الْحَقِّ مـــا   لا يَعْتَـــريه عنْدَ مثْلـــي خَفَا

لَكنْ فُلانٌ تَربَـــــتْ كَفُّهُ   للسُّنَّةِ الْغَرّاءِ أَبْـــدى الْجَفا

وَصَارَ في الرَّفْـــضِ لَهُ مَذْهَبٌ   كانَ بِهِ في ديـــــنهِ منْ شفا

فَبُغْضُهُ حَقٌّ عَـــــلَى كُلِّ مَنْ   يَكـــُونُ في نَهْجِ الْهُدَى مُنْصِفا

لا تنفعُ الْـــقُرْبَةُ ابنًا أبي   دينَ أَبِـــيه عِنْدَ أَهْلِ الْوَفا

وَكَمْ مـــنَ الأَدْنَيْنَ أَدْناهُمُ   إلَى الدَّنايَا بَعْـــضُ ما تَخَلَّفا

فَعـــمُّهُ قَدْ عَمَّهُ الْـــخزْيُ إذْ   عَادَى الـــذي مَنْ دينُهُ قَدْ صَفا

نفس المصدر (٢٤٧).

وله – رضي الله عنه –:

لا قَدَّسَ اللهُ أَرْواحَ الرَّوافِضِ ما   تَبسَّمَ البَرْقُ بَيْنَ العارِضِ الهَطِلِ

قَوْمٌ إذا قُلْتَ مَلْعُونٌ مُعاوِيَةٌ ويا لِسِرِّ أَمير الْمؤْمِنينَ عَلي

فَأَنْتَ عِنْدَهُمُ العَدْلُ الرَّضِيُّ وإِنْ رَفَضْتَ شَرْعَ رَسُولِ الله عَنْ

نفس المصدر (٢٩٣).

وقال – رحمه الله –:

قبيحٌ لا يُماثِلُه قبيحٌ لَعَمْرُ أبيكَ دِينُ الرَّافِضينا

أَذاعُوا في عَلِيٍّ كُلَّ نكْرٍ وأَخْفَوْا من فَضائِله الْيَقينا

وسَبُّوا – لا رُعُوا – أَصحابَ طَهَ وَعادَوا مَنْ عَداهُمْ أجْمَعينا

وَقالُوا دِينُهُمْ دِينٌ قَويمٌ ألا لَعَنَ الإِلهُ الكاذِبينا

نفس المصدر (٣٣٩).

وله – رحمه الله –:

مَتى أَرَى الحَقَّ يَصْفُو مِنْ تَكَدُّرِهِ والفِكْرَ يَخْلُدُ مِنْ قيلٍ ومِنْ قَالِ

والحَقَّ يَمْضِي وكَفَّ الدّينِ باسِطَةً لا يُسْتَطاعُ لَهُ دَفْعٌ عَلَى حالِ

والعَدْلَ في عِزَّةٍ والجَوْرَ فاعِلَهُ في ذِلَّةٍ ذاتِ أَخوافٍ وأَوْجالِ

وسُنَّةَ الْمُصطَفَى الْمختارِ قاهِرَةً لِكُلِّ ذِي بِدْعةٍ بالرَّفْضِ صَوّالِ

يا خالِقَ الخَلْقِ بَلِّغْني إلى زَمَنٍ أَرَى بِهِ كُلَّ ما أَمَّلْتُهُ آمالي

قَدْ طالَ ما حَدَّثَتْني النَّفْسُ أَنَّ لَها في ذي الْمَجالِ مَقالًا شَأْنُهُ عالي

يا رَبِّ جُدْ لِيَ يا مُعْطي الجَزيلِ مُولي الجَميلِ بإجْمالٍ وإفضالِ

نفس المصدر (٢٩٥).

بَلَّغْتَني سَبْعِــــــــــينَ عَامًا فَلاَ أَحْصُرُ يا رَبِّ عَلَيْــــكَ الثَّنا
أَفْضَلْتَ أَجْزَلْتَ وَأَعْطَيْتَــــني أَضْعاف آمـــالِي وَفوقَ الْمُنى

نفس المصدر (٣٤٤).

فصل

في كيفية التعامل مع المدعويين في بلاد تكثر فيها البدع والأهواء أو يغلب فيها التعصب لأقوال الرجال ويتظاهر أهلها بذلك

قال - رحمه الله -: (وهنا أرشدك إلى ما تستعين به على القيام بحجة الله والبيان لما أنزله وإرشاد الناس إليه على وجه لا تتعاظمه وتُقَدِّر فيه ما كنت تقدِّره من تلك الأمور التي جَبُنْت عن تصورها وفرقت بمجرد تخيلها، وهو أنك لا تأتي الناس بغتة، وتصك وجوههم مكافحة ومجاهرة، وتنعي عليهم ما هم فيه نعيًا صراحًا، وتطلب منهم مفارقة ما ألفوه طلبًا مضيقًا، وتقتضيه اقتضاءً حثيثًا، بل اسلك معهم مسالك المتبصرين في جَذب القلوب إلى ما يطلبه الله من عباده، ورغِّبهم في ثواب المنقادين إلى الشرع المؤثرين للدليل على الرأي، وللحق على الباطل، فإن كانوا عامة فهم أسرع الناس انقيادًا لك وأقربهم امتثالًا لما تطلبه منهم، ولست تحتاج معهم إلى كثرة مؤنة، بل اكتفي معهم بترغيبهم في التعلم لأحكام الله.

ثم علمهم ما علمك الله منها على الوجه الذي جاءت به الرواية وصح فيه الدليل، فهم يقبلون ذلك منك قبولًا فطريًا، ويأخذون أخذًا خَلقيًّا؛ لأن فطرتهم لم تتغير بالتقليد، ولا تتكدر بالممارسة لعلم الرأي، ما لم يتسلط عليهم شيطان من شياطين الإنس، قد مارس علم الرأي واعتقد أنه الحق وأن غيره الباطل وأنه لا

سبيل للعامة إلى الشريعة إلاّ بتقليد من هو مقلد له، واتباع من يتبعه، فإنه إذا تسلط على العامة مثل هذا وَسْوَسَ لهم كما يُوسوس الشيطان، وبالغ في ذلك؛ لأنه يعتقد ذلك من الدين، ويقطع بأنه في فعله داعٍ من دعاة الحق، وهادٍ من هداة الشرع، وأن غيره على ضلالة، وهذا وأمثاله هم أشدُّ الناس على من يريد إرشادهم إلى الحق، ودفعهم عن البدع، لأن طبائعهم قد تكدرت، وفطرهم قد تغيرت، وبلغت في الكثافة والغلظة والعجرفة إلى حدٍّ عظيم لا تؤثر فيها الرقى ولا تبلغ إليه المواعظ، فلم تبق عندهم سلامة طبائع العامة حتى ينقادوا إلى الحقِّ بسرعة، ولا قد بلغوا إلى ما بلغ إليه الخاصة من رياضة أفهامهم، وتلطف طبائعهم بممارسة العلوم التي تتعقل بها الحجج الشرعية، ويعرف بها الصواب ويتميز بها الحقُّ، حتى صاروا إذا نظروا إلى مسألة من المسائل أمكنهم الوقوف على الحقُّ والعثور على الصواب.

وبالجملة فالخاصة إذا بقي فيهم شيء من العصبية كان إرجاعهم إلى الإنصاف متيسر غير متعسر، بإيراد الدليل الذي تقوم به الحجة لديهم، فإنهم إذا سمعوا الدليل عرفوا الحق وإذا جادلوا وكابروا فليس ذلك من صميم اعتقاد، ولا خلوص نية، فرياضة الخاصة بإيراد الأدلة عليهم وإقامة حجج الله وإيضاح براهينه وذلك يكفي، فإنهم لما قد عرفوه من علوم الاجتهاد ومارسوه من الدقائق، لا يخفى عليهم الصواب، ولا يتلبس عليهم الراجح بالمرجوح والصحيح بالسقيم والقويُّ بالضعيف والخالص بالمغشوش.

ورياضة العامة بإرشادهم إلى التعلم، ثم بذل النفس لتعليمهم ما هو الحق في اعتقاد ذلك المعلم، بعد أن صار داعيًا من دعاة الحق ومرشدًا من مرشدي المسلمين، ثم ترغيبهم بما وعد الله به، وإخبارهم بما يستحقه من فعل كفعلهم من الجزاء

والأجر، ثم يجعل لهم من القدوة بأفعاله مثل ما يجعله لهم من القدوة بأقواله أو زيادة، فإن النفوس إلى الاقتداء بالفَعَّال أسرع منها إلى الاقتداء بالقوَّال.

والعقبة الكؤود والطريق المستوعرة والخطب الجليل والعبء الثقيل إرشاد طبقة متوسطة بين طبقة العامة والخاصة وهم قوم قلدوا الرجال وتلقنوا علم الرأي ومارسوه حتى ظنوا أنهم بذلك قد فارقوا طبقة العامة وتميزوا عنهم، وهم لم يتميزوا في الحقيقة عنهم ولا فارقوهم إلا بكون جهل العامة بسيطًا وجهل هؤلاء مركبًا. وأشدُّ هؤلاء تغييرًا لفطرته وتكديرًا لخلقته أكثرهم ممارسة لعلم الرأي، وأثبتهم تمسكًا بالتقليد وأعظمهم حرصًا عليه، فإن الدواء قد ينجح في أحد هؤلاء في أوائل أمره وأما بعد طول العكوف على ذلك والشغف به والتحفظ له، فما أبعد التأثير وما أصعب القبول؛ لأن طبائعهم مازالت تزداد كثافة بازدياد تحصيل ذلك وتستفيد غلظة وفظاظة باستفادة ذلك، وبمقدار ولوعهم بما هم فيه وشغفهم به تكون عداوتهم للحق ولعلم الأدلة وللقائمين بالحجة...... فإن قلت هل بقي مطمع مع أهل هذه الطبقة وكيف الوصول إلى إرشادهم إلى الإنصاف وإخراجهم عن التعصب ؟

قلتُ: لا مطمع إلَّا بتوفيق الله وهدايته فإنَّه إذا أراد أمرًا يسَّر أسبابه وسهّل طرائقه، وأحسن ما يستعمله العالم مع هؤلاء ترغيبهم في العلم وتعظيم أمره والإكثار من مدح علوم الاجتهاد وأن بها يعرف أهل العلم الحق من الباطل ويميزون الصواب من الخطأ وأن مجرد التقليد ليس من العلم الذي ينبغي عد صاحبه من جملة أهل العلم..... فإن بقي فيمن كان من هذه الطبقة نصيب من علو الهمة وحظّ من شرف النفس وقسط من الرغبة في نيل ما هو أعلى مناقب الدنيا والآخرة، فقد تميل نفسه إلى العلم بعض الميل، فيأخذ من علوم الاجتهاد

بنصيب ويفهم بعض الفهم، فيعرف أنه كان معلّلًا نفسه بما لا يسمن ولا يغني من جوع، ومشتغلًا بما لا يرتقي به إلى شيء من درجات العلم، فهذا الدواء لأهل هذه الطبقة من أنفع الأدوية وهو لا يؤثر بعض التأثير إلَّا مع كون ذلك المخاطب له بعض استعداد للفهم، وعنده إدراك وهو القليل أما إن كان لا يفهم شيئًا فيه من علوم الاجتهاد وإن أجهد نفسه وأطال عناها وأعظم كدها كما هو الغالب على أهل هذه الطبقة، فإنهم إذا استفرغوا وسعهم في علم الرأي وأنفقوا في الاشتغال به شطرًا من أعمارهم وسكنت أنفسهم إلى التقليد سكونًا تامًا وقبلته قبولًا كليًّا لم تبق فيهم بقية لفهم شيء من العلوم..... فمن كان على هذه الصفة وبهذه المنـزلة، لا يأتي إرشاده إلى تعلّم علوم الاجتهاد بفائدة، وأحسن ما يستعمله معه من يريد تقليل تعصبه ودفع بعض ما قد تغيرت به فطرته: هو أن ينظر العالم من عمل بذلك الدليل الذي هو الحق من قدماء المقلدين فيذكرهم أنه قد خالف إمامهم في تلك المسألة فلان وفلان ممن هو في طبقته أو أعلى طبقة منه، وليس هو بالحق أولى من المخالفين له.

فإن قبل ذهنهم هذا فقد انفتح باب العلاج للطبيب؛ لأنه ينتقل معهم من ذلك إلى ما يستدل به إمامهم وما استدل به من خالفه وينتقل منه إلى وجوه الترجيح مبتدئًا بما هو أقرب إلى فهم ذلك العليل، ثم ينقله من مرتبة إلى مرتبة، حتى يستعمل من الدواء ما يقلل تلك العلة؛ فإنه إذا أدرك العليل ذهاب شيء منها حصل بعض نشاط يحمله على قبول ما يذهب بالبقية، ولكن ما أقل من يقبل شيئًا من هذه الأدوية، فإنه قد ارتكز في ذهن غالب هؤلاء أن الصحة والسلامة لهم هي في نفس العلة التي قد تمكنت من أذهانهم فسرت إلى قلوبهم وعقولهم وأُشربوا من حبها زيادة على ما يجده الصحيح عن العلة من محبة ما هو فيه من الصحة والعافية، وسبب ذلك أنهم اعتقدوا أن إمامهم

الذي قلدوه ليس في علماء الأمة من يساويه أو يدانيه، ثم قبلت عقولهم هذا الاعتقاد الباطل وزاد بزيادة الأيام والليالي حتى بلغ إلى حدٍّ يتسبب عنه أن جميع أقواله صحيحة جارية على وفق الشريعة، ليس فيها خطأ ولا ضعف وأنَّه أعلم الناس بالأدلة الواردة في الكتاب والسنة على وجه لا يفوت عليه منها شيء ولا تخفى عليه منها خافية، فإذا سمعوا دليلًا في كتاب الله أو سنة رسوله قالوا: لو كان هذا راجحًا على ما ذهب إليه إمامنا لذهب إليه ولم يتركه، لكنه تركه لما هو أرجح منه عنده، فلا يرفعون لذلك رأسا، ولا يرون بمخالفته بأسًا. وهذا صنيع قد اشتهر عنهم وكاد أن يعمهم قرنًا بعد قرن وعصرًا بعد عصر على اختلاف المذاهب وتباين النحل، فإذا قال لهم القائل: اعملوا بهذه الآية القرآنية أو بهذا الحديث الصحيح، قالوا: لست أعلم من إمامنا حتى نتبعك، ولو كان هذا كما تقول لم يخالفه من قلدناه فهو لم يخالفه إلا إلى ما هو أرجح منه.

وقد ينضم إلى هذا من بعض أهل الجهل والسفه والوقاحة وصف ذلك الدليل الذي جاء به المخاطب لهم بالبطلان والكذب إن كان من السنة ولو تمكنوا من تكذيب ما في الكتاب العزيز إذا خالف ما قد قلدوا فيه لفعلوا.) أدب الطلب ومنتهى الأرب ص (١١٧-١٢٢).

وقال في موضع آخر: (وأما الجواب المفصل: فاعلم أني لم أرد بما أرشدت إليه في هذا الكتاب ما خطر ببالك ولا لوم عليّ فقد كررت لك ما قصدته تكريرًا لا يخفى على الفطن، فهل طلبت من حامل الحجة أن يقوم بين ظهراني الناس قائلًا: اجتنبوا كذا من الرأي اتبعوا الكتاب والسنة صارخًا بذلك في المحافل ناطقًا به في المشاهد، مع علمه بتراكم سحائب الجهل، وتلاطم أمواج بحار التعصب، وإظلام أفق الإنصاف واكفهرار وجه الإرشاد، فإن هذا وإن كان مسقطًا لما افترضه الله على من استخلصه من عباده لحمل حجته وإبلاغ شريعة

لكن لكل عالم قدوة بأنبياء الله، وأسوة بمن أرسله من رسله، فقد كانوا - عليهم الصلاة والسلام - يدبرون عباد الله بتدبيرات فيها من الرفق واللطف وحسن المسلك ما لا يخفى على أهل العلم، وقد اشتمل الكتاب والسنة على ما كان يقع من الأنبياء - صلوات الله عليهم وسلامه - من تدبير أممهم والرفق به واغتنام الفرص في إرشادهم وإلقاء ما يجذبهم إلى الحق في الوقت بعد الوقت والحالة بعد الحالة على حسب ما تقبله عقولهم وتحتمله طبائعهم وتفهمه أذهانهم..... وبالجملة فالعالم المتصدي للإرشاد المتصدي للهداية لا يخفى عليه ما يصلح من الكلام مع من يتكلم معه. فهذا الذي أردته من نشر حجج الله وإرشاد العباد إليها وقد قدمته بأبسط من هذا وإنما كررته هنا لقصد دفع ما سبق من السؤال) أدب الطلب ومنتهى الأرب (١٦٤-١٦٥).

والله أسأل أن يجعل هذا الجهد ذخرًا لي يوم لقاه، وأن يدفع به عني وعن مشايخي وأهلي وأولادي وأحبابي أجمعين مصارع السوء والهلكة، وأن يجعله خالصًا لوجهه الكريم، وأن يجزي شيخ الإسلام الإمام الشوكاني خير الجزاء وأن يجمعني به في دار كرامته مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين إنه على كل شيء قدير، والله أسال أن ينفع بهذا الكتاب الإسلام والمسلمين، وأن يخذل هذه الفرقة الضالة التي ظهر حربها وعنادها للحق وأهله،(فإن الله ناصر دينه ومتمم نوره وحافظ شرعه ومؤيد من يؤيده وجاعل لأهل الحق ودعاة الشرع والقائمين بالحجة سلطانًا وأنصارًا وأتباعًا وإن كانوا في أرض قد انغمس أهلها في موجات البدع وتسكعوا في متراكم الضلال) أدب الطلب ومنتهى الأربص [١٦٠].

وفي الختام أخي القارئ ها هو هذا البحث بين يديك وقد بذلتُ وسعي في جمعه وترتيبه والتأليف بين عباراته وحالي كما قال الأول:

مَا خَطَّ كَفُّ امْرِئٍ شَيْئًا وَرَاجَعَهُ ... إِلَّا وَلَاحَ لَهُ تَبْدِيلَ مَا فِيهِ

وَذَا يَقُولُ كَذَا الأَوْلَى وَذاكَ كَذَا ... وَإِنْ يَكُنْ هَكَذَا تَسْمُو قَوَافِيهِ

فإن وجدتَ فيه علمًا وفائدة ونفعًا فلا تنسني من دعوة صالحة، وإن وجدت زللًا أو خطأً أو تقصيرًا فلا يفتك الخير بنصحي ولك مني جزيل الشكر.



الفهرس